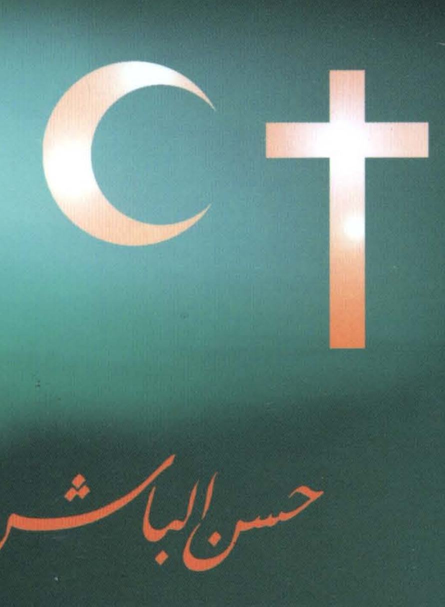


مقارنة الأديان (

العقيدة النصرانية

بين القرآن والأناجيل



حسن الباش

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

دار قتيبة

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - ص.ب : ١٣٤١٤

بيروت - ص.ب : ٦٣٦٤-١٤

حسن الباش


العقيدة النصرانية
بين القرآن والأناجيل


دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة

مرت على ولادة السيد المسيح حسب التقويم الإفرنجي ألفا عام وتزيد، وانتشرت المسيحية التي طوّرها كهنة المسيحية في أوروبا إضافة لما نشروه في منطقة الشرق العربي. وبعد مرور ألفي عام على ولادة المسيحية يصبح أتباعها حوالي المليار شخص. معظمهم في أوروبا وأمريكا.

وقد رافق انتشار هذه المسيحية حركة فكرية عقيدية تبناها الكهنة والبابوات وكثير من المفكرين، ومازالت هذه الحركة مستمرة، وغايتها تثبيت العقيدة المسيحية في نفوس المسيحيين ونشرها في أماكن كثيرة من العالم من خلال حملات التنصير التي يقودها الفاتيكان من جهة والكنائس المختلفة في مشاربها وعقائدها من جهة أخرى.

وعلى الرغم من مرور الزمن الطويل على انتشار المسيحية، وعلى الرغم من كل حملات التثقيف والتنصير، فإن دراسة العقيدة المسيحية دراسة متعمقة ما زالت بحاجة إلى جهود حثيثة من قبل العلماء والباحثين والمتخصصين بدراسة العقائد والأديان. والواقع أن المكتبة العربية تحفل بآلاف الكتب المتخصصة بدارسة العقيدة المسيحية ولكن كافة هذه الكتب إما أن يكون مؤلفوها من أتباع العقيدة النصرانية المؤمنين بألوهية المسيح، أو أنهم من الباحثين المسلمين الذي يحاولون البحث في القشور منطلقين من منطق التوفيق والمصالحة والمصلحة العامة، فلا يتناولون الجوهر ويتجنبون الخوض في المسائل العقيدية الحساسة كألوهية المسيح التي يفترضها الدين المسيحي الذي صنعه الكهنة والمفكرون من

أتباع هذه العقيدة.

والواقع أن ما يشهده العالم اليوم من انهيارات دينية وانحرافات مسلكية وأخلاقية خاصة في العالم الغربي ما هو إلا نتاج ما وصله من كتابات مسيحية ليس لها علاقة بالعقيدة النصرانية ولا بكلمات المسيح التي قالها.

ومن يدرك من النصارى حقيقة العقيدة النصرانية لابد أن يرفض ما آل إليه العالم من انهيارات. ولابد من تيقنه بأن العقيدة التي فرضها الله سبحانه على المسيح لا تكاد تختلف عن الإسلام في جوهرها التوحيدي ولا تختلف كذلك عن العقيدة التوحيدية التي نادى بها موسى عليه السلام.

ولا شك أن دراسة التاريخ منذ ولادة المسيح عليه السلام وحتى الآن بشكل موضوعي سيعيد إلى الأذهان حقيقةً بل حقائق جوهرية غيّبت عن العقل البشري حتى بات اليوم مستسلماً لكل المقولات الكهنوتية حول المسيح وطبيعته وما جاء به من تعاليم.

وكذلك فإن دراسة العقيدة النصرانية دراسة يحكمها العقل ستعيد إلى البشرية توازناً منطقياً يفرق بين عقيدة التوحيد والوثنية وما اتخذته من أشكال على مر العصور.

ونعتقد أن البحث الصحيح في ذلك كله يحتاج إلى موضوعية وجرأة وعدم التهاون فإظهار الحق أمر لا يحتاج إلى واسطة ولا إلى مصالحة جزئية مع الباطل فالحق أحق أن يُتبع. وليس ثمة مجال للحديث عن المصلحة الموهومة التي تمنع الحوار بين الأديان والعقائد. وأخيراً فإن العقل هو الحكم وهو القاضي الذي يحكم بالحق وما لم يقبله العقل لن تقبله الأحاسيس والمشاعر أو العواطف. واستناداً عليه يأتي بحثنا المعنون بالعقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل متخذين سبيل علم مقارنة الأديان، فهو الأجدر بالمحاكمة المنطقية

والعقلية وهو الأكثر إقناعاً بين العلوم الدينية لما يتمتع به من مقارنة الأفكار فكرة بفكرة ومقارنة النصوص نصاً بنص.

فالعقيدة النصرانية ليست عقيدة محلية حتى يُعفى الباحث من دراستها بالتفصيل وليست عقيدة مبسطة أو بسيطة، يمكن الإحاطة بها بمجرد قراءة الأناجيل أو قراءة أعمال الرسل أو قراءة ما أتى به فلاسفة المسيحية الغربية أمثال مارتن لوثر أو كالفن أو غيرهما.

وليست النصرانية سهلة المنال حتى يُساق المرء إليها دون دراسة أو تحليل.

ولعل الأصعب من ذلك كله أن أكثر المنتمين لهذه العقيدة لا يعرفون منها سوى الأمور المسطّحة البسيطة خاصة في عالمنا الشرقي، وذلك لأن القيّمين عليها من أحبار ورجال دين لا يريدون من الجماهير النصرانية الخوض في فهم حقيقة الأشياء وفهم جوهرها.

ودفاعاً عن المسيح والعقيدة النصرانية كان لابد لنا من العودة إلى الجذور والعودة إلى الحقائق التي زوّرها بعض المدسوسين على المسيح وعقيدته. وكان لابد لنا من الفصل الحقيقي بين مسيحية الغرب ونصرانية الشرق، فهما في الجوهر عقيدتان متناقضتان متنافرتان في العقيدة والسلوك والأفكار. فأفكار النصرانية وما جاءت به من عقيدة السيد المسيح عليه السلام مازالت موجودة واضحة جلية في القرآن الكريم وبعض الكتب التي كتبها مؤلفون موحدون يُعتد بهم وتشهد عليهم دراساتهم المعمقة ومواقفهم الكهنوتية الصادقة. وعلمهم الصحيح في العقائد والأديان.

إن الناظر بعمق في طبيعة العقيدة النصرانية المعاصرة يجد بكل بساطة أن عقيدة مختلفة تماماً عن عقيدة المسيح عليه السلام تعمّ وتشمل الملايين من

الذين استهوتهم الوثنية بشكلها الجديد. ولا أدري هل هي طبيعة العقل الغربي التي فرضت هذه العقيدة أم أن مخططاً قديماً جديداً ما زال ينفذ في الخفاء لتخريب العقل البشري والميل الفطري إلى التوحيد.

لقد بُعث السيد المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل ليعيدهم إلى جادة الصواب ويفضح تحريفهم للتوراة. جاء ليردهم عن وثنيتهم إلى التوحيد ولم يأت ليكرس وثنية عوضاً عن وثنية أخرى. ولا يعقل أن يدعوهم للابتعاد عن الوثَنية وهو يطلب في الوقت نفسه أن يعبدوه بدل أوثانهم ويبدلوا إلههم يهوه بإله هو نفسه المسيح.

ما الفرق إذاً بين يهوه وبين المسيح؟ إذا كان تصور الإله يقتصر على تعاليم خاصة وعنصرية عند يهوه فإنه عند المسيح يقتصر على التسامح والمحبة. ولكن في كلا الحالتين يبقى الداعيان، يهوه والمسيح، إلهين في نظر أتباعهما. يهوه يتجسد في عمود سحاب ونار والإله يتجسد في بشر يأكل ويشرب ويُخرج. ذاك ينفث حقداً ودموية والآخر يدغدغ القلوب بالمحبة والإنسانية.

وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يكثر أتباع الإله الإنساني وهو ردّ معاصر على الإله الدموي الحاقد؟

موسى بُعث لبني إسرائيل وكذلك السيد المسيح وكلاهما جاهد جهاد الأنبياء الصادقين ليعود بنو إسرائيل إلى ديانة التوحيد ولكن الاثنين لم يفلحا. . مات موسى قهراً وغماً من ارتداد أتباعه دوماً عن عقيدته، ورُفع المسيح إلى خالقه بعد أن حاول اليهود صلبه وإهانته. فلماذا إذاً يؤلّه يهوه ولماذا يؤلّه المسيح. وهل ينتقص قدره إذا كان نبياً، ألا يكفي أن الله خلقه بمعجزة ليس كمثلها معجزة؟. ألا يكفيه أن الله سبحانه أنزل كتاباً سماوياً اسمه الإنجيل؟ ما الذي يريده أصحاب الدعوة الألوهية؟. وهل ذلك يعني أن العقيدة النصرانية

الحقة لا تصح إن لم يؤلّه المسيح بن مريم.

بعضهم قال إن الله تجسد بالمسيح ليكون الفداء. وبعضهم قال إن المسيح ابن الله ويوردون بعض الأفكار التي تقول إن المسيح ابن الله وليست البنوّة بنوّة المقياس البشري، فمريم لم تتزوج. ولم يكن هناك لقاء جنسي بينها وبين الله، إنما المسيح ابن الله لأن الله نفخ في رحم مريم فحملت بالمسيح.

وبعضهم الآخر قال: إن الله ذو أقانيم ثلاثة تنفصل وتجتمع متى شاءت فهناك الآب وهناك الابن وهناك الروح القدس.

وبعضهم الذي مارس الحقيقة قال بأن المسيح بن مريم نبي من رب العالمين فهو كموسى وداود وسليمان وهو كذلك مثل بقية الأنبياء الذين اختارهم الله ليكونوا هداة ودعاة ومبلّغين.

لقد مر على البشرية الكثيرون ممن ادعوا الألوهية فهل ادّعى المسيح بأنه الله؟ بعض المفكرين المسيحيين التقط بعض الجمل التي وردت في أحد الأناجيل فقال: إن ما يقوله المسيح يعني الله. وذلك اعتراف منه بألوهيته. ولم يدرك هذا المفسر أن ما قاله المسيح لا يعني ذلك مطلقاً ويمكن تفسير ما قاله تفسيراً تأويلياً لأنه يحمل أكثر من معنى وأكثر من قصد. ثم ما مصلحة المسيح عليه السلام كي يدّعي الألوهية؟ وهل يحتمل اليهود أن يروا المسيح أو غيره يدّعي الألوهية دون أن يؤذوه. فإذا كان الله تجسد في شخص المسيح كي يؤلب عليه البشر وينتقموا منه شر انتقام فما هو بإله مطلقاً. فالله سبحانه لا يريد للبشر سوى الهداية وأقرب طريق للهداية أن يفهم البشر أن الله سبحانه منزّه عن التجسيد والتجسيم والتماثل. وهو كامل الصفات محجوب عن الأعين له القدرة المطلقة والرحمة المطلقة لا حدود له في الزمان ولا في المكان.

لقد جسدوا الله سبحانه في شخص المسيح وفاتهم أن الله لا يحتاج إلى

أن يجسد نفسه في شخص أو هيئة حتى يُقنع بني إسرائيل بالعودة إلى عقيدة التوحيد! . فالله الذي بعث أنبياءه مبلغين مرشدين، ودمّر أقواماً لا تعد ولا تحصى بسبب كفرها وظلمها، ونصر آخرين نصراً عظيماً بسبب إيمانهم وعدلهم ألا يكون قادراً أن يهدي البشرية كلها دون أن يتجسد في شخص أو هيئة ملموسة؟ لقد جسدوا الله في المسيح كي تكون الطامّة الكبرى، فبهذا التجسيد حرفوا مسار التوحيد حرفاً كبيراً وألّبوا البشرية الواعية على المسيح والمسيحية. ولك يكن قصدهم سوى تشويه المسيح وخلق الأعداء والمنحرفين ضده وضد عقيدته التي تصورها رجال الدين المسيحي والكهنة واللاهوتيون.

قالوا إن المسيح صُلب ومات ووضع في قبره. ثم خرج من القبر ليعود إلى ملكوته في السماء. صلب المسي

ح لأن الله أراد أن يفدي البشرية ويخلصها من خطاياها. فهل حقاً لا تصح المسيحية كعقيدة إلا بصلب المسيح الفادي؟ أليس الله القادر على خلق المسيح من دون زواج مريم برجل قادراً على أن يخلص المسيح من الصلب ويرفعه إلى السماء؟

ويأتي الحديث عن الأناجيل الأربعة التي تعتمدها الكنيسة الكاثوليكية وبقية الكنائس فهذه الأناجيل لم تُدوّن في وقت واحد وأقرب تدوين من حياة المسيح يصل إلى ثمانين عاماً. فما الذي حدث خلال هذه الثمانين سنة؟ هل بقيت أقوال المسيح الحقيقية محفوظة حرفياً ثم دوّنت؟ ثم إن هذه الأناجيل تختلف فيما بينها في كثير من الأحداث والأقوال فما الذي جعلها تختلف؟ هل حقق المفكرون المسيحيون في أهواء مدوّنيها ونواياهم وخلفياتهم العقيدية والاجتماعية والفكرية؟ أم أن ما قالوه حرام أن يُناقش؟ وإذا كانت أقوال الإنجيل الحقيقي لا تُناقش لأنها منزلة من السماء فهل أقوال من دوّنوا الأناجيل الأربعة

منزلة من السماء لا يأتيها الباطل من أمامها أو من خلفها؟

وإضافة إلىهذه الأناجيل الأربعة وُجدت على مر التاريخ أناجيل أخرى ظهرت خلال فترات زمنية متباينة.

فمنها إنجيل يعقوب: والذي يعرف بالإنجيل الأولي وهو من نتاج منتصف القرن الثاني ويركز هذا الإنجيل على حياة مريم العذراء وأحداث الميلاد ويختم الكتاب بقصة استشهاد النبي زكريا وموت هيرودس.

ومنها أيضاً إنجيل المصريين: ويقول عنه الكهنة المسيحيون إنه من الأناجيل الغنوصية ولهذا الإنجيل قيمة تاريخية فقط.

ومنها إنجيل بطرس: وقد اكتشف في دير أحد الرهبان بصعيد مصر وهو يروي آلام المسيح وموته ودفنه حسب التصورات المسيحية.

ومنها إنجيل توما: ويُنسب إلى الغنوصيين وكان له منزلة عند أتباع المانوية ويتناول قصة طفولة المسيح ومعرفته وعلومه ومعجزاته.

ومنها أيضاً إنجيل نقوديموس: ويتحدث عن محاكمة يسوع من قبل الرومان. ومنها أيضاً إنجيل فيلبس وهو أيضاً من أناجيل الغنوصيين.

وهناك مجموعة من الأناجيل التي تقول المصادر المسيحية إن واضعيها من الهراطقة منها إنجيل باسيليوس الغنوصي. وإنجيل أندراوس وإنجيل فالنتينوس وإنجيل مرقيون الهرطوقي وإنجيل يهوذا الاسخريوطي وإنجيل تداوس وإنجيل حواء وإنجيل كيرنتوس وإنجيل أبلوس. ولا تعترف المسيحية بإنجيل برنابا وتعتبره كتاباً مؤلفاً من قبل المسلمين كون القديس برنابا لا يعترف بألوهية المسيح ويرى أنه نبي فحسب ثم لا يعترفون به، كونه يبشر بنبي يأتي بعد المسيح اسمه أحمد أو محمد. فقصة الأناجيل وكثرتها قصة عجيبة غريبة ارتأت الكنيسة أن أربعة أناجيل هي الصحيحة وعلى المسيحيين أن يعتمدوها دون غيرها.

وما أحصيناه يبلغ العشرين إنجيلاً ولا يلتقي إنجيل مع آخر بشكل كلي. والنسب في الالتقاء قليلة وكثيرة في آن معاً، ويرجع ذلك إلى طبيعة الأحداث المسيحية وكيفية تناولها إضافة إلى أن كل إنجيل كُتب ودوّن في زمن يختلف عن الزمن الذي دوّن فيه إنجيل آخر.

فكيف يتم للباحث أن يتعامل مع هذا الكم الهائل من الأناجيل؟ فإذا كانت حسب ما يقوله الكهنوتيون من أن الأناجيل الأربعة هي وحي من الله فكيف يختلف الوحي من كتاب لآخر؟ أحياناً باللفظ وأحياناً بالمعنى وأحياناً بالتركيز على حدث دون حدث؟

وحين نتعرض للعلاقة بين الإنجيل والتوراة، بين العهد القديم والعهد الجديد، يصر أرباب الكهنوت المسيحي على جعل التوراة كما هي وبكل تحريفاتها المصدر الأول للعقيدة المسيحية. فكل ما ورد في العهد القديم من أسفار وحوادث وشخصيات تؤخذ كأنها الأساس الذي بني عليه التشريع المسيحي. ولعل أهم ما تراه المسيحية في العهد القديم تلك النبوءات التي تنبأ بها أنبياء التوراة كإشعيا وحزقيال وإرميا وخاصة تلك النبوءات التي ترمز لمجيء المسيح المخلص.

وعلى الرغم مما في العهد القديم من أساطير وتلفيقات للأنبياء ولذات الله وللحوادث فإن أصحاب الكهنوت المسيحي يرون فيها كلام الله المنزل على موسى والموحى إليه.

وعدم الإيمان بالعهد القديم والاقتصار على الإيمان بالعهد الجديد لا يجوز في العقيدة المسيحية وهو كفر بالعقيدة. ولذلك وضعوا التوراة والإنجيل في كتاب واحد. أطلقوا عليه الكتاب المقدس ويحوي العهدَ القديمَ ـ التوراة ـ والعهدَ الجديدَ ـ الإنجيل ـ، والإيمان المسيحي بالعهد القديم يعني الإيمان بيهوه

الإله المتصور من قبل بعض التوراتيين الذين رفضوا التعرف على الله الواحد الأحد واتخذوا يهوه إلهاً وزينوه بكل تصوراتهم الوثنية والشاذة والمنحرفة.

والأغرب من ذلك كله أن أتباع التوراة المحرفة من اليهود يرفضون الاعتراف بالإنجيل ويرفضون الاعتراف بالمسيح. فهو في نظرهم مارق وابن زنى وخارج على العقيدة التوراتية. ويصر المسيحيون على التمسك بالعهد القديم بصورته المحرفة المشوهة.

أما لماذا هذا التمسك؟ فغالبية الأمم لا تعرف، وحتى المسيحيون الشرقيون من عوام الناس لا يعرفون لماذا هذا الجمع بين الكتابين، ثم لماذا التمسك بالعهد القديم على الرغم من أنه كتاب عنصري مشوَّه ومنحرف تماماً عن عقيدة موسى التوحيدية.

ويأتي دور الفلسفة اللاهوتية لتطرق عالم التفسير الحرفي للعهدين القديم والجديد ويظهر أن مارتن لوثر والبروتستانتية رفضت تلك التقاليد المسيحية التي فرضتها الكنيسة الكاثوليكية. فكانت البروتستانتية ثورة على التقليد وغيرت في كثير من المفاهيم العقيدية التي رفضتها الكاثوليكية والأرثوذكسية.

ولكن تيار التحلل من التقاليد الصارمة للكنيسة استمر وانتشر حتى عمّ أوروبا الغربية والولايات المتحدة.

وتتصاعد الأفكار باتجاه التكفير فالبروتستانتية حركة يهودية صهيونية في نظر الأرثوذكس. والكاثوليكية (مخردقة) من داخلها حسب نظر الكنيسة الشرقية.

لكن الأهم من ذلك أن الفلسفة اللاهوتية توسعت باتجاه بعيد كل البعد عن تعاليم المسيح الأصلية. دخلتها الغنوصية، والمؤثرات الفلسفية اليونانية والهندية حتى أن الكثير من الباحثين رأوا تطابقاً أو تشابهاً متكاملاً بين المسيح وبوذا وبين

المسيحية والبوذية. وبذلك جعلوا المسيحية لا تخرج عن دائرة الوثنية.

ومع مرور ألفي عام على ميلاد المسيح حسب التأريخ الافرنجي نقف أمام كم هائل من التعاليم والمواقف المسيحية، تجاه المعاملات والعبادات، تجاه الرجل والمرأة والزواج والأطفال والتعميد، تجاه عالم الشيطان والقوى الخفية كالملائكة والجن والأرواح تجاه ما يسمى يوم الدينونة والقيامة والموت والبعث والنشور. وتجاه مستقبل البشرية ومستقبل الكون والمؤمنين والكافرين فيه.

إننا أمام عقيدة مر على نشوئها ألفا عام ومر على قيادتها وكهنوتها آلاف اللاهوتيين والفلاسفة والمصلحين وآلاف الكتب والمجلدات. ولن ندرك هذه العقيدة إن لم نضعها تحت المجهر، وإن لم نقارن نصوصها بنصوص العقائد الأخرى. ثم لن ندرك حقيقتها كما جاء بها المسيح إلا إذا وقفنا الزمن الطويل أمام نصوص القرآن الكريم الخاصة بالحديث عن النصرانية وأهل الكتاب.

ولن نفلح في التوصل إلى حقيقة العقائد إلا من خلال علم مقارنة الأديان. فهو الكفيل بتوضيح كل الغموض وكل الملابسات التي تلف القضايا العقيدية الحساسة لكافة العقائد والديانات وأشباه العقائد وأشباه الديانات.

أما في ما يخص الأجزاء والفصول فهي لكثرتها أثرنا أن نجمع ما يخص الجانب التاريخي في الجزء الأول من الكتاب. وما هو عقيدي في الجزء الثاني منه، والجزء الثالث خصصناه للعبادات والمعاملات أما الرابع فقد خصصناه لدراسة المسيحية كما هي عليه اليوم.

أما الفصل الأول من الجزء الأول ففيه بحث في الوضع الجغرافي والديني والاجتماعي لأرض فلسطين خاصة زمن الرومان الوثنيين الذين ظلوا جاثمين على الأرض العربية الفلسطينية حتى طردوا منها. وفيه دراسة للعقائد التي كانت منتشرة آنذاك في تلك الأرض. ومنها الوثنية الرومانية واليهودية على شتى

مذاهبها وكذلك العقائد الكنعانية. ويشمل تطرقاً للعقائد الموجودة آنذاك في مصر وسوريا وبلاد الرافدين وإيران والهند.

وفي هذا الفصل حديث مطول عن بني إسرائيل وعقيدتهم حتى مجيء السيد المسيح عليه السلام وكذلك وضعهم الديني والاجتماعي والسياسي في ظل الحكم الروماني ثم يشمل دراسة للتحريفات التي طرأت على عقيدتهم وشرحهم لنبوءات التوراة الخاصة بمجيء المسيح المنتظر ووضع المعابد والهياكل في ذلك الوقت. وفيه أيضاً نتناول شخصية النبي زكريا وكذلك ابنه يحيى وزوجته العاقر ودعوتهما لديانة التوحيد والتعبد المستمر في المعبد وفيه إيضاح لعلاقة زكريا وزوجته بامرأة عمران وابنتها مريم. والمؤامرة التي اشترك فيها اليهود والرومان لقتل النبيين زكريا ويحيى. وفيه حديث عن حاجة اليهود إلى نبي وبحثهم المستمر عن تحقيق نبوءة مجيء السيد المخلص. وفيه نتحدث عن امرأة عمران وابنتها مريم وعقيدتها التي كانت عليها حسب ما جاء في نص الإنجيل ونصوص القرآن الكريم وكذلك عن مريم منذ مولدها وحتى حملها بالسيد المسيح ومخاضها وولادتها وما لحق ذلك من معجزات وما تبع ذلك أيضاً من آراء حول ما يسمى الميلاد العذراوي أو المعجزة الإلهية. ونتطرق فيه لمعنى الروح القدس والنفخ والإرادة الإلهية في ذلك. والفروق الشاسعة بين التفسير المسيحي لذلك والقول القرآني وما يسنده من أحاديث رسول الله ﷺ وفي الفصل الثاني تخصيص للحديث عن ولادة السيد المسيح والمعجزة الإلهية طفولته. نطقه في المهد. رعايته منذ البدء وحتى بعثته وتكليف الله له بالدعوة ومن ثم بعثته ودعوته لبني إسرائيل والوثنيين الرومان. تنقله في البلاد. أعماله الجليلة وإحياء الموتى بإذن الله وعناد بني إسرائيل ومحاولة تعجيزه. ثم من هم الحواريون الذين اتبعوه. كيف لقنهم تعاليم الإنجيل. كيف دافع عن توراة موسى عليه السلام وكيف فضح تحريف اليهود للعقيدة. ثم كيف تآمروا عليه

وحاولوا الاعتداء على شخصه. وما لحق ذلك من مسألة الصلب والقتل وما فيها من فروق واضحة ودقيقة ما بين نصوص القرآن الكريم والأناجيل. انتهاء وجوده على الأرض وما يدور حول المسألة من تحليلات ونصوص. وكل ذلك على سبيل السرد التاريخي دون التحليل العقيدي لأن ذلك سيكون في الفصول الخاصة بالتحليل الدقيق للعقيدة النصرانية.

وفي الفصل الثالث نتناول الأناجيل. تاريخ كتابتها. توافقها واختلافها من هم الذين دونوها وفي أي زمن. لماذا اعتُمدت الأناجيل الأربعة دون سواها من الأناجيل ومن الذي قرر تبنيها هل هي المسيحية الغربية أم النصرانية الشرقية. هل حرفت هذه الأناجيل وكيف نكتشف التحريف إن كان فيها تحريف. هل كان برنابا تلميذاً للمسيح ولماذا يرفض المسيحيون إنجيله. هل حقاً أن الذي ألّف إنجيل برنابا رجل مسلم أراد من وراء تأليفه نفي الألوهية عن المسيح ومن ثم تبشير المسيح بالنبي محمد ﷺ؟ أعمال الرسل ورسائلهم. ما علاقتها بالإنجيل وهل هي موحى بها من الله؟

لغة الأناجيل. ترجمتها. انتشارها. جمعها في كتاب هي والتوراة في كتاب واحد ما الذي يربط التوراة بالإنجيل وكذلك ما الذي يربط الإنجيل الحقيقي بالقرآن الكريم؟

وفي الفصل الرابع نتناول ظهور الكنيسة لأول مرة في التاريخ. البابا ومهماته الكنسية. انفصال الكنيسة إلى شرقية وغربية. الاختلافات والاتفاقات. لماذا الفاتيكان في روما هو مرجع الكاثوليكية العالمية. اختراقات الكنيسة الغربية من قبل اليهود. تاريخ المذاهب النصرانية بروزها انتشارها. وحروبها مع بعضها. موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود في كافة العصور دور الكنيسة في حملات التنصير في آسيا وأفريقيا. الأساليب والإمكانات والوسائل.

الجزء الثاني ـ في العقيدة والمعتقد

ففي الفصل الأول من الجزء الثاني نتناول؟

المسيح بين الألوهية والإنسانية. وفيه نتناول نبوّة المسيح كما وردت في القرآن الكريم وألوهيته كما وردت في الأناجيل. الألوهية معناها حدودها صفاتها. الذات الإلهية التجسيد والتجسم. ألوهية الأشخاص كما عرفها الفراعنة والبابليون والبوذيون والبراهمة لماذا يكون المسيح إلهاً وليس نبياً. كيف دخلت مفاهيم الألوهية في العقيدة المسيحية وهل قال المسيح عن نفسه أنه إله؟. من ألّه المسيح؟ مفهوم النبوة الخاصة بالمسيح ماذا تقصد المسيحية من وراء تأليه المسيح. ابن الله كما تراه المسيحية. ماذا يعني مفهوم الأقانيم الثلاثة. ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة. المقاييس والموازين. مريم ما هو موقعها في المسيحية. هل هي أم الإله وكيف؟ أم هي أم النبي ولماذا؟ ما معنى التجسّد. وما موقعه في العقيدة المسيحية.. صلب المسيح وقتله حسب العقيدة النصرانية والرد القرآني عليها.. قيامة المسيح ورفعه إلى السماء. موقع المسيح بعد رفعه إلى السماء. معنى الفداء حسب النصرانية وما علاقته بذات الله معجزات المسيح في الميزان العقيدي حسب المفهوم المسيحي والمفهوم القرآني. هل يعود المسيح مرة أخرى إلى الأرض؟ ماذا يقال حول ذلك في العقيدة المسيحية وكذلك اليهودية وكذلك في العقيدة الإسلامية. التفسير البروتستانتي لعودة المسيح إلى الأرض وعلاقته باليهود. ماذا دوّن حول ذلك من أقوال وأساطير ونبوءات.

أما الفصل الثاني من الجزء الثاني فقد تناولنا فيه رؤية المسيحية للأنبياء والنبوة والرسل. مهماتهم دعوتهم. علاقتهم بالمسيح. ماذا يقول القرآن الكريم في ذلك محمد ﷺ في الكتاب المقدس كيف ولماذا؟

وفي الفصل الثالث من الجزء الثاني نتناول فيه عالم الغيبيات حسب النظرة

المسيحية. الملائكة. الجن. والمخلوقات الأخرى. الشيطان في نظر المسيحية. الموت والقبر. القيامة والنشور. ماذا يعني يوم الدينونة. . الحساب والعذاب. الجنة والنار.

وفي الفصل الرابع تناولنا المذاهب والفرق المسيحية من حيث عقائدها. اختلافها توافقها في مسائل الألوهية وعالم الغيبيات والنبوة وما شاكل ذلك. ثم صراعها مع بعضها وتدخل التفسيرات الفلسفية اللاهوتية في تدعيم مواقفها.

وفي الفصل الخامس نتناول دور الفلسفات الوضعية في تطوير العقيدة المسيحية. إلى جانب التأثر والتأثير بين المسيحية وغيرها من العقائد الكبرى والصغرى، الإقليمية والعالمية. ثم نتناول المؤتمرات اللاهوتية ودورها في تطوير العقيدة المسيحية في العالم.

الجزء الثالث: المعاملات والعبادات

لا شك أن في كل عقيدة عبادات ومعاملات. وسنتناول في الفصل الأول من الجزء الثالث عبادات المسيحية ونقارنها بغيرها من عبادات الشعوب الأخرى. . وندرس فيها الصلوات مواقيتها وماذا يقال فيها. وفيه أيضاً دراسة لطبيعة المعبد في النصرانية. . الشكل الداخلي والخارجي الأيقونات الرسومات والتماثيل وكل ما يتعلق بالمعبد أو الكنيسة. ما الفرق بين الكنيسة المسيحية والكنيس اليهودي. ما معنى المذبح. التابوت. . البخور...

وفي الفصل الثاني نتناول مراتب الرهبنة في العقيدة المسيحية. دور الكهنة في الديانة النصرانية. معنى الرهبنة. المرأة والرهبنة حدودها. أعمالها. كيف يتم انتخاب البابا ما هي مواصفاته. ماذا قال القرآن الكريم عنها. البابا ماذا يعني. دوره في قيادة الكنيسة. إرشاداته. تصوراته. أوامره. زياراته جولاته. ميزانية الكنيسة ومصروفاتها. دور الحكومات والدول المسيحية في دعم الكنيسة

وحملاتها التنصيرية. الفروق بين الكنيسة الغربية والشرقية، الفروق بين كنائس المذاهب المسيحية المختلفة في الشكل والمضمون والموقع.

وفي الفصل الثالث نتناول مجمل العبادات بدءاً من الختان والطهارة والنجاسة والصوم والقرابين والأعياد والمناسبات. وفيه أيضاً نتناول مسألة التأريخ بميلاد المسيح وما لها من أثر في حياة المتعبدين المسيحيين.

وكرسنا الفصل الرابع لدراسة بعض التشريعات الفقهية في العقيدة النصرانية وهي تتعلق برؤية العقيدة المسيحية لحدود الحرام والحلال. كالقتل والزنى وشرب الخمر والقمار ولحم الخنزير والربا.

وفي الفصل الخامس تناولنا العقوبات التي تفرضها العقيدة النصرانية على كافة المخالفات والخروقات الفردية والجماعية. عقوبة المرأة. عقوبة الرجل. عقوبة القتل. الخيانة الزوجية. السرقة. وكل العقوبات المفروضة على المتجاوزين حدود الشريعة النصرانية. عقوبة أبناء العقيدة وعقوبة غيرهم. نظرة المسيحية للأغيار وعقوباتهم. هل هناك تأثر بالعقوبات اليهودية. وفيه أيضاً موقف الكنيسة من الإجهاض والاسترقاق واللقطاء والحروب والاغتصاب والتبني وفيه أيضاً نظرة المسيحية للمرأة والمعاملات البشرية في التجارة والربح والزراعة وموقفها من العلوم الوضعية والفلسفات الإلحادية كالماركسية وغيرها.

ثم ما هي نظرة المسيحية للمسلمين والإسلام ونبوة محمد ﷺ وكيف يُعامل غير المسيحي في حالتي السلم والحرب.

الجزء الرابع: المسيحية كما هي اليوم

- محاولات التثبيت والاستمرار.

- المسيحيون الغربيون يقبلون على الإسلام.

- المسيحية المعاصرة ومواقفها من الأزمات الدولية والحروب.

البوسنة. فلسطين. الشيشان. أندونيسيا. دول أفريقيا.

- حملات التنصير وكيفية مواجهتها.

- حوار الأديان ماذا يعني وما هي حدوده.

- المسيحية الشرقية والمسيحية الغربية.

- دعوة إلى عقيدة التوحيد والتخلص من آثار الوثنية واليهودية.

الفصل الأول

الوضع الجغرافي السياسي الاجتماعي والديني في فلسطين منذ عام ٥٣٨ ق.م حتى بعثة المسيح



تشير كافة الدراسات التاريخية والجغرافية وكذلك المعطيات الاجتماعية إلى أن فلسطين قبل مولد السيد المسيح عليه السلام جزء طبيعي من سوريا الكبرى التي أُطلق عليها بلاد الشام.

وتمتاز بموقع جغرافي مهم، حيث تقع في ملتقى قارتي آسيا وأفريقيا. وحيث البحر المتوسط الذي يصلها غرباً بأوروبا. وبشكل عام فهي على الطريق الذي يصل بادية الشام والجزيرة العربية بالبحر المتوسط. ومن الطبيعي أن يلعب الموقع الجغرافي دوراً تاريخياً مهماً لفلسطين. فهي تقع على مرمى الإمبراطوريات القديمة كمصر والبابليين والفرس واليونان والروم.

استولى الفرس على فلسطين عام ٥٣٨ ق.م. وبدءاً من هذا التاريخ بدأ التسرب اليهودي الثاني إليها[١] إذ أطلق الفرسُ اليهودَ ليتسربوا إلى فلسطين بعد أن أمضوا في السبي البابلي مدة سبعين عاماً.

وتثبت المصادر التاريخية أن اليهود ساعدوا الملك كورش الفارسي في حربه ضد البابليين مما جعله يؤيد تسربهم إلى فلسطين، خاصة أنهم زوجوه من أستير اليهودية التي كانت تؤثر فيه وفي توجهاته السياسية والتوسعية والتصفوية[٢].

والواقع أن قسماً من اليهود تسرب إلى فلسطين بينما آثرت الأغلبية البقاء في العراق والذهاب من جديد إلى مصر.

حاول سكان جنوبي الشام - فلسطين - الذي كان يقطنه آنذاك الفينيقيون والآراميون والفلسطينيون أن يقاوموا هذا التسرب لأنهم وجدوا فيه خطراً

---

(١) تم التسرب الأول في زمن يشوع حوالي ١٢٥٠ ق.م حسب قول التوراة.

(٢) ورد ذلك في سفر إستير من التوراة.

يتهددهم من جديد. إلا أنهم فشلوا جزئياً بسبب سلطة الفرس العسكرية على البلاد. وتذكر التوراة أن اليهود الذين تسربوا إلى فلسطين بعد السبي البابلي وجدوا معارضة شديدة من قبل سكان البلاد الأصليين في تشييد هيكل جديد في القدس. وظلوا يحاولون تشييد هذا الهيكل مدة عشرين عاماً.

واستعمل كورش اليهود المتسربين إلى فلسطين عملاء وجواسيس يراقبون تحرك المصريين ويقدمون المعلومات للفرس كي يسهلوا لهم احتلال أراضٍ من الإمبراطورية المصرية وما جاورها.

وقد كانت جميع بلاد الشام مع قبرص تؤلف الولاية الخامسة من الإمبراطورية الفارسية ومركزها دمشق. وقسمت هذه الولاية إلى خمسة أقسام، منها قسم لواء العربية ويعني بذلك فلسطين وشرقي الأردن، والصحراء المتاخمة لها بما فيها بادية الشام. وكان حكامها من الوطنيين أهل البلاد ولهم سلطة واسعة في إدارة الشؤون الإدارية والمحلية[1]. وحكم الفرس حوالي مائتي عام آخرها سنة ٣٣٢ ق. م. ثم خضعت إلى حكم الاسكندر المقدوني عام ٣٣٠ ق. م.

مع قدوم الاسكندر إلى فلسطين رحب اليهود به وبجيوشه ونفضوا أيديهم من الفرس وفي عام ٣٢٣ ق. م مات الاسكندر مخلفاً وراءه قادة يختصمون. فانقسمت دولته وخضعت فلسطين للبطالسة منذ عام ٣٠١ ق. م حتى عام ١٩٨ ق. م. ثم ما لبثوا أن تراجعوا أمام السلوقيين وخضعت فلسطين لهم.

وفي عهد البطالسة حاول بطليموس الرابع بعد إنتصاره في موقعة رفح عام ٢١٧ ق. م نشر المدنية اليونانية بين اليهود. ولما أبوا عليه زاد في الضرائب المفروضة عليهم ولما انتقل الحكم إلى السلوقيين استمر هؤلاء في التشديد على اليهود لقبول آدابهم وحضارتهم مما أدى إلى ظهور حزبين يهوديين. حزب

---

(١) مصطفى مراد الدباغ. بلادنا فلسطين جـ١، صفحة ٥٨ ـ ٥٨٧.

اقتدى باليونان وأخذ يقتبس جميع مظاهر الحياة اليونانية من آراء جديدة وحرية. وحزب آخر كان يقبح ذلك ويتعصب لعقائده الدينية القديمة ويتشبث بالبقاء على أساليب الحياة اليهودية التي درج عليها[1].

ولما ظهرت روما وتمكنت من الانتصار على أعدائها أخذت العلاقات تنشأ بينها وبين المكابيين اليهود الذين ثاروا ضد اليونان وأسسوا لأنفسهم دويلة صغيرة في بعض أجزاء فلسطين. بدأت هذه العلاقات بمصادقة المكابيين للرومان. ثم تطورت إلى سيطرة الرومان على المكابيين، وانتهت باستيلاء الرومان على فلسطين. كما استولوا على الأقسام الأخرى من بلاد الشام. وأخيراً وفي عام ٦٤ ق. م تمكن القائد الروماني بومبي أن يضع حداً نهائياً للمملكة السلوقية ويستولي على سوريا.

وتجدر الإشارة هنا أنه في عهد حكم السلوقيين لديار الشام أنشأ العرب فيها حكومتين، الإيطورية في البقاع ولبنان وشمالي فلسطين، والأنباط في البتراء. وتذكر صفحات التاريخ أن الإيطوريين كانوا من العرب العدنانية، وقد حاربوا اليهود عندما أقاموا أول أمرهم في الأردن. ثم اتجهوا نحو لبنان وأسسوا لأنفسهم دولة.

ثم شمل سلطانهم البقاع وحوران والجولان وفلسطين الشمالية وكانت عاصمتهم مدينة عنجر الحالية وعرفوا ببأسهم وحذقهم في رمي السهام. توغلوا في لبنان الشمالي حتى وصلوا إلى طرابلس التي أضحت مركزاً لهم في هذه الجهات. وقد أُخضعوا للرومان وألحقوا دولتهم بسوريا[2].

وعندما قدم الرومان إلى سوريا واحتلوها وجدوا أن سوريا في قسمها

---

(١) مصطفى مراد الدباغ. بلادنا فلسطين جـ١، صفحة ٥٩٩.

(٢) مصطفى مراد الدباغ. بلادنا فلسطين جـ١، صفحة ٦٠٢.

الجنوبي كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسم تحت نفوذ المكابيين. وقسم تحت حكم العرب الأنباط وقسم يعرف بالمدن اليونانية.

وقد ترك الرومان حكام البلاد الوطنيين يدبرون شؤون مقاطعاتهم وكان فيهم زعماء من العرب يحكمون بعض المدن في شمالي سوريا. وكان على جميع المسؤولين في المدن والمقاطعات أن يرجعوا إلى الحاكم العام في أمورهم السياسية والقضائية وأن يدفعوا الضرائب المطلوبة وأن يقدموا الجند عند الحاجة[1].

وقبل مولد المسيح عليه السلام بحوالي خمسين عاماً بدأ نفوذ المكابيين يزداد ويتسع حتى أن روما منحت سيد فلسطين الحقيقي المدعو أنتيباتر صفة المواطنة الرومانية بعد أن ساعدهم في حربهم ضد المصريين الذين حاربوا يوليوس قيصر آنذاك ففي عام ٤٨ ق. م أصبح أنتيباتر نائباً للإمبراطور على فلسطين مع بقاء هركانوس رئيساً للكهنة ورئيساً لطائفته في الظاهر.

وفي عام ٣٧ ق. م دخل الرومان القدس بعد قلاقل حدثت هناك وعيّنوا هيرودس بن أنتيباتر ملكاً على اليهود. وهو آدومي أمه عربية نبطية. وقد قضى على حكم المكابيين. وفي عهده وطد حكم الرومان وبنى مدينة نابلس من جديد إضافة لعدد من المدن مثل قيسارية وزينها بالمسارح والملاعب والهياكل والتماثيل. وظل قائماً على حكم فلسطين حتى مولد المسيح عليه السلام. وفي عهده شيدت عدة مدن بأسلوب حضاري متقدم على الرغم من أن اليهود كانوا يكرهونه بسبب كونه عربياً وليس من العبرانيين. لكنه استطاع دوماً أن يحدّ من غلوائهم وأحقادهم. خاصة أنه كان ذا مكانة خاصة عند الإمبراطور الروماني والرومان بشكل عام.

---

(١) المرجع السابق ص ٦٢٠ ـ ٦٢١.

وإذا نظرنا إلى الوضع الاجتماعي والسكاني لفلسطين قبل بعثة المسيح . وجدنا أن السكان كانوا يتشكلون من خليط متباين . ففي فلسطين ظل أهلها الكنعانيون يشكلون السكان الأصليين للمنطقة . وكان جل اهتمامهم ينصب على التجارة البحرية والزراعة . وهناك اليهود الذين قدموا من العراق بعد السبي البابلي وكانوا يسكنون في بعض المدن والقرى يزاولون تجارة الذهب والتجارة بشكل عام . وفي كافة مدن فلسطين وقراها كانت هناك حاميات رومانية يتشكل معظم سكانها من الجنود .

وقد انعكس الوضع الجغرافي والسياسي والاجتماعي على الوضع الاقتصادي حيث نرى أن الأنباط لعبوا الدور التجاري الأول في ذاك الوقت . وكانت فلسطين تصدر إلى مصر النبيذ والعسل والزيت والتين إضافة للقار ـ الزفت ـ والبخور والزعفران والعبيد وجلد النمر . وكان للحروب الكثيرة المتتالية أثر كبير في تغذية أسواق الرقيق بما تدفق إليها من أسرى الحروب .

وفي زمن البطالمة كانت توجد ثلاثة أنواع من العملة المتداولة في فلسطين من الذهب والفضة والبرونز . أما العملة الفضية فكانت هي القاعدة الأساسية وأكثرها شيوعاً وقد تقدمت الصناعة والزراعة في فلسطين في العهد اليوناني تقدماً ملموساً . وقد نشطت زراعة الكرمة والزيتون والفواكه والخضار بالتحسين والتقدم .

وكانت فلسطين تأتي بعد مصر في تموين الأسواق العالمية بالبردي الذي يصنع منه الورق . وبشكل عام كان جميع سكان سوريا آمنين من أي ضيق يتعلق بضرورات الحياة بسبب الوفرة الكبيرة التي تقدمها بلادهم .

وقد اشتهر في عهد اليونان عدد من الشعراء مثل الشاعر (ملاجر) ١٤٠ ـ ٧٠ ق . م وكان عربياً آرامياً أتقن اللغتين الفينيقية واليونانية . وكذلك اشتهر الفيلسوف أنطيوخس العسقلاني الذي أسس عدة أكاديميات في الإسكندرية وأثينا .

والواقع أن فتح الإسكندر لبلاد الشام لم يغير في البلاد شيئاً. وظل سكان سوريا بما فيها فلسطين يتشكلون من الآراميين والكنعانيين العرب ومن بعض اليهود ومن بقايا الأمم الفاتحة كالآشوريين والمصريين والبابليين والحثيين والفرس وغيرهم[1].

أما الحياة الثقافية فقد تميزت أولاً بانتشار اللغة الآرامية منذ القرن السادس ق.م وحتى نهاية القرن الثامن بعد المسيح عليه السلام. وهذه اللغة كانت لغة السيد المسيح حيث كانت اللغة التي يتفاهم بها شعوب الأمم الحية في القرون الأولى قبل الميلاد من إيران شرقاً إلى سوريا غرباً ومن آشور شمالاً إلى فلسطين جنوباً. ولم تزل اللغة الآرامية حتى الآن لغة الطقوس الكنسية لمعظم نصارى الشرق الأدنى من نساطرة ويعاقبة وسريان وكاثوليك وموارنة[2].

وقد اعتنق الآراميون المسيحية منذ القرن الأول للميلاد واختاروا اسم سريان سوريين تماشياً من الاسم الآرامي الذي كان رمزاً للوثنية.

ويمكن القول بأنه تناوبت في فلسطين منذ أقدم الأزمنة التاريخية حتى اليوم ثلاث لغات وهي الكنعانية والآرامية والعربية الحديثة[3].

---

(١) مصطفى الدباغ بلادنا فلسطين صفحة، ٦٠ سبق ذكره.

(٢) تتألف الطائفة المارونية من عناصر لبنانية مسيحية مختلفة أما الجراجمة الذين كانت منازلهم في جبل خوروس بدأوا يتسللون إلى سوريا منذ ولاية معاوية بن أبي سفيان عليها وفي عام ٦٨٥م اجتاحوا لبنان واستقروا فيها. وبعد اندماجهم بسكانه من أبناء دينهم النصارى أصبحوا يعرفون بالمردة وأسفر الاندماج عن قيام الطائفة المارونية وتنسب إلى قديسها مارون الذي عاش في أواخر القرن الرابع ومات حوالي ٤١٠م في شمال سوريا.

(٣) مصطفى الدباغ. بلادنا فلسطين صفحة ٦١١ مر ذكره.

الحياة الدينية لسكان فلسطين قبل بعثة المسيح عليه السلام

قلنا إنه تعاقبت على احتلال فلسطين عدة إمبراطوريات وهي الفرس واليونان والرومان. وقلنا إن سكان فلسطين كانوا من الكنعانيين وبعض اليهود. وقد حملت كل إمبراطورية عقائدها الدينية إلى فلسطين كما يفعل كل غازٍ يغزو أي بلد من البلدان.

فالفرس الذين أتوا إلى فلسطين في منتصف الألف الأخيرة قبل ميلاد المسيح حملوا معهم عدة عقائد وكانت عقيدتهم الرئيسية هي عبادة النار والإيمان بإلهين للخير والشر كما أنهم تعاطفوا مع عقائد اليهود الذين كانوا مسبيين في بابل وساعدوهم على التسرب إلى فلسطين.

ولا تعطينا المصادر التاريخية شيئاً عن فرضِ الفرس لعقائدهم على من كان يسكن فلسطين وهذا يفسح لنا المجال لنقول إن عقائد الكنعانيين سكان الأرض الأصليين ظلت كما هي. أي أنها تؤمن بالإله إيل والإله بعل والإلهة عناة. وبمعنى آخر لم يطرأ جديد على ديانة الكنعانيين حتى هذا الوقت.

وقد سلطت الدراسات أضواءها على عقائد اليهود الذين عادوا يتسربون إلى فلسطين ومنذ بداية هذا التسرب حتى بروز المسيح عليه السلام تقلبت الأمور العقيدية عند اليهود وشهدت حوادث كثيرة وتقلبات متعددة.

تقول المصادر التوراتية وكذلك المصادر المسيحية المستندة على ما جاء به التوراتيون بأن اليهود عندما بدأوا التسرب الثاني حاولوا إصلاح ما يسمى الهيكل وتقديم الذبائح، لكنهم وجدوا أنفسهم وسط شعوب كثيرة ومتنوعة

وخاصة في السامرة ومدن الشمال التي امتلأت بأعداد كبيرة من جنسيات وبلاد مختلفة. وتقول هذه المصادر إن من تواجدوا في السامرة ـ نابلس ـ والمدن الشمالية اندمجوا مع الشعوب الأخرى بسرعة أكثر مما حدث لليهود في منطقة القدس والخليل.

حاول بعض اليهود التمسك بالناموس وتطبيقه في حياتهم العملية ولذلك تعرضوا حسب ما تقول تلك المصادر لمضايقات عنيفة من قبل اليونان والرومان الذين أتوا بعد الفرس وفي زمن الآشوريين والبابليين ثم الفرس واليونان انتشرت في فلسطين العبادات الوثنية وشيدت في كل مدن فلسطين معابد وهياكل لآلهة عديدة. وقد ضعفت ديانة يهوه واضطهدت ولم تعد في كثير من الأحيان ديانة من الديانات الأخرى الموجودة في البلاد.

وتذكر المصادر أنه في عام ١٦٧ ق.م قام انطيخوس الرابع بوضع تمثال للإله جوبيتر الألومبي في المكان الذي كان فيه مذبح التقدمة. وبهذا العمل وحسب رأي اليهود أنه نجّس الهيكل وأهان الإله القدير وقد تحدث دانيال بنبوءة من نبوءاته عن ذلك وفي عام ٤٠ ق.م أمر الإمبراطور الروماني جاليجولا بوضع تمثال روماني في ما يسمى الهيكل وقد أصدر الإمبراطور أنطيخوس قراراً يمنع فيه اليهود من تقديم الذبائح أو العبادة ليهوه[١].

وفي عام ١٦٦ فرض الإمبراطور على اليهود عدم ممارسة أي طقوس أو شرائع دينية وأصدر أمراً بعدم ختن الأطفال وأرغم اليهود على أكل الخنزير وألغيت عبادة يهوه وفرض تقديم الذبائح للإله زايوس الألومبي.

وفي سنة ١٤٠ ق.م حاول بعض اليهود تعيين رئيس للكهنة يدعى يوناثان ولأنه ليس من نسلٍ هاروني رفض يهود آخرون ذلك. وهذه الحادثة ولّدت حركة

---

(١) القس الدكتور حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي صفحة ٧٠ المجلد الأول.

أو طائفة سُميت فيما بعد بطائفة الفريسيين (الانفصاليين) وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم الأتقياء. وخرجت عنهم طائفة يهودية اعتقدت أن العالم المعاصر وقتئذ ضل الطريق الصحيح السليم فيجب الابتعاد عنه فذهب أتباع هذه الطائفة إلى وادي قمران حيث كونوا جماعة كانت تقضي وقتها في الصلاة والتأمل والانتظار ويُطلق على هذه الجماعة الآسينيين الذين كنا نجهل الكثير عنهم قبل اكتشاف مخطوطات قمران. ويُظن أن عدد الآسينيين قد بلغ ٤٠٠٠ عضو كانت غالبيتهم في وادي قمران[١].

ويذكر أنه أثناء بدء بعثة السيد المسيح عين أحد الرومان واسمه كايوس إمبراطوراً على الدولة الرومانية وقد دعا نفسه إلهاً. وقد بطش باليهود بطشاً كبيراً. واتخذ لنفسه أماكن عبادتهم في مدن كثيرة. وبدأها بمدينة الإسكندرية. فملأ هذه الأماكن بتماثيل وصور لشخصه. أما الهيكل في القدس فقد غيره إلى هيكل لنفسه ليدعى هيكل جوبيتر (المشتري) المنظور كايوس الأصغر[٢].

وتقول المصادر أنه لما أرسل بيلاطس إلى اليهودية والياً من قبل طيباريوس حمل إلى القدس ليلاً تماثيل للإمبراطور دعيت رموزاً. وفي اليوم التالي أحدث هذا أعظم اضطراب بين اليهود لأن القريبين اضطربوا من المنظر لما رأوا نواميسهم تُداس بالأقدام. وقد حلت باليهود مصيبة أخرى حسب ما يقوله المؤرخ اليهودي يوسيفيوس فيقول في ذلك: «بعد هذا أثار فتنة أخرى باستخدام الأموال المقدسة التي تدعى (قربان) لإنشاء قناة ماء طولها ثلاثمائة ستاديا. (أي ستة آلاف متر)».

وقد ادعى الألوهية في هذا العهد عدد من الكهنة والرجال وكان أحدهم

---

(١) المصدر السابق صفحة ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) يوسا بيوس القيصري. تاريخ الكنيسة ترجمة القمص مرقص داود صفحة ٦٠.

يدعى سيمون وهو سامري من قرية جت وقد اتبعه بعض الناس بما قام به من أعمال سحرية مستعيناً حسب قول المصادر المسيحية واليهودية بالشياطين وقد اعتبر في مرحلة من المراحل إلهاً. وصار كل السامريين تقريباً وقليلون حتى من الأمم الأخرى يعترفون به ويعبدونه كالإله الأول. وجالت معه في ذلك الوقت امرأة تدعى هيلانة كانت سابقاً عاهرة في مدينة صور من أعمال فينيقية وهم يدعونها الفكرة الأولى التي برزت منه[١].

ويتضح أن اليهود وبعض الرومان قد اتبعوا هذاالمتأله سيمون ومنذ عصره حتى بعد انتشار النصرانية في أوروبا كان الذين اتبعوه قد تظاهروا بفلسفة المسيحية على أنهم بعد ذلك رجعوا ثانية لخرافات الأوثان التي تظاهروا بأنهم نبذوها وصاروا يخرون أمام صور وتماثيل سيمون نفسه وهيلانة السابق ذكرها التي رافقته. ويتجاسرون على عبادتها بالبخور والذبائح والسكائب.

وقد حدثت نزاعات بين كهنة اليهود أنفسهم وبينهم وبين بقية الجماهير اليهودية وبلغت وقاحة الكهنة وجرأتهم حداً بعيداً حيث تجاسروا على إرسال خدمهم إلى البيادر لاغتصاب العشور المستحقة للكهنة وهكذا صار الفقراء من الكهنة يتضورون جوعاً[٢].

وتقول المصادر التاريخية إنه عند بدء بعثة السيد المسيح ظهر في القدس نوع معين من اللصوص كانوا يقتلون كل من لقوه نهاراً في وسط المدينة لأنهم كانوا يختلطون بالجماهير سيما في الأعياد ويطعنون أعاظم الناس بسيوف قصيرة كانوا يخفونها تحت ملابسهم. فإذا ما سقطوا صار القتلة أنفسهم وسط الذين يُظهرون استياءهم فلا يفتضح أمرهم بسبب الثقة التي نالوها من الجميع. وقد

---

(١) المرجع السابق ص٦٨.

(٢) المرجع السابق صفحة ٨٠.

قتل هؤلاء اللصوص عدداً من كهنة اليهود منهم يوناثان رئيس الكهنة .

وفي هذا العهد أيضاً ظهر بعض الذين ادعوا النبوة . ومن هؤلاء متنبئ مصري أوحى للناس أن يؤمنوا به كنبي . وجمع نحو ثلاثين ألفاً ممن خدعهم واقتادهم من البرية إلى جبل الزيتون الذي تأهب للدخول منه إلى القدس عنوة وتحطيم الحامية الرومانية .

والواقع أن عقائد اليهود قبل بعثة المسيح وبعدها مباشرة كانت مضطربة جداً . فهي لم ترتبط حتى بتعاليم كهنة العقيدة اليهودية . فتارة يغشاها السحر والأساطير وتارة يقودها مدعٍ للألوهية وتارة أخرى يقودها ساحر يخدع جماهيرها بأنه نبي .



الفصل الثاني

من زكريا إلى ولادة المسيح



النبي زكريا وابنه النبي يحيى وعلاقتهما بمريم والمسيح عليه السلام

لم تتعرض التوراة للحديث عن النبي زكريا كنبي من أنبياء بني إسرائيل لأن التوراة دُونت قبل مجيئه بكثير. ولكن مصادر أخرى يهودية ونصرانية تحدثت عنه وأسهبت، كونه جاء في عصر بعثة المسيح عليه السلام. وقد ارتبطت سيرته بسيرة ابنه النبي يحيى الذي تطلق عليه المصادر المسيحية اسم يوحنا المعمدان. وكذلك ارتبطت سيرته بسيرة أم مريم ومريم والدة السيد المسيح. ولما وجدنا اختلافات بين ما جاءت به المصادر المسيحية وما جاء به القرآن الكريم فقد كان من المحتم دراسة شخصيته وشخصية ابنه كما وردت في النصوص المشار إليها حتى تتضح معالمها وزمنها ومكانها.

لقد سجلت التوراة سفراً باسم زكريا ورقم السفر في العهد القديم هو الثامن والثلاثون حسب ترتيب التوراة. ولكن تدوين التوراة الذي تم أيام السبي البابلي يؤكد لنا أن زكريا الذي له سفر وُجد قبل زكريا النبي الذي ورد ذكره في القرآن الكريم والمصادر النصرانية بأكثر من خمسمائة سنة على الأقل وتؤكد كافة المصادر أن السفر مكتوب في زمن دايوس الفارسي.

أما قاموس الكتاب المقدس فيقول عن زكريا الذي نبحث عنه: إنه كان كاهناً من فرقة أبيا. وهو أبو يوحنا المعمدان. وقد ذكرت صفاته وصفات امرأته بأبسط العبارات وأتمها وضوحاً. وكان كلاهما ورعَين بارّين سالكين في جميع الوصايا وباذلين وسعهما ليحصلا على نعمة الروح القدس. أما مولد يوحنا

فأعلن عنه بطريقة عجيبة خارقة للعادة. فلم يصدق زكريا بل شك وطلب علامة غير اعتيادية دفعاً لما في نفسه من الريبة فكانت آيته أنه فقد قوّة النطق وبقي صامتاً إلى اليوم الثامن بعد ميلاد الصبي. إذ دعاه يوحنا حسب قول الملاك له. وفي الحال انطلق لسانه وعاودته قوة النطق فأخذ يشكر الله ويحمده مملوءً من الروح ومسبحاً الرب بنشيد أشبه بالتسابيح العبرانية القديمة[1].

وقد وردت عدة أمور عن النبي زكريا وابنه يحيى في إنجيل لوقا.

ففي الإصحاح الأول يرد: (كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيّا وامرأته من بنات هارون واسمها أليصابات. وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ولم يكن لهما ولد إذ كانت أليصابات عاقراً وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما. فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر. وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجاً وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا. ويكون لك فرح وابتهاج. وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب. ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس ويردّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم إليهم بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيء للرب شعباً مستعداً فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأُرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٤٢٨.

اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا متعجبين من إبطائه في الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يُوحي إليهم وبقي صامتاً[1]. ولما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته. وبعد تلك الأيام حبلت أليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة هكذا فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلي لينزع عاري بين الناس). لوقا ١ : ٢٣ - ٢٥.

وينتقل إنجيل لوقا إلى الحديث عن مريم العذراء وحملها وكل ما يتعلق بولادة المسيح عليه السلام.

فالحديث عن زكريا في إنجيل لوقا لا يماثله ما جاء في إنجيل مرقص حيث أن هذا الإنجيل يتحدث مباشرة عن بعثة المسيح وتجواله لهداية بني إسرائيل. وكذلك لو نظرنا في إنجيل متى وجدنا أن الحديث في الإصحاح الأول يدو عن نسب عيسى عليه السلام وعن مريم وخطيبها يوسف ثم حملها من الروح القدس كما يقول الإنجيل وإنجيل يوحنا يتحدث في الإصحاح الأول عن فلسفة الألوهية والتجسد ثم عن لقائه بالمسيح والتعاليم التي قالها.

وكما يقر اللاهوت المسيحي فإن إنجيل متى كتب لليهود وإنجيل مرقص كتب للرومان وإنجيل لوقا كتب لليونان وإنجيل يوحنا كتب للعالم المسيحي[2].

ونعود إلى النص القرآني وكيف تناول قصة النبي زكريا وابنه يحيى عليهما السلام ففي سورة مريم قال الله تعالى:

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً

---

(١) إنجيل لوقا. الإصحاح الأول، ٥ - ٢٢.

(٢) الإنجيل بحسب القديس متى. القمص تادروس يعقوب ملطي ص١٨.

خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [مريم ١ - ١٥].

وقد ورد الحديث عن زكريا في سورة آل عمران فقال تعالى:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران ٣٧ - ٤١].

فحوادث القصة بشكل عام هي نفسها كما وردت في إنجيل لوقا وفي

القرآن الكريم وتبقى الاختلافات في المفاهيم وفي بعض الأمور الأخرى.

فزكريا نبي مرسل حسب نص القرآن الكريم. بينما حسب ما قاله لوقا في بداية الإصحاح الأول من إنجيله فإن زكريا كاهن يكهن للرب ولكن الصفات التي أطلقها لوقا على زكريا هي صفات الأنبياء (وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه) وفي القرآن الكريم ورد أن زكريا كان قائماً يصلي في المحراب. بينما في إنجيل لوقا دخل إلى هيكل الرب وبخر. وظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور. وصمته عن الكلام هو نفسه في نص لوقا ونص القرآن الكريم. غير أن الاختلاف يقع في مدة عدم نطق زكريا. فالقرآن الكريم حدد ثلاثة أيام أو ثلاث ليال بينما جعل لوقا المدة أطول حيث جعلها إلى اليوم الذي يكون فيه هذا. أي عندما يأتي ابنه يحيى إلى الوجود.

ويستدل مما ورد في إنجيل لوقا أن اليهود في ظل الحكم الروماني كانت لهم طقوسهم وعاداتهم الدينية. وقد كان المعبد الذي يقدسون فيه موجوداً. لكن ورود كلمة محراب في القرآن الكريم يدل على أن زكريا كان على ديانة التوحيد التي كان عليها بقية الأنبياء السابقين. ولم يورد القرآن الكريم كيفية موت زكريا أو يحيى عليهما السلام واقتصرت الآيات على الحديث عن علاقة واضحة بينهما وبين مريم بنت عمران وأمها.

وقد جاء في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا تفصيل لولادة أم يحيى وتسميته واستغراب اليهود من اسمه (يوحنا) ثم تحدث عن تأييد الله له. وهناك إشارات تدل على أن يوحنا (يحيى) نبي وليس كاهناً فقط. (وأنت أيها الصبي نبيَّ الله تدعى) لوقا ١ : ٧٦ بينما لم يشر الإنجيل باللفظ إلى نبوة زكريا.

وترد في إنجيل لوقا قصة قتل النبي يحيى على يد الملك هيرودس وزوجته الخائنة هيروديا بعد أن رفض يحيى عقد قرانهما لأن هيرودس اختطفها من

زوجها وهو أخوه وأراد الزواج منها. فانتقمت هي وهدريان منه وقال لوقا بأنه قطع رأس يحيى.

أما عن العلاقة التي تربط النبي زكريا وابنه يحيى بامرأة عمران وابنتها مريم والسيد المسيح عليه السلام. فهي تبدو في القرآن الكريم علاقة تواصل وقربى وإن لم يصرح بتسمية هذه العلاقة وصفتها.

وقد جاء في سورة عمران بقوله تعالى:

﴿وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾. وكفلها تعني ضمها إليه. يورد المفسرون المسلمون أن أمها لما ولدتها أي مريم لفتها بخرقة وأتت بها الأحبار سدنة بيت المقدس وقالت دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا عليه السلام أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا لا حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فأخذها. وبنى لها غرفة في المسجد بسلّم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف[1].

وقد أشارت آية من القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى مخاطباً رسوله العظيم محمداً ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[آل عمران ٤٤].

ويرد في إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام قال عن يوحنا (يحيى) كلاماً لا يصح إلا بالأنبياء (فلما مضى رسولاً يوحنا ابتدأ يقول للجموع عن يوحنا: ماذا

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محمد طه الدرة، المجلد الثاني ص١٢٢.

خرجتم إلى البرية لتنظروا أقصبة تحركها الريح بل ماذا خرجتم لتنظروا إنساناً لابساً ثياباً ناعمة هوذا الذين في اللباس الفاخر والتنعم هم في قصور الملوك. بل ماذا خرجتم لتنظروا، أنبيّاً نعم أقول لكم وأفضل من نبي. هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك. لأني أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان) لوقا ٧ : ٢٤ ـ ٢٨.

وتحدث إنجيل متى وإنجيل مرقص عن قصة استشهاد يحيى عليه السلام. وذلك في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل متى والإصحاح السادس من إنجيل مرقص. وقد أوردنا بعض الفقرات التي تحدثت عن قتله على يد هيرودس والمرأة هيروديا التي خانت زوجها وأرادت الزواج من هيرودس. فرفض يحيى هذا الزواج مما جعل الملك يحقد عليه ويدبر قتله.

امرأة عمران ومريم العذراء

لا شك أن جوهر المسألة في ولادة المسيح عليه السلام يكمن في معجزة حمل مريم به، ولكن لابد للقصة من جذور وعلاقات إنسانية مهدت مادياً ومعنوياً لولادة السيد المسيح. ففي القرآن الكريم حديث عن آل عمران وزوجة عمران والدة مريم وهذا الحديث له علاقة أصلية بعقيدة التوحيد وتنفيذ وعد الله سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران ٣٥ ـ ٣٦].

فهذه الآيات التي تشير إلى أم مريم أي زوجة عمران نفتقدها في إنجيل لوقا وبقية الأناجيل ولا تعير هذه الشخصية أي اهتمام.

بينما هو كذلك فإن القرآن الكريم يورد في الآية ٣٣ من سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

فاصطفاء عيسى بن مريم وأمه واصطفاء آل عمران اصطفاء رباني فامرأة عمران تظهر في القرآن الكريم إنسانة موحدة مرتبطة بدعائها بالله تعالى: وعندما يربط القرآن الكريم مريم بأمها وآل عمران فإنه يربطها ربطاً مباركاً وهي سلسلة متسلسلة لا تأتي من فراغ إنما هي تأكيد على تسلسل عقيدة التوحيد مع تسلسل

آل عمران عبر التاريخ. وعمران هذا أبو مريم وهو غير أبي موسى وامرأة عمران اسمها حنّة، كما ورد في بعض المصادر دعت الله أن يرزقها ولداً لما كبرت واشتاقت للولد وكانت قد أحست بالحمل. وعمران هذا لم يكن نبياً وكذا أبو موسى لم يكن نبياً. وقد وهبت ما في بطنها لله على ظنها أنه سيكون ذكراً فلما ولدتها أنثى نذرتها للمعبد ودعت الله أن يحمي مريم وذريتها من الشيطان الرجيم ففي هذه الحال لا يمكن الحديث عن مريم منعزلة عن أمها وآل عمران. بل من المفترض أن نرى هذا الرابط بين شخصية مريم ونسبها الكريم وكذلك بين شخصية النبي عيسى عليه السلام وأمه وجدته وجده وآل عمران.

لقد اختار الله سبحانه مريم لتكون أماً للنبي عيسى عليه السلام لأنها في الأساس مختارة لتكون بنتاً لامرأة عمران التي دعت ربها أن يهبط مولوداً مباركاً تنذره للمعبد وعبادة الله الواحد، وسنرى من خلال آيات القرآن الكريم ومن بعض لقطات بُثت في الأناجيل سيرة مريم قبل أن تحمل بالمسيح عليه السلام. فهي كشخصية مهدها الله وربّاها من خلال النبي زكريا لتكون أماً للنبي عيسى.

مريم كما وردت في القرآن الكريم والأناجيل

ورد الحديث عن مريم بشكل مفصل في القرآن الكريم وفي الأناجيل على اعتبارها منشأ قصة الولادة المعجزة للسيد المسيح. ودورها في قصة المسيح عليه السلام دور أساسي لا يمكن تناسيه أو تغافله.

وقد أورد القرآن الكريم سورة كاملة باسم سورة مريم وسورة أخرى باسم آل عمران وهذا دليل على أن قصة ولادة المسيح عليه السلام لها شأن مهم في القرآن الكريم في حياة عقيدة التوحيد مهما شملت ومهما اتسعت.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم١٦-٣٣].

وجاء في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران ٤٢ ـ ٤٣].

ويقول: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧].

بعد إيراد هذه الآيات الكريمة نستعرض ما قالته الأناجيل لنرى مدى الاتفاق ومدى الافتراق.

جاء في إنجيل متى: (لما كانت أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكي يتم ما قبل من الرب بالنبي القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع) متى: ١ : ١٨ ـ ٢٤.

ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية... متى ٢ : ١

وهذا ما جاء في إنجيل متى عن حمل مريم وولادتها. ونلاحظ أنه لم يهتم بمريم إلا بشكل هامشي. ونلاحظ أيضاً الاختصار الشديد في الحديث عن الأحداث وكأن المعجزة أي ولادة المسيح وحمل مريم به لا تعني شيئاً لإنجيل متى.

أما إنجيل مرقص فلا يأتي على ذكر الحمل مطلقاً حيث يبدأ الإصحاح الأول بالحديث عن رؤيا يوحنا (يحيى) وتبشيره بقدوم المسيح ثم مجيء يسوع إلى الناصرة ليدعو.

أما إنجيل لوقا فيختلف اختلافاً جذرياً عن الإنجيلين السابقين حيث أنه يتحدث بالتفصيل عن ملاك الرب وتبشيره لمريم بحمل المسيح وحتى ولادته.

جاء في إنجيل لوقا: (وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها الناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك مباركة أنت في النساء فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً. فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله. وهو ذا أليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله. فقالت مريم هو ذا أنا أمة

الرب ليكن لي قولك فمضى من عندها الملاك).

ويتوقف إنجيل لوقا عند هذا الحد لينتقل فجأة إلى حديث آخر يبيّن أن مريم قد ولدت فيقول: (فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب وهذه لكن العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مُضجعاً في مذود وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين المجدُ لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة). لوقا إصحاح ٢ : ١٠ ـ ١٤.

وفي الإصحاح الثاني نفسه وفي الفقرة ٢١ يقول لوقا: (ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن) لوقا ٢ : ٢١.

والملاحظ في هذا الإنجيل أن قصة حبل مريم وولادتها وما عانته من ذلك لم ترد. وأغفلت تماماً.

أما إنجيل يوحنا فلم يأت على ذكر حمل مريم وولادة السيد المسيح عليه السلام شأنه في ذلك كشأن إنجيل مرقص وإنجيل متى. حيث ابتدأ بالحديث عن يوحنا وتمهيده لدعوة المسيح عليه السلام.

ومن خلال النظر في الأناجيل الأربعة نستطيع أن نلغي مبدأ المقارنة بين أناجيل ثلاثة وبين القرآن الكريم بشأن حمل مريم ومخاضها وولادتها ويبقى إنجيل لوقا الوحيد الذي يمكن أن نقارن نصوصه بنصوص القرآن الكريم كون التشابه كبيراً وكذلك الاختلافات ويبقى أن نشير إلى جوهر المسألة في هذه المقارنة وهي إقرار الإنجيل ـ لوقا ـ بألوهية المسيح وهذا ما سنراه مقحماً على النص الإنجيلي إقحاماً واضحاً.

وقبل الدخول إلى عالم مقارنة النص بالنص لابد لنا أن نرى ما ذا يقول

إنجيل برنابا على الرغم من عدم اعتراف الكنيسة بكل فروعها به .

جاء في إنجيل برنابا : (لقد بعث الله في هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبريل إلى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهودا . بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر بدون أدنى ذنب ، المنزهة عن اللوم . المثابرة على الصلاة مع الصوم يوماً ما وحدها وإذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلاً ليكن الله معك يا مريم فارتاعت العذراء من ظهور الملاك . ولكن الملاك سكن روعها قائلاً لا تخافي يا مريم لأنك قد نلت نعمة من لدن الله الذي اختارك لتكوني أم نبي يبعثه إلى شعب إسرائيل ليسلكوا في شرائعه بإخلاص . فأجابت العذراء وكيف ألد بنين وأنا لا أعرف رجلاً . فأجاب الملاك يا مريم إن الله الذي صنع الإنسان من غير إنسان لقادر أن يخلق فيك إنساناً من غير إنسان لأنه لا محال عنده . فأجابت مريم إني لعالمة أن الله قدير لتكن مشيئته فقال الملاك كوني حاملاً بالنبي الذي ستدعينه يسوع فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس لأن الطفل قدوس الله . فانحنت مريم بضعة قائلة ها أنا ذا أمة الله فليكن بحسب كلمتك . فانصرف الملاك . أما العذراء فمجدت الله قائلة أعرف يا نفس عظمة الله وافخري يا روحي بالله مخلصي) إنجيل برنابا ، الفصل الأول ١ ـ ١٤ .

وعن ولادتها يقول برنابا : (وبينما كان يوسف مقيماً هناك تمت أيام مريم لتلد فأحاط بالعذراء نور شديد التألق وولدت ابنها بدون ألم وأخذته على ذراعيها . وبعد أن ربطته بأقمطة وضعته في المذود . إذ لم يوجد موضع في النزل فجاء جوق غفير من الملائكة إلى النزل بطرب يسبحون الله ويذيعون بشرى السلام لخائفي الله وحمدت مريم ويوسف الله على ولادة يسوع وقاما على تربيته بأعظم سرور) برنابا ، الفصل الثالث ٨ ـ ١٥ .

وجاء أيضاً : (فلما تمت الأيام الثمانية حسب شريعة الرب كما هو مكتوب

في كتاب موسى أخذا الطفل واحتملاه إلى الهيكل ليختناه. فختنا الطفل وسمياه يسوع كما قال الملاك قبل أن حبل به في الرحم فعلمت مريم ويوسف أن الطفل سيكون لخلاص وهلاك كثيرين لذلك اتقيا الله وحفظا الطفل وربياه على خوف الله) برنابا، الفصل الخامس ١ ـ ٤.

ولنعد إلى مقارنة ما ورد في إنجيل لوقا وإنجيل برنابا بما ورَدَ في القرآن الكريم بشأن الحديث عن مريم وحبلها وولادتها.

في إنجيل لوقا: أرسل جبريل الملاك من الله إلى مدينة في الجليل اسمها الناصرة إلى عذراء مخطوبة وقال سلام عليك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت في النساء.

وفي القرآن الكريم: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

في إنجيل لوقا: فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية.

في القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

في إنجيل لوقا: فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع.

وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

في إنجيل لوقا: فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً.

وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

في إنجيل لوقا: فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك.

وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

في القرآن الكريم: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا... وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾.

في إنجيل لوقا: ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً.

فالنصان يتشابهان في أن ملاك الله بشر مريم بأنها ستحمل ابناً بأمر الله. وأن مريم ارتعبت من رؤية الملاك. وأنها تساءلت كيف يكون لها ولد وهي لا تعرف رجلاً وأن جواب ملاك الله تضمن أمر الله بذلك. وأن المولود سيكون عظيماً ذا شأن.

ونتوقف هنا عند الاختلافات وهي جوهرية في العقيدة.

فالقرآن الكريم يقول (لأهب لك غلاماً زكياً) ولنجعله آية للناس ورحمة منا بينما جاء في إنجيل لوقا: (وابنَ العلي يُدعى) (فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابنِ الله).

ولو دققنا في إنجيل برنابا لوجدنا أن هاتين الجملتين اللتين تقرران أن المسيح ابن الله يُدعى قد جاءتا بشكل مخالف تماماً حيث يقول إنجيل برنابا (لتكوني أم نبي يبعثه الله إلى شعب إسرائيل) (كوني حاملاً بالنبي الذي ستدعينه يسوع) وقد جاء في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

وهذا يتشابه مع قول إنجيل لوقا حيث يقول: (وتلدين ابناً وتسمينه يسوع).

ولكن التشابه الأكبر يقع مع إنجيل برنابا حيث يقول: كوني حاملاً بالنبي

الذي ستدعينه يسوع.

ويقول تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران ٤٧].

وهذا ما نجد مشابهاً له في قول إنجيل برنابا: إن الله الذي صنع الإنسان من غير إنسان لقادر أن يخلق فيك إنساناً من غير إنسان لأنه لا محال عنده. وهذا مفتقد في إنجيل لوقا.

وفي هذا الإطار لن نناقش فحوى الجملتين الواردتين في إنجيل لوقا ـ وهما (وابن العلي يُدعى) (فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله لأن مجالهما في فصل آخر يتعرض للمسائل العقيدية وأهمها ألوهية المسيح التي ادعتها الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنيسة).

يكفي أن نقول هنا إن المفترض الذي يتناسب عقلاً وعقيدة ومنطقاً مع القرآن الكريم وإنجيل برنابا أن تأتي ألفاظ الجملتين على الشكل التالي: (ونبي الله يدعى) و(يدعى نبي الله) وفي الحالتين فإن كلمة نبي تحل محل كلمة ابن.

أما ولادة مريم بالسيد المسيح فلم نعثر عليها في الأناجيل. وقد اقتصر الحديث فيها عن حدوث الولادة ووضع المولود في المذود ومجيء الملائكة للتسبيح بمناسبة هذه الولادة.

بينما نجد في القرآن الكريم تفصيلاً لما حدث، حيث نرى الحدث البشري الإنساني كما نراه في واقع المرأة الحامل. وأعتقد أن سياق الآيات القرآنية الذي يخبرنا عن هذا الحدث يدلنا على مسألة هامة جداً وهي التصاق الحدث ببشرية المسيح وليس للقرآن غايات مبهمة. فالغاية واضحة وهي تأكيد بشرية المسيح الذي لم يلد بلا معاناة من أمة.

ماذا تقول آيات القرآن الكريم؟

يقول تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم ٢٢ - ٢٨].

والواقع أن سياق الآيات القرآنية يسلسل الحدث بشكل منطقي مع ما يحمله من أبعاد واقعية ونفسية وعقيدية. فمريم خضعت للأمر الإلهي بعد أن بدأ حملها بالجنين وبسبب من خوفها من فضيحة وعار يلحقان بها ابتعدت عن أهلها وتوارت. وإذ هي كذلك إذ جاءها المخاض فلجأت إلى جذع نخلة لتختفي عن أعين البشر. وبسبب معاناتها الجسدية وآلام المخاض ولأسباب نفسية واضحة تمنت الموت قبل أن ترى هذه الآلام وفي هذه الحال من اليأس والألم والبكاء بتدخل ملاك الله ليطمئنها أن الله قد جعل تحتها سريا أي نهراً جارياً. وقد قيل نهراً سرياً أي جارياً وكان قد جف ماؤه فأجراه الله لمريم تكريماً لها وقيل ضرب جبريل برجله في الأرض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقال لها هزي وحركي نحوك جذع النخلة التي أحياها الله لك فأورقت وأثمرت وأنت تنظرين إليها في ساعة واحدة تساقط عليك من ثمرها الطيب - الرطب -. فكلي منه واشربي من السري وقري عيناً برؤية الولد النبي.

فهذا السياق المنطقي هو سياق يطمئن له القلب والعقل دون شكوك. فهو إلى جانب المعجزة الإلهية في عدة أمور إلا أنه يدل على وضع إنساني بشري تعيشه امرأة حامل وقد جاءها المخاض فعانت من آلام الوضع ما عانت.

معجزة المسيح-الميلاد العذراوي

كيف ولد المسيح دون لقاء بين مريم ورجل؟

شكل هذا الموضوع أحد أهم الإشكالات لدى الكثير من المسيحيين خاصة البروتستانت ولدى الكثير ممن لا يؤمنون بالمعجزة الإلهية. فالمسيح عليه السلام هو الوحيد بين البشرية جمعاء الذي حملت به أمه من دون زواج أو لقاء جنسي.

فحسب إنجيل لوقا فإن للروح القدس دوراً في حمل مريم إذ يقول: (إن الروح القدس سينزل عليك وقدرة العلي تظللك لذلك يكون المولود قدوساً) لوقا ١ : ٣٦.

بينما نرى القرآن الكريم يظهر طبيعة خلق المسيح عليه السلام ومن طبيعة حمل أمه به وولادته من دون زوج أو لقاء بين مريم وأي رجل.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ﴾ [آل عمران/ ٥٩].

فعيسى عليه السلام لا يختلف عن آدم في أصل خلقه. فهو ذو أصل ترابي ثم تكوَّن بأمر الله بشراً من لحم وعظم ودم. وهذا الأصل يحمل في طبيعته الفناء وكل ما خُلق من تراب سيعود إليه بعد أن يتوفاه الله.

ففي النص القرآني حديث عن أصل الخلق، ثم عن أمر الله بالخلق. كن فيكون...

وقد وردت آيات قرآنية تتحدث عن النفخ على اعتباره سبباً في حمل مريم بالمسيح عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء/ ٩١].

ويقول تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم/ ١٢].

ويستدل على المعجزة الإلهية في خلق المسيح عليه السلام من خلال خلق الله سبحانه لآدم وحواء. فآدم خلق من غير ذكر وأنثى، وحواء خلقت من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى. فللمعجزة أمثالها المعروفة المحددة في القرآن الكريم.

ويجمع المفسرون المسلمون على أن مريم أول امرأة قبلت في النذر في المتعبد. ومنها أن الله عز وجل غذاها برزق من عنده لم يجره على يد عبد من عبيده. وقد أحصنت فرجها وامتنعت من الفاحشة وقالوا إنه من لطيف الكناية أنه عنى بفرجها فتحة ثوبها من الأعلى. لا سيما أن النفخ من روح القدس بأمر القدوس. ونفخنا فيه من روحنا أي أمرنا جبريل أن ينفخ في فرج ثوبها الأعلى فأحدثنا من ذلك النفخ المسيح في بطنها. وقالوا نفخ جبريل في جيب درعها فوصل أثر النفخ إلى رحمها بقدرة الله[1].

ويرى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه في ذلك رأينا مفصلاً في كتابه فصوص الحكم. فيقول: (فلما تمثل الروح الأمين الذي هو جبريل لمريم عليهما السلام بشراً سوياً تخيلت أنه بشر يريد مواقعتها فاستعاذت بالله منه استعاذة بجمعية منها ليخلصها الله منه لما تعلم أن ذلك مما لا يجوز.

---

(١) محمد الدرة. إعراب القرآن وبيانه المجلد ٩، صفحة ١١٤.

فحصل لها حضور تام مع الله وهو الروح المعنوي. فلو نفخ فيها في ذلك الوقت على هذه الحالة لخرج عيسى لا يطيقه أحد لشكاسة خُلَقه لحال أمه. فلما قال لها إنما أنا رسول ربك جئت لأهب لك غلاماً زكياً) انبسطت عن ذلك القبض وانشرح صدرها. فنفخ فيها في ذلك الحين عيسى. فكان جبريل ناقلاً لكلمة الله تعالى لمريم كما ينقل الرسول كلام الله لأمته وهو قوله (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه). [1]

وبسبب قصور الفهم البشري لطبيعة النفخ وقع الخلاف بين أهل الملل في عيسى ما هو؟ (فمن ناظَرَ فيه من حيث صورته الإنسانية البشرية فيقول هو ابن مريم. ومن ناظَرَ فيه من حيث ما ظهر من إحياء الموتى فينسب إلى الله بالروحية. ومن ناظَرَ فيه من حيث الصورة الممثلة البشرية فينسبه لجبريل، فتارة يكون الحق فيه متوهّماً. وتارة يكون الملك فيه متوهماً وتارة تكون البشرية الإنسانية فيه متوهمة. فيكون عند كل ناظر بحسب ما يغلب عليه. فهو كلمة الله وهو روح الله وهو عبدالله وليس ذلك في الصورة الحسية لغيره بل إلى أبيه الصوري لا إلى النافخ روحه في الصورة البشرية). [2]

وقد رفض الكثير من المسيحيين خاصة البروتستانت عقيدة الميلاد العذرائي أو الحبل بدون أي علاقة جنسية. وهؤلاء ينتمون إلى جماعة المتحررين والبروتستانتية الحديثة وطوائف أخرى والأسباب التي من أجلها يرفض هؤلاء عقيدة الميلاد العذرائي بدون أي علاقة جنسية هي صعوبات علمية وصعوبات كتابية وصعوبات ناشئة عن مشكلة شجرة النسب.

فهذه الجماعة ترفض رفضاً باتاً كل ما هو خارق للطبيعة. وكل ما لا يمكن

---

(١) محي الدين بن عربي: فصوص الحكم، ج١ ص١٣٨

(٢) محي الدين بن عربي: فصوص الحكم، ج١ ص١٣٨

تفسيره أو تحليله أو التأكد منه بطريقة علمية. وبما أن الميلاد العذرائي ظاهرة لا يمكن تحليلها أو التأكد منها بطريقة علمية فلا يمكن قبولها. إن غياب العامل الذكري هو استحالة بيولوجية لا يمكن بأي حال من الأحوال حلها إلا عن طريق الإنجاب الصناعي الأمر الذي لم يكن معروفاً في ذلك الوقت. وحتى الإنجاب الصناعي فعامل الذكر موجود. وعن طريقه يتم الإنجاب. ويرونر يظن أن الميلاد العذرائي ينفي العامل الذكري. وبناء عليه فهو يقلل من ناسوت المسيح. فوجود الرجل في هذه العملية أمر هام جداً. لهذا السبب البيولوجي والطبيعي يرفض هؤلاء الميلاد العذرائي. والصعوبات الكتابية تعني حسب هذه الفئة أن مرقص ويوحنا لا يذكران شيئاً عن قصة الميلاد العذرائي. فمع أن يوحنا يتكلم عن الكلمة الذي كان في البدء والذي كان عند الله إلا أنه لم يشرح لنا بوضوح أن هذا الكلمة جاء إلينا متجسداً في بطن مريم بدون تدخل أي عامل ذكري ويقول معارضو فكرة الحبل العذرائي المعجزي: إنه ممكن أن تتم هذه العملية بطريقة طبيعية باتحاد رجل وامرأة ويكون المولود (اللوغوس).

أما بالنسبة لسلسلة النسب فإن الرافضين للميلاد العذرائي يقولون: إن سلسلتي النسب في إنجيل متى ١ : ٢ - ١٦ وإنجيل لوقا ٣٣ : ٢٣ - ٣٨ تذكران أن شجرة يوسف وليس شجرة نسب مريم هي الموجودة فيهما. فحتى يصل متى إلى هدفه. أي لكي يبين بأن المسيح هو من نسل داود يعطي لنا سلسلة طويلة من الأسماء التي تنتهي بالقول: «ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح». أما لوقا فلكي يصل إلى نفس الهدف أي بأن يسوع هو ابن يوسف وابن داود فيقول: ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالي ابن داود ابن آدم... ابن الله» (لوقا ٣: ٢٣ - ٣٨) وبناء على ذلك فإن لم يكن يوسف هو الأب الشرعي ليسوع فلا يمكن أن يكون يسوع هو ابن داود. فإذا كان المسيح قد ولد بطريقة معجزية دون أي اتصال

جنسي بين مريم ويوسف فإن يسوع يفقد نسبه لداود الأمر الذي يتمسك به عدد كبير من كتاب العهد الجديد)[1]

وقد أشار القرآن الكريم إلى اختلاف الناس في مولد المسيح وطبيعته. فقال تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم/ ٣٧]. أي فاختلف أهل ذلك الزمان ومن بعدهم فيه فمن قائل من اليهود إنه ولد زانية واستمروا على كفرهم وعنادهم وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا هو الله وقال آخرون هو ابن الله وقال المؤمنون هو عبدالله ورسوله وابن أمته وكلمة ألقاها إلى مريم. وروح منه[2] على أي حال فالمسيح عليه السلام معجزة الله وكلمته ألقاها إلى مريم. ولكنه في الأحوال كلها نبي من أولي العزم أُرسل إلى قومه من بني إسرائيل. ومثله كمثل آدم في أصل الخلق. ولا عجب في ذلك فقد سبقه خلق آدم من لا شيء وهذا أبلغ إعجازاً ومعجزة.

---

(١) القس الدكتور حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي، صفحة ١٧٣ ـ ١٧٤ المجلد الأول.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، مجلد ١، صفحة ٥٥.

متى ولد المسيح عليه السلام؟

لقد اعتقد الكثيرون وما زالوا يعتقدون بأن التقويم الميلادي الحالي يحدد لنا سنة ميلاد السيد المسيح عليه السلام، ويحدد لنا رأس السنة الميلادية. فعندما نقول مثلاً سنة ٢٠٠٠ يظن أكثر الناس أن هذا التاريخ يحدد لنا تاريخ الميلاد أو بدء السنة الميلادية. ففي عرفهم أن المسيح عليه السلام وُلد في بيت لحم منذ ٢٠٠٠ عام وحقيقة الأمر تختلف عن ذلك. إذ أن التقويم الميلادي الحالي لا يدل على ميلاد المسيح ولا السنة الميلادية أو على التاريخ الحقيقي لهما.

ويرجع عدم الصواب في ذلك أو بعبارة أصح عدم التأكد من حقيقة هذا التاريخ إلى طبيعة وطريقة التدوين التي استعملها الراهب دينيسيوس الصغير الأرمني الأصل. وهو أول من حاول أن يدوّن لميلاد المسيح ورأس السنة الميلادية فهذا الراهب - دينيسيوس الصغير - وضع تقويمه في بداية القرن السادس متخذاً التقويم الروماني قاعدة لحسابه.

ومن المعروف أن القويم الروماني يبدأ بسنة ٧٤٥ ق. م وهي السنة التي تأسست فيها روما. وعليه فقد ظن بأن ما يسمى عملية التجسد حدثت في سنة واحد. وبذلك تصبح سنة واحد هي سنة التجسد والسنة الفاصلة بين التاريخ القديم والتاريخ الجديد والواقع أن الكنيسة لم تبدأ الاحتفال بعيد الميلاد قبل القرن الثالث. وكان يحتفل في السادس من شهر كانون الثاني.

على أن الأب هولز مشتين Holz Meisten حاول جمع بعض الوثائق

التاريخية الخاصة بميلاد المسيح والتي يستنتج بأن الميلاد حدث في الفترة ما بين سنتي ٥ ق. م - ٢ بعد الميلاد.

على أن بعض المؤرخين يظن أن سنة الميلاد تقع بين سنتي ٧ ق. م وسنة ٣ ب. م يقول الدكتور القس حنا الخضري في ذلك:

ولكن عندما ندرس الأناجيل والتاريخ بطريقة واعية يمكننا الوصول إلى تحديد تاريخ تقريبي بميلاد يسوع فإن: إنجيلي متى ولوقا يسجلان لنا أن حادثة التجسيد والميلاد تمتّا في آخر أيام هيرودس الملك (متى ٢: ١، لوقا ٥: ١، ٢٦) ونحن نعلم أن هيرودس الملك الكبير مات حوالي سنة ٧٥٠ رومانية أي بين سنتي ٦ و٤ ق. م ويحتمل أنه مات بعد ميلاد المسيح بعدة شهور وقبل الفصح أي في حوالي شهري مارس أو إبريل (آذار - نيسان) وهذا واضح من كلام الملاك ليوسف في مصر. (فلما مات هيرودس الملك إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي) متى ٢: ١٩ - ٢٠ وبما أن تاريخ هيرودس معروف لنا وهو حوالي سنة ٤ ق. م حسب التقويم الروماني، فالذي نجهله هو تاريخ التجسد أو الميلاد، وهو لا يمكن أن يتعدى السنتين قبل موت هيرودس. وهذا واضح في قصة المجوس (حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جداً فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم، وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس) متى ٢: ١٦.

على أن لوقا من جانبه يعطي لنا بعض التفصيلات التي تساعدنا كثيراً على تحديد تاريخ الميلاد ففي الإصحاح الثاني يقول: وفي تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة (لوقا ٢: ١-٦) لقد ظل المؤرخون مدة طويلة يرفضون هذه الآية وحجتهم في ذلك أن التاريخ الروماني لم يسجل هذا

الاكتتاب أو الإحصاء الذي يتكلم عنه الإنجيل وظنوا أن لوقا أخطأ خطأ تاريخياً شنيعاً. ولكن علم الحفريات قدم لنا مؤخراً جواباً يؤكد قول لوقا. فإن الحفريات التي أجريت في بعض القرى وفي بعض المدن والصحارى المصرية كشفت لنا عن بعض أوراق البردي التي تحتوي على وثائق تاريخية يذكر فيها أمر الإحصاء في بلاد مصر وبلاد الغال وسوريا. وبناء على ذلك يمكننا أن نقول بأن أمر الإحصاء نفذ أيضاً في فلسطين. وكانت عملية الإحصاء كما تصفها لنا الأوراق البردية تجري كل أربعة عشر عاماً. ولقد بدأت عملية الإحصاء هنا من سنة ٢٠ ق.م إلى سنة ٢٧٠ ب.م فإذا كان الإحصاء الأول تم في سنة ٢٠ فالإحصاء الثاني تم إذاً في سنة ٦ ق.م ويحتمل أن يكون في آخر السنة. وعلى ذلك يكون ميلاد المسيح بين سنتي ٦و٤ ق.م.

فهذه بعض الشواهد المسيحية على عدم الدقة في معرفة ميلاد المسيح عليه السلام فمرة يكون الفرق عشر سنوات، ومرة يكون الفرق ست سنوات أو أربع وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن ميلاد المسيح غير معروف على وجه التحديد والدقة.

فالمقياس العلمي والموضوعي والمنطق التاريخي لا يقبل تخمين أي واقعة تاريخية إن لم تكن دقيقة في تاريخها. فإذا كانت كافة الدراسات تشير إلى أن ميلاد المسيح تم بعد عشر سنوات أو أربع سنوات أو ست سنوات من التاريخ الذي دوّنه المؤرخون الغربيون فكيف لنا أن نعرف أي شهر أو أي يوم تمت فيه ولادة السيد المسيح عليه السلام.

وإذا كانت المصادر المسيحية الغربية نفسها تقر بذلك فكيف يمكن أن نقبل بالتأريخ الغربي الإفرنجي. ثم كيف تبقى الذاكرة معلقة بالخامس والعشرين من شهر ١٢ أي شهر كانون الأول كمناسبة للاحتفال بعيد ميلاد المسيح عليه

السلام وكذلك بالأول من الشهر الأول كمناسبة بما يسمى عيد رأس السنة الميلادية؟

على أية حال فإننا نورد هذه الأمور باعتبار أن العلاقة الوطيدة القائمة بين التأريخ وبين ميلاد المسيح الحقيقي تشكل في الفكر المسيحي قضية حساسة وهامة وتقوم عليها طقوس وأعياد مسيحية.

إن ميلاد المسيح الحقيقي لم يكن ليُعرف من قبل أحد سوى أمه أو المقربين منه. وهؤلاء لم يذكروا متى وُلد ولا متى حملت مريم به. وقد رأينا أن التأريخ بميلاده قد تم بعده بستة قرون. والمؤرخون لم يستندوا على وثيقة صحيحة أو شهادة عيان. لذلك ظل التأريخ المستند على ميلاد المسيح تأريخاً تخمينياً يفتقد إلى الموضوعية ويفتقد للتصديق.



الفصل الثالث

المسيح عليه السلام بعد مولده



ولادة المسيح

ولد السيد المسيح كباقي البشر حيث أن أمه حملته في رحمها حتى أذن الله له بالولادة والخروج إلى الوجود.

وفي قصة ولادته اختلافات كبيرة بين ما جاء في إنجيل لوقا وبين ما جاء في القرآن الكريم وهذا الاختلاف يؤدي إلى مناقشة قضايا هامة تعتبر أساسيات في العقيدة وفي شخص المسيح نفسه عليه السلام.

جاء في إنجيل لوقا: (وبينما هما فيها حان وقت ولادتها فولدت ابنها البكر فقمطته وأضجعته في مذود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة) لوقا ٦ـ٧.

وفي طبعة أخرى من الإنجيل جاء في لوقا: (وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل) لوقا الإصحاح ٢ : ٦ وجاء في تتمة القصة: وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية يتناوبون السّهر في الليل على رعيتهم. فحضرهم ملاك الرب وأشرق مجد الرب حولهم فخافوا خوفاً شديداً فقال لهم الملاك «لا تخافوا ها إني أبشركم بفرح عظيم يكون فرح الشعب كله. ولد لكم اليوم مخلص في مدينة داود وهو المسيح الرب وإليكم هذه العلامة. ستجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود. وانضم إلى الملاك بغتة جمهور الجند السماويين يسبحون الله المجدُ لله في العلى والسلام على الأرض للناس أهل رضاه) لوقا الفصل الثاني ٨ ـ ١٤.

بينما جاء في نسخة أخرى من إنجيل لوقا: وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجدُ

الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً. فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين الحمد لله في الأعالي. وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) لوقا إصحاح ٢: ٨-١٤.

ويقول القرآن الكريم: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝٢٦ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝٢٧ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم/ ٢٤ — ٣٣].

ففي إنجيل لوقا: عندما ولدت مريم كان معها المدعو يوسف وهو خطيبها حسب النص الإنجيلي ولم تتعرض مريم لمخاض وألم ولم تختفِ خلف جذع النخلة خوفاً من الفضيحة.

ثم جاء ملاك الرب إلى رعاة وبشرهم بولادة المسيح فذهبوا ليروا المولود فإذا هو مقمط وقد وضعته أمه في مذود.

فمريم التي جاءها المخاض وهو على قول النساء من أصعب الآلام التي تتعرض لها المرأة الحامل عاشت التجربة فقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً

منسياً. بينما في إنجيل لوقا فإن مريم لم تتعرض لذلك الألم مطلقاً. وكأن الأمومة ليست في نطاق ذلك الإحساس بولادة المولود.

ويرافق رجل اسمه يوسف مريم وتلد ابنها وهو معها. فإذا كانت مريم من البداية اعتزلت أهلها خوفاً من أن يظهر الحمل عليها فكيف تصطحب يوسف معها لتلد بوجوده قد يقول أتباع النصرانية إن يوسف نزل عليه الوحي وهو نائم ونبهه أن لا يترك خطيبته مريم لأنها طاهرة وستلد ابناً من الروح القدس. واقتنع بذلك بعد أن شكك بمريم وكاد أن يتهمها بالزنى لولا رؤيته للوحي في منامه.

ولم يتعرض القرآن لوجود رجل مع مريم عند حملها وعند ولادتها. إذ ليس هناك من داعٍ لوجوده لأن المعجزة الإلهية تشهد على نفسها ولا تحتاج لشاهد عليها. ويكفي نطق المسيح في المهد ليكون أحد أهم الشواهد على ولادة المسيح المعجزة.

ثم إن وجود يوسف مع مريم أوحى للجميع أنه زوجها وأن الولد هو ولده من دمه ولحمه وليس هو معجزة إلهية. وقد ظن الكثيرون وما يزالون يظنون أن مريم كانت زوجة يوسف وأن المسيح هو ابنه بالجسد وابن الله في الروح.

أما قصة وضع المسيح في مذود مقمطاً فإنها تستوقفنا كثيراً إذ أن القرآن الكريم لم يأتِ على ذكرها. بينما جاء ذلك واضحاً في إنجيل لوقا.

وقد رأى الكثيرون من الباحثين أن هذه القصة. . قصة وضع المسيح في مذود قد استُعيرت من ديانات أخرى وأساطير شعبية متعددة المصادر.

فعند الوثنيين الهنود ولد كرشنا في غار وبعد ولادته وضع في حظيرة غنم ورباه أحد الرعاة الأمناء.

وهوتسي ابن السماء عند الصينيين تركته أمه وهو صغير وأحاطت البقر والغنم به وحمته من كل سوء باعتناء تام.

وباخوص ابن الإله المولود من العذراء سميل ولدته أمه في غار ويقال إنها ولدته في مكان آخر ومن بعد ولادته أتت به إلى الغار.

وقال فيلوستراتس الخطيب اليوناني السفسطائي يقول أهل الهند إن باخوص ولد بنيسا وربي في غار بجبل مروس.

وسكولا بيوس ابن الإله المولود من العذراء كوردنيس تركته أمه حينما وضعته بالجبل ووجده راعي معز فرباه واعتنى به.

وروبولس ابن الإله المولود من العذراء ريا سلفيا تركته أمه وهو طفل على ضفة نهر التيبر ووجده الرعاة فربوه واعتنوا به [(١)].

وجاء في إنجيل لوقا: أنه انضم إلى الملاك بغتة جمهور الجند السماويين يسبحون الله. وقد جاء في كتاب فشنو بورانا ما نصه: كانت العذراء ديفاكي حبلى بحامي العالم مجّدها الآلهة ويوم ولادتها عمت المسرات وأضاء الكون بالأنوار وترنمت آلهة السماء ورتلت الأرواح ولما ولد (عون الجميع) شرعت الغيوم ترتل بألحان مطربة وأمطرت أزهاراً.

ومثل هذا يقولون عن ولادة بوذا وأنه أسمع سكان الأرض أنغام موسيقى مطربة وأمطرت السماء أزهاراً وعطراً وهب نسيم لطيف وأضاء نور عجيب. وقال فونبهنك: وصارت الأرواح التي أحاطت بالعذراء مايا وابنها المخلص تسبح وتبارك الواحد وتنشد (لك المجد أيتها الملكة مايا فافرحي وتهللي). وهذا يدل على أن كتّاب الأناجيل استوحوا كثيراً من الأساطير والمقولات التي كانت لدى الشعوب عند تدوينهم للإنجيل. ومن الطبيعي أن الثقافة الرومانية حملت في جنباتها الكثير من ثقافات الشعوب خاصة تلك الثقافة المرتبطة بالأساطير والملاحم.

---

(١) المرحوم محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٢٣

على أية حال، فالذي أورده إنجيل لوقا لا يحوي الكثير من عناصر الحدث، حدث ولادة المسيح عليه السلام، فبعد أن وضعت مريم طفلها في المذود ومجيء الرعاة إليها ينتقل الإنجيل إلى الحديث عن ختان الطفل بعد ثمانية أيام من ولادته.

وإذا عدنا إلى النص القرآني نرى الاختلاف واضحاً.

فالقرآن الكريم يقول: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾. مريم ٢٧-٣٠

فالواضح في النص القرآني أن مريم عندما ولدت السيد المسيح أُمرت من قبل الوحي أن تذهب إلى أهلها وكان جبريل قد علمها أن لا تتكلم ولذلك أشارت إليه دون أن تقول شيئاً. فقد نذرت للرحمن صوماً فلن تكلم أحداً من الناس.

وكان جواب أهلها كيف نكلم من كان في المهد صبياً. ومن الطبيعي أن يتساءلوا بدهشة لأنه لم يقع أن تكلم أحد وهو ما يزال ابن يومه.

وهنا تتجلى المعجزة الإلهية في أعلى درجاتها حين نطق هذا الطفل وقال: إني عبدالله وهذه أول كلمة نطق بها السيد المسيح بوحي من الله ليبدأ مسيرته كنبي وكعبد لله وليس كابن إله أو إله. ولعل ذلك أبلغ حجة في دحض المزاعم التي دسها اليهود في العقيدة النصرانية عند قولهم بألوهية المسيح.

ونتابع النص القرآني فيقول: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

[مريم/ ٢٩-٣٣]

١ ـ فهو عبدالله وليس إلهاً أو ابن إله .

٢ ـ وقد أنزل الله عليه كتاباً وجعله نبياً .

٣ ـ وهو مبارك أينما كان لا يقترب منه الشيطان .

٤ ـ وهو موصى بالصلاة والزكاة طول حياته .

٥ ـ وهو بارٌ بوالدته وليس جباراً ولا شقياً .

٦ ـ وهو وُلِد وسوف يموت ومن ثم سوف يُبعث حياً .

وهذه الصفات النبوية اتصف به الأنبياء الآخرون . وهي صفات بشرية أيضاً فيها الولادة والموت والبعث يوم الحساب .

ولعل في هذا رد واضح على من قد يدعي أن المسيح إله أو ابن إله .

والغريب في الأمر أن الأناجيل لا تأتي على ذكر نطق المسيح عليه السلام في المهد . وهذا يدل على أمرين : الأمر الأول ، أن الذين دوّنوا الأناجيل لم يشاهدوا ولم يشهدوا ولادة المسيح . ولذلك لم يعرفوا طبيعة هذه المعجزة الإلهية التي يراد من ورائها إظهار عبودية المسيح لله ونفي ما ادعوه من إلوهيته .

الأمر الثاني ، طالما أنهم يدعون ألوهيته فليس عجباً أن يتكلم وهو في المهد ولكنهم لم يعايشوا المسيح ولم يعرفوا مجريات حياته ، خاصة ما يتعلق منها بالمعجزات النبوية .

مفاهيم وإشكالات

يمر معنا في الفكر المسيحي بعض المصطلحات التي تفسر لتصل إلى القول بألوهية المسيح والمصطلحات نفسها نجدها أيضاً في النص القرآني وتفسر مستندة على تعاليم العقيدة الإسلامية وهذه المصطلحات والمفاهيم أثارت في الفلسفة الكثير من التفسيرات المتناقضة.

الروح القدس: يأخذ هذا المصطلح حيزاً عقيدياً مهماً وأساسياً في العقيدة النصرانية فهو في نظر كافة المذاهب المسيحية يعني روح الله الأقنوم الثالث في الثالوث. وقد، ذكر هذا التعبير في العهد القديم ثلاث مرات فقط. أما في العهد الجديد فقد ذكر كثيراً وقد سمي روحاً لأنه مبدع الحياة ودعي قدوساً لأن من ضمن عمله تقديس قلب المؤمن ويقول قاموس الكتاب المقدس (ويعلمنا الكتاب المقدس بكل وضوح عن ذاتية الروح القدس وعن ألوهيته). وفي إنجيل متى ورد (وإذ حبلت السيدة العذراء حبل بالمسيح فيها من الروح القدس)[1].

ويرى بارث وهو أهم الباحثين في اللاهوت المسيحي أن الروح القدس ليس مجرد صفة من صفات الله كتأثيره أو لطفه أو محبته ولكن هو الله نفسه لأن الله مثلث الأقانيم أب وابن وروح قدس هؤلاء الثلاثة أقانيم ما هم إلا إله واحد فالأقنوم الثالث من الثالوث أي الروح القدس حل على مريم العذراء وبقوة الله صارت مريم حاملاً.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس. صفحة ٤١٤ حرف الراء.

ويرى بارث أن التدخل الإلهي تم بطريقة الإله الخاصة كخالق وليس بالطريقة البيولوجية[1].

ومن خلال هذا المفهوم نرى أن مصطلح الروح القدس يدخل في العقيدة النصرانية كأساس مهم من أسس الإيمان المسيحي. فلا يمكن أن يكون الشخص مسيحياً ما لم يؤمن بأن الروح القدس هو وجه الله الثالث أو الأقنوم الثالث حسب قول المسيحية.

وترى البروتستانتية أن الروح القدس انبثق من الآب والابن بينما ترى الأرثوذكسية أن الروح القدس انبثق من الآب وحده[2].

وعندما نراجع نصوص القرآن نرى أن مفهوم الروح القدس يختلف جذرياً عما ورد في العقيدة النصرانية.. ففي سورة مريم عندما يقول سبحانه وتعالى:

فأرسلنا إليها روحنا. كان المقصود به جبريل عليه السلام. فهو الذي بشرها بأنها ستكون حاملاً بالمسيح عليه السلام.

ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء/ ١٧١].

ويقول تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [البقرة/ ٨٧].

---

(١) الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) البابا شنوده. اللاهوت المقارن ص ١١ - ١٢.

ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة/ ١١٠].

ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء/ ٩١].

وقد أجمعت جميع التفاسير على أن الروح القدس هو الملاك جبريل عليه السلام ومعنى قوله ونفخنا فيه من روحنا أي أمرنا جبريل أن ينفخ في فرج ثوبها فأحدثنا من ذلك النفخ المسيح في بطنها. أما ما يقال عن أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث فهذا لا يتطابق مع وحدانية الله ولا صمديته. وقد أيده الله سبحانه بالملاك جبريل يحميه ويعينه ويحيطه بعنايته طالما أن الله سبحانه مد له في حياته إلى أن تحين ساعته ورفعه إلى السماء.

ومثل ذلك قولهم بأن المسيح كلمة الله. فهناك اختلاف جذري بين ما تطرحه العقيدة النصرانية وبين ما نص عليه القرآن. وقد وردت كلمة الله بلفظة حكمة. فيرى الفكر المسيحي أن العهد القديم الذي بشر بالمسيح أورد مسألة الحكمة الموجود عند الله (منذ البدء منذ أوائل الأرض) قبل أن يوجد القمر أو الحياة وقبل الجبال وقبل السموات وقبل كل ما هو موجود ويحيا ويتحرك. فكل ما هو موجود وُجد لأن الحكمة كان عنده صانعاً وبلا شك.

وقد أورد إنجيل يوحنا ما يشابه الذي جاء في سفر الأمثال الوارد في ما يسمى العهد القديم. فيقول هذا الإنجيل على لسان المسيح (من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أُبدئت. لما ثبت السموات كنت هناك أنا كنت عنده صانعاً في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله كل شيء مراراً كثيرة لكي يشير بها إلى المسيح وأما للمدعوين يهوذا ولليونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء فإنه فيه قد خلق

الكل، ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى. الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل.

ويقول المفكر المسيحي: فالحكمة التي يتكلم عنها كاتب سفر الأمثال هو المسيح هو اللوغوس (الكلمة) الذي كان منذ البدء في حضن الآب والذي به خلق كل شيء[1]. فالفكر المسيحي يرى أن الكلمة هو المسيح وأنه أزلي كان قبل خلق أي شيء في الوجود وأنه كان موجوداً في حضن الآب الله منذ الأزل. وهذا يعني أن الله والمسيح واحد.

وقد وردت في القرآن الكريم قوله تعالى (كلمته) فقال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء/ ١٧١]. فكان جبريل ناقلاً كلمة الله لمريم كما ينقل الرسول كلام الله لأمته.

ويرد ابن حزم على إنجيل يوحنا حين يقول: (في البدء كانت الكلمة والكلمة كانت عند الله والله كان الكلمة بها خلقت الأشياء ومن دونها لم يخلق شيء فالذي خلق هو حياة فيها).

يقول ابن حزم: كيف تكون الكلمة هي الله؟ وتكون عند الله فالله إذاً كان عند نفسه ثم قوله إن الذي خلق بالكلمة هو حياة فيها. فعلى هذا حياة الله مخلوقة. فروح القدس على نص كلام هذا الرجل مخلوق لأن روح القدس عند جميعهم هو حياة الله وهذا بخلاف جميع قول النصارى لأن الحياة التي في الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا والله تعالى بنص كلام يوحنا هو الكلمة.

ويتابع ابن حزم قوله: ثم أطمّ من هذا كله إذا كانت حياة الكلمة مخلوقة فالكلمة هي الله فالله هو حامل لأعراض مخلوقة فيه والكلمة كانت بشراً مع قوله

---

(١) الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ص ٢٩ ـ ٣٠.

الكلمة هي الله فالله بشر على نص كلام يوحنا.

ويقول ابن حزم: وبعد ذلك ذكر المسيح فقال إنه كان في الدنيا وبه خلقت الدنيا ولم يعرفه أهل الدنيا. فكيف يكون في الدنيا وبه خلقت الدنيا، لئن كان إلهاً كما يقولون فهو خلق الدنيا ولا يجوز أن تخلق به. وإن كان إنما به خلقت الدنيا ولم يخلقها هو فليس هو إلهاً ولا خالقاً إنما هو آلة من الآلات خلقت الدنيا بها وحاشا الله أن يخلق بآلة.

ويجدر بنا أن نلاحظ هنا أن الإرادة الإلهية عندما قدرت خلق آدم نُفخ فيه فصار إنساناً. وكذلك فإن المسيح عليه السلام يقع تحت هذه الدائرة بالمفهوم العام فلو كان نفخُ الله يخلق إلهاً لكان آدم إلهاً وهو الذي خلقه الله من دون أب وأم. فالمسيح عليه السلام تم خلقه من دون أب حيث حلّت كلمة الله سبحانه على مريم فحلمت عندما نفخ جبريل عليه السلام فيها فحملت بالمسيح. ونفخُ الملاك جبريل في مريم وحملها بالمسيح عليه السلام لا يعني بأي شكل من الأشكال أن يكون المسيح إلهاً. وما ينطبق على آدم عليه السلام ينطبق على المسيح عليه السلام فلماذا لا يؤله النصارى آدم ويؤلهون المسيح عليه السلام؟.

يبقى أن نشير هنا إلى أن الآيات القرآنية تشير إلى أن المسيح عليه السلام نطق وهو في المهد وهذا ما لم تشر إليه الأناجيل. فنطقه وهو في المهد بحد ذاته معجزة. لأن هذا النطق جاء ليبرئ مريم من شبهة الزنا التي كاد أهلها أن يتهموها بها. وليس هناك من دليل على تبرئتها أكثر قوة من دليل نطق طفلها بأنه كلمة الله ونبيّه وأنه قد أتاه الكتاب والحكمة ورسول إلى بني إسرائيل.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم تشر كافة الأناجيل إلى نطق عيسى في المهد؟

الواقع أن كتبة الأناجيل جميعهم يصرون على ألوهية المسيح. ولو كان

المسيح إلهاً كما يقولون فإن نطقه في المهد سيزيد من حجتهم توسعاً. لكن المسيح الذي نطق في المهد دحض كل الافتراءات التي تبناها الذين ألَّهوه فكانت أول جملة نطق بها إني عبد الله وهذا يخالف كل تصورات الذين حرفوا في مسار العقيدة النصرانية. فكيف يمكن أن يخدعوا العالم بقولهم إن المسيح إله وهو الذي وضح أنه عبد الله؟ إذ ذلك يتناقض مع نظريتهم التحريفية فلا يمكن أن يأتوا على ذكر نطق المسيح في المهد لأن ذلك سينسف كل ما بنوه من تصور حول ألوهية المسيح المفترضة وذلك باعترافه أنه عبد الله وليس الله.

من جانب آخر فإن الذين كتبوا الأناجيل نقلوا أخباراً قيلت لهم ولم يعايشوا السيد المسيح منذ ولادته ولم يشهد أي منهم ولادة المسيح ولا حتى طفولته ولا حتى زمن دعوته.

إن أهم الأسباب التي نستنتجها من وراء نطق المسيح في المهد هي كون المسيح عبداً لله أتاه الكتاب وجعله نبياً. ولو كانت المسألة مسألة نطق عادي بأي كلام لما كان النطق نفسه ولما وُجد. فالنطق في المهد مرتبط ارتباطاً أساسياً بتحديد ماهية المسيح البشرية. فهو عبد الله وشتان بين العبودية لله والادعاء بالألوهية.

نسب المسيح ينفي ألوهيته

يرد في بعض الأناجيل نسب السيد المسيح عليه السلام، ولعل الغاية من إيراد هذا النسب التأكيد على أن المسيح عليه السلام ينتسب إلى النبي داود عليه السلام وداود ينتسب إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

فإنجيل متى يبدأ بالحديث عن نسب المسيح عليه السلام ويسلسل النسب من شخص إلى آخر حتى يصل إلى من يدعى يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح. ويقول الإنجيل فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً. ويبدأ الإنجيل سلسلة النسب بإبراهيم عليه السلام ويمر بسلسلة الأنبياء الذين انحدروا من إسحق.

والواقع أن النسب الذي يصل إلى يوسف رجل مريم لا يمت بصلة إلى المسيح عليه السلام والأناجيل نفسها تورد أن يوسف ليس والد المسيح إنما هكذا نسب المسيح ليوسف لأنه كان خطيب أمه مريم.

وطائفة من اليهود يقولون إن المسيح ابن يوسف النجار وما نرى متى إلا شاهداً لقولهم ومحققاً له وإلا فكيف يبدأ بأنه يذكر نسب المسيح إلى داود ثم لا يذكر إلا نسب يوسف النجار إلى داود ولو أنه ذكر نسب أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر. لكنه لم يذكر نسب مريم أصلاً[1].

---

(١) ابن حزم. الفصل بين الملل والأهواء والنحل مجلد ٢ ص ٣٠.

وقد ذكر لوقا في الباب الثالث منه نسب المسيح عليه السلام فقال إنه كان يظن أنه ابن يوسف النجار. ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متى وهذا التناقض لابد أن يشير إلى أن أحد الكاتبين متى ولوقا يكذب بعضهما الآخر ولابد أن يكون كلا النسبين كذباً.

ويرى بعضهم أن أحد النسبين هو نسب الولادة والنسب الآخر نسب إلى إنسان تبنّاه على ما كان في قديم زمن بني إسرائيل من أن من مات ولا ولد له تزوج أخوه امرأته وينسب إلى الميت مَنْ ولدت منْ هذا الحي. وعلى هذا فنحن نسأل أي النسبين هو نسب الولادة وأيهما هو نسب الإضافة لا الحقيقة[1].

على أي حال فالفكر المسيحي له وجهة نظر في مسألة نسب المسيح عليه السلام حيث يرى.

أننا عندما ندرس العهد الجديد نلاحظ أن كتّابه أكدوا بشدة على أن يسوع هو ابن داود فالمسيا الموعود به والذي يجب أن ينقذ الشعب من خطاياه وعبوديته يجب أن يكون من نسل داود.

ويرى أن نسب المسيح لداود مهم جداً ليس فقط بالنسبة للعهد القديم بل بالنسبة للعهد الجديد أيضاً. ففي المسيح ابن داود تتحقق للكنيسة المسيحية الوعود الروحية التي كان ينتظرها شعبه في القديم.

ويعترف الفكر المسيحي أن بعض الفرق المسيحية وبعض الباحثين يرفضون هذا النسب فيرون أن سلسلتي النسب في متى ١ : ٢ - ١٦ ولوقا ٣٣ : ٢٣ - ٣٨ هي سلسلة نسب يوسف وليس شجرة نسب مريم. فحتى يصل متى إلى هدفه أي لكي يبين بأن المسيح هو من نسل داود يعطي لنا سلسلة طويلة من

---

(١) ابن حزم الفصل بين الملل والأهواء والنحل مجلد ٢ ص ٣٤.

الأسماء التي تنتهي بالقول ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح. أما لوقا فلكي يصل إلى نفس الهدف أي بأن يسوع هو ابن يوسف وابن داود فيقول: (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالي... ابن داود... ابن آدم... ابن الله).

وبناء على ذلك فإن لم يكن يوسف هو الأب الشرعي ليسوع فلا يمكن أن يكون يسوع هو ابن داود فإذا كان المسيح قد ولد بطريقة معجزية دون أي اتصال جنسي بين مريم ويوسف فإن يسوع يفقد نسبته لداود الأمر الذي يتمسك به عدد كبير من كتاب العهد الجديد[1].

وإذا عدنا إلى نصوص القرآن الكريم نرى أنها توضح المسألة بطريقة أبعد عن المسألة الجسدية أو النسب الجسدي.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ٣٣ ـ ٣٤].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران/ ٤٢].

فقد فضل الله من ذكرهم في الآية الأولى بالنبوة على الناس كلهم. وقد اختار الله سبحانه لرسالته من الناس آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران. وكل هؤلاء من ذرية آدم عليه السلام ثم ذرية نوح ثم من ذرية إبراهيم. فمسألة النسب لا تتوقف عند العلاقة الجسدية بل هي سلسلة نبوية من المهم أن يدركها المرء كي يصل إلى حقيقة المهمة النبوية للسيد المسيح.

على أية حال فإن إيراد إنجيل متى وإنجيل لوقا لسلسلتي المسيح عليه

---

(١) الخضري تاريخ الفكر المسيحي المجلد ١ ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

السلام وعلى الرغم من اختلافهما فإن ذلك دليل ساطع على بشرية المسيح وليس على ألوهيته. وأما ما يقال عن الطبيعة الثنائية والأقانيم الثلاثة فهي بحد ذاتها تناقض منطق الألوهية الوحدانية فإما أن يكون الإله إلهاً فرداً صمداً وإما أن لا يكون لأن الخروج عن هذا المنطق هو دخول في عالم التعددية الإلهية والوثنية التي عرفتها الشعوب القديمة وأفصحت عنها أساطيرها.

إن القرآن الكريم الذي وضح أن الله اصطفى للنبوة آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران يوضح أنه اصطفى مريم على نساء العالمين لتكون أماً للمسيح عليه السلام. ويجدر بنا هنا أن نعود إلى أم مريم عندما حملت بمريم ووهبت ما في بطنها خالصاً لله إن كان ولداً أو بنتاً. فاصطفاء مريم حصل في علم الله منذ الأزل وظل الاصطفاء قائماً ومهدت له الأسباب الواقعية حتى حملت امرأة عمران بابنتها مريم وهي لا تعلم أن هذه البنت ستكون ذات شأن كبير في حياة الأمم وحياة النبوة.

فاصطفاء الله سبحانه لهؤلاء الأنبياء ليس اصطفاءً عشوائياً والدليل على ذلك أن أكبر العقائد تشترك في تقدير واحترام هؤلاء الأنبياء. وخاصة أن الدين الإسلامي يحترم كافة الأنبياء ويؤمن بهم سواء بسواء. ولئن رفض اليهود وكذلك النصارى الاعتراف بنبوة محمد ﷺ فإن ما أنزل على موسى وكذلك على عيسى عليهما السلام يدلل بشكل واضح على الاعتراف بنبوة خاتم الرسل محمد ﷺ رغم عدم اعتراف هؤلاء وتسليمهم بنبوة خاتم الرسل.

إن التسلسل الذي يورده إنجيل متى وكذلك إنجيل لوقا ليس مهماً كما يعتقد بعض النصارى بل المهم أن نعترف أن الأنبياء اصطفاهم الله لنفسه ليبلغوا رسالة التوحيد فليس مهماً أن نورد اثنين وأربعين جيلاً لنؤكد أن المسيح عليه السلام هو من نسل داود ثم إبراهيم. المهم أن المسيح هو من تلك السلالة

النبوية المصطفاة التي يشترك فيها موسى وداود وسليمان والمسيح كما يشترك فيها إسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. وما يعنينا من سلسلات النسب في كل البشرية؟ إن الذي يعنينا هنا هو تأكيد القرآن الكريم على السلسلة النبوية التي تدين لها البشرية جمعاء بديانة التوحيد. ولو كانت هذه السلسلة بشرية غير نبوية لما جاء عليها القرآن الكريم وركز عليها. فهي تنهل من نبع واحد وتصب في اتجاه واحد منذ آدم وحتى محمد ﷺ.

ويعلق الشيخ أحمد ديدات على سلسلة نسب المسيح بقوله:

أفيقوا الآن كيف دسّ آباء الكنيسة المسيحيون كيف دسّوا في سلسلة نسب يسوع المسيح الزناة ومرتكبي الفحشاء في المحارم إنها ذرية تتسلسل من يهوذا إلى يوسف خطيب مريم أم يسوع ذرية من الزنا والعهارة في العهد القديم لتكون سلسلة نسب ربهم ومخلصهم يسوع المسيح سجلها البشيرون في أناجيلهم من كتاب العهد الجديد.

لقد اختلفوا ودسوا هذا النسب لإنسان ليس له نسب وما هذا النسب؟ إنهم ست رجال من الآباء زناة وذريتهم ثمرة زناهم. لقد ارتكبوا الزنا في المحارم وفرض مدونو العهد الجديد هذه الذرية ليكون من سلالتها ذلك الإنسان القدوس إنهم الزناة رجال ونساء يستحقون الرجم حتى الموت وفقاً لأحكام الله في شريعة موسى وفضلاً عن ذلك كان ينبغي أن يُنبَذوا في المجتمع وأن يحرموا من بيت الله لعدة أجيال[١].

إننا نتساءل لماذا ينسب الله يوسف بن هالي خطيب مريم أباً ليسوع المسيح ابنه كما ادعى بولس وحده الذي نادى بالبنوّة لله حقيقة.

---

(١) أحمد ديدات. هل الكتاب المقدس كلام الله. ترجمة وتحقيق إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، الطبعة الأولى ١٩٨٩م القاهرة، ص ٢٠٧.

لماذا ينسب ليسوع هؤلاء الأسلاف الزناة. لكن رجال اللاهوت المارقين عن الحق وما أكثرهم يبررون هذا بقولهم: هنا تكمن الروعة برمتها. فإن الله أحب الخطاة إلى درجة أنه لن يستنكف أن يجعل أسلاف (ابنه) مثل هؤلاء.

شخصيات يكرمها الكتاب المقدس لولادتهم غير الشرعية فهم آباء أجداد وأمهات أجداد يسوع المسيح ابن الله الوحيد وينفرد متى في تسجيل أسماء هؤلاء فيقول: ويهودا ولد فارص وزارح من ثامار[1].

وسلمون ولد بوعز من راحاب. وراحاب امرأة أمورية زانية. وبوعز ولد عوبيد من راعوث. راعوث موآبية وهي من المحرمات. وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا. اقرأ وتدبر زنى داود بامرأة أوريا الحثي[2].

نخلص إلى نتيجة مفادها أن نسب المسيح يطعن في شخصه من ناحية، ومن ناحية أخرى حتى لو كان النسب صحيحاً فإنه لا يفيد مطلقاً في إطار اصطفاء الله لأنبيائه. فيكفيهم عزاً وفخراً أنهم وقعوا في دائرة الاصطفاء الإلهي ليكونوا أنبياء يدعون إلى ديانة التوحيد ويستمدون من مصدر إلهي واحد.

---

(١) أحمد ديدات. هل الكتاب المقدس كلام الله. ترجمة وتحقيق إبراهيم خليل أحمد دار المنار، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، القاهرة ص ٢٠٨.

(٢) نفس المرجع السابق، صفحة ٢٠٩.

حياة المسيح من الطفولة إلى الدعوة

لا شك أن دارسة حياة أي نبي تشتمل على الكثير من الأمور خاصة تلك التي ترتبط بالنبوة والدعوة. والمسيح عليه السلام كأي نبي من الأنبياء مر بطفولة وشباب وأحاطه الله سبحانه بالرعاية والتربية النبوية الخاصة.

ينفرد إنجيل متى بالحديث عن بعض الأمور المتعلقة بحياة المسيح خاصة أيام طفولته فيرى هذا الإنجيل أن مجوساً قدموا أورشليم من المشرق بعد أن رأوا نجماً في المشرق يبشر بولادة المسيح.

ثم يورد هذا الإنجيل أن يوسف ومريم حملا يسوع وهربابه إلى مصر خوفاً من بطش هيرودس ثم يعودان من مصر ويقيمان في الناصرة حيث ظهر ملاك الرب ليوسف وأخبره أن الملك قد مات وجاء ملك بعده فلا خوف على حياة الطفل يسوع.

وقد صرح المجوس أنهم جاؤوا ليسجدوا لهذا الطفل الذي ولد في بيت لحم. ويقول هذا الإنجيل (وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه) الفصل ٢ صفحة ٣٧.

وإذا تصفحنا آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن النبي عيسى لوجدناها تخلو من ذكره هذه القصص وهذا يدعونا لتحليل ما ورد في النص الإنجيلي.

فالنص يقول إن مجوساً قدموا أورشليم من المشرق وقالوا أين ملك اليهود الذي ولد فقد رأينا نجمه في المشرق.

فاعترف الإنجيل أن مجوساً علموا الغيب وعرفوا أن ملك اليهود قد ولد. فالمجوس يعبدون النار وهم أصحاب الإيمان بإلهين إله للخير وإله للشر وليس لهم علاقة بعقيدة التوحيد أو حتى بأي صلة مع عقيدة إلهية فكيف منحهم الله علم الغيب وأخبرهم أن ملك اليهود قد ولد. وقالوا إنهم رأوا نجمة في المشرق. فهل لكل نبي نجم يظهر حين يلد وما هذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل. وكم هي المسافة الفاصلة بين النجم وبين الكرة الأرضية. ثم كم هو حجم هذا النجم وكيف توقف مسيره عندما وصل إلى المكان الذي فيه الطفل.

ولما رأوا النجم فرحوا فرحاً شديداً ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمه فجثوا له ساجدين فلماذا يسجدون له ألأنه الإله الذي يزعم لوقا ويتصور؟ ثم ما هذا التغير الذي طرأ على المجوس وهل النجم مسخر من قبل هذا الطفل الإله أم أن رب الكون سخر النجم للمجوس كي يقولوا إن ملك اليهود قد ولد. ومع كل هذا فالمسيح لم يكن ملكاً لليهود ولا نُصّب ملكاً عليهم من أول يوم في حياته وحتى رفعه إلى السماء.

أما قضية هروب مريم ويوسف ومعهما المسيح إلى مصر فالمسألة هذه تحتاج لمراجعة وتحليل فالمسيح عليه السلام في طفولته لا يشكل خطراً على هيردوس الملك لأنه لن يكون ملكاً بل نبياً إلى التوحيد وتصحيح الانحراف الذي فعله اليهود. وإذا كان إنجيل متى يسند قصة الهرب إلى قصة المجوس فإن ذلك من الخطأ الفاحش لأن قصة المجوس مخترعة ولم يُخبر بها أحد فكيف علمها متى وممن علمها.

ثم إن إنجيل متى يقول إنه أُوحي إلى يوسف النجار أكثر من مرة فهل كان يوسف نبياً حتى يوحى له؟ ليحمي المسيح.

لقد صرحت آيات القرآن الكريم أن الروح القدس ـ جبريل ـ بعثه الله سبحانه ليؤيد المسيح ويحميه ولم يشر أصلاً إلى يوسف ولا إلى إيحاء جبريل له ولا إلى قصة المجوس وقصة الهروب إلى مصر.

وصرحت الآيات القرآنية الكريمة منذ البداية أن المسيح نبي مؤيد من الروح القدس وأنه نبي بعثه الله لبني إسرائيل.

يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران/ ٤٥ ـ ٤٦].

ويقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران/ ٤٨ ـ ٥١].

إذاً فهو نبي بعث لبني إسرائيل وليس ليتسلم عرش ملك بني إسرائيل.

وآيتُه أن الله أيده ليخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ويبرئ المرضى ذوي الأمراض المستعصية ويحيي الموتى بإذن الله. إلى آخر ما هنالك من معجزات منحها الله له لتدل على نبوته.

لقد حدد القرآن الكريم مهمة السيد المسيح النبوية. وتذكر بعض الأناجيل ومنها إنجيل برنابا أن المسيح عليه السلام عندما بلغ اثنتي عشرة سنة ذهب إلى

الهيكل وسط العلماء يحاجهم في أمر الناموس. وقد صرح المسيح نفسه أنه جاء ليتمم الناموس لا لينقضه والمقصود أنه جاء متمماً لرسالة موسى التوحيدية وليس ناقضاً لها.

جاء في إنجيل متى: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لأبطل بل لأكمل) الفصل ٥ ص ٤٦.

إذاً كيف يكون إلهاً وهو يعترف أنه جاء ليكمل ما قام به الأنبياء قبله؟ إن القرآن الكريم يحدد أن المسيح بُعث رسولاً لبني إسرائيل وعلمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. إذاً فهو في طريق الأنبياء يتمم رسالتهم في بني إسرائيل الذين انحرفوا عن عقيدة التوحيد.

تبدأ حياة المسيح بالعبودية لله سبحانه وتعالى وما إن بدأ حياة الفتوة والشباب حتى منحه الله قوة الحكمة والحجة والجدال مع كهنة بني إسرائيل. وفي هذا السياق لابد أن نعرف الفئات اليهودية وغيرها التي جادلها المسيح ووقف على النقيض منها ومن معتقداتها وعاداتها ويأتي الفريسيون على رأس هذه الفئات ويبدو من خلال ما ذكرته الأناجيل أن الفريسيين وقفوا من المسيح عليه السلام موقفاً عدائياً واضحاً. وكلما ازداد الجدال بينه وبينهم ازدادوا تعصباً وحقداً.

وما عند اليهود من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم تيقنهم بشيء من أخباره. فمنهم من يقول إنه كان رجلاً منهم ويعرفون أباه وأمه وينسبونه لزانية وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول. ويسمون أباه الزاني البنديرا الروحي وأمه مريم الماشطة ويزعمون أن زوجها يوسف بن يهودا وجد البنديرا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها. ومن اليهود من رغب عن هذا القول وقال إنما أبوه يوسف بن يهودا الذي كان زوجاً لمريم ويذكرون أن السبب

في استفاضة اسم الزنا عليه أنه بينما هو يوماً مع معلمه بهشوع بن برخيا وسائر التلاميذ في سَفَر فنزلوا موضعاً. فجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ في كرامتهم فقال بهشوع ما أحسن هذه المرأة يريد أفعالها فقال عيسى بزعمهم لولا عور في عينها فصاح بهشوع وقال له يا ممزار - أي يا زنيم أو يا بن الزنا - أتزني بالنظر. وغضب غضباً شديداً وعاد إلى بيت المقدس وحرم اسمه ولعنه في أربعمائة قرن. فحينئذ لحق ببعض الروم وداخله بصناعة الطب فقوي بذلك على اليهود وهم يومئذ في ذمة قيصر بتاريوس. وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها إلى أن كان من أمره ما كان، وطوائف من اليهود يقولون غير هذا، ويقولون إنه كان يلاعب الصبيان بالكرة فوقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياءً من المشايخ. فقوي عيسى وتخطى رقابهم وأخذها فقالوا له ما نظنك إلا زنيماً. ومن اختلاف اليهود في أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذي كان خطب مريم يوسف ابن يهودا النجار. وبعضهم يقول إنما هو يوسف الحداد[١].

وهذا غيض من فيض مما يقوله اليهود في عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا هو الأساس الذي استندوا عليه وهم يجادلون المسيح.

والواقع أن الأناجيل لا تذكر لنا عن طفولة المسيح إلى حادثتين. حادثة مجيء المجوس التي ناقشناها وحادثة حلم يوسف وهربه إلى مصر بصحبة مريم والمسيح عليه السلام وفي إنجيل لوقا نعرف شيئاً عن شباب المسيح. فيورد أنه ذهب مع مريم ويوسف ليؤدي الفصح في القدس.

وتؤكد الأناجيل على أن خدمة المسيح العلنية بدأت منذ أن صار عمره ثلاثين سنة فقال إنجيل لوقا (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة) لوقا ٣ : ٢٣.

---

(١) ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى ص ٢٢٢، سبق ذكره.

وحسب المصادر الإسلامية فإنه بعث أو كلف بالنبوة في سن الثلاثين واستمرت دعوته ثلاث سنين فقط.

ونستطيع أن نرى تعاليم المسيح ومعجزاته منذ هذا الوقت أي منذ أن أنزل الوحي عليه الإنجيل.

وعندما نرجع إلى تاريخ اليهودية نرى أن الفترة التي بدأ فيها المسيح بالدعوة كانت فترة اضطراب وقلق وعدم استقرار من الناحية السياسية والدينية. وما يهمنا هنا الجو الديني العام الذي بشر المسيح بدعوته فيه. فترى المصادر المسيحية أن أحزاباً دينية نشطت وأصبح الشعور العام لدى اليهود هو حاجتهم لنبي يخلصهم مما هم فيه من ظلم الرومان.

وقد ظهر في هذا الوقت أن اليهود انقسموا إلى ثلاث فئات. الفريسيين، والصدوقيين، والاسينيين. فالفريسيون كانوا متشددين متطرفين فوقفوا من المسيح موقفاً عدائياً قاسياً. والصدوقيون يمثلون الطبقة الأرستقراطية المتعاونة مع الرومان. أما الاسينيون فاعتزلوا وعاشوا في قمران وكانوا ينتظرون تغييراً في الحياة الدينية اليهودية.

ومما سبق يتضح لنا أمران هامان جداً الأمر الأول هو أنه عندما بدأ المسيح في الخدمة كان معظم الشعب اليهودي ينتظر بفارغ الصبر ظهور المسيا (النبي) والأمر الثاني أن السلطات الرومانية كانت تعتبر أن كل حركة مسيانية حركة معادية للسلطات الرومانية وللإمبراطورية كلها[(١)].

(١) الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، صفحة ٢١٦.

الصراع بين النبي عيسى عليه السلام وبين اليهود

كان اليهود على كافة أحزابهم ومذاهبهم ينتظرون قدوم المسيح استناداً على نبوءات قدمها أنبياؤهم خاصة النبي إشعيا.

وحسب اعترافاتهم فإنهم كانوا ينتظرون مسيحاً قوياً يبهر العقل والعين بأعماله ومعجزاته وعلى الرغم من أن المسيح قدم معجزات كثيرة إلا أن اليهود وقفوا منه موقفاً معادياً. وقد صرح المسيح نفسه لتلاميذه بأن الدعوة يجب أن تكون لبني إسرائيل. (إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) إنجيل متى ١ : ٥ ـ ٦ ، فالمسيح جاء لخاصته لكي يمنح هذه الخاصة الخلاص ولكي تكون هي بدورها مبشرة بهذا الخلاص للأمم.

واشتد الصراع بين المسيح واليهود ويرجع سببه إلى أن المسيح نادى بتحرير الإنسان من حرفية الناموس والطقوس البالية القديمة التي هي من صنع الإنسان. وقد ذكرت الأناجيل ذلك الصراع والويلات التي صبها المسيح على رياء الكتبة والفريسيين وكذلك مقاومته للصدوقيين ومعتقداتهم. ويبدو أن المسيح لم يكن في صراع مع الاسينيين جماعة قمران. وهذا ما لم تذكره الأناجيل أيضاً.

وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من صراع المسيح عليه السلام مع اليهود. وقد تجنوا عليه وعلى أمه مريم العذراء.

فقد اتهموا مريم اتهامات باطلة ووصفوها بأوصاف نابية سيئة.

يقول تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء/ ١٥٦].

واتهموه بالسحر ورفضوا آيات الله ومعجزاته.

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة/ ١١٠].

وقد كان انحراف اليهود كبيراً حتى أنهم جعلوا معبد الرب مغارة لصوص ومكاناً لبائعي الحمام وقد أنكر المسيح عليه السلام عليهم ذلك الأمر فدخل معبد الرب وأدانهم وفضح خروجهم عن سلوك الدين القيم. وقد جاء في إنجيل متى: (ثم دخل يسوع الهيكل وطرد جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل فقلب طاولات الصيارفة ومقاعد باعة الحمام وقال لهم: مكتوب بيتي يدعى بيت الصلاة وأنتم تجعلونه مغارة لصوص) الفصل ٢١ صفحة ١٠٩ وقد ورد ذلك أيضاً في إنجيل مرقص وإنجيل لوقا.

وقد تجلى الصراع بين المسيح عليه السلام وبين الفريسيين في أقوال ومواقف كثيرة: جاء في إنجيل متى: (الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تقفلون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون. ولا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون. الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تجوبون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً فإذا أصبح دخيلاً جعلتموه يستحق جهنم ضعف ما أنتم تستحقون الويل لكم أيها القادة العميان...

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تؤدون عشر النعنع والشمرة والكمون بعدما أهملتهم أهم ما في الشريعة. العدل والرحمة والإخلاص) متى ص ١١٨ ـ ١١٩.

ويقول: (أيها الحيّات أولاد الأفاعي كيف لكم أن تنجوا من عقاب جهنم من أجل ذلك ها أنذا أرسل إليكمأنبياء وحكماء وكتبة فبعضهم تقتلون وتصلبون وبعضهم في مجامعكم تجلدون ومن مدينة إلى مدينة تطاردون حتى يقع عليكم

كل دم زكي سفك في الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بركيا الذي قتلتموه بين المقدس والمذبح). متى ٣٣ ـ صفحة ١٢٠.

ويورد إنجيل متى شيئاً وافياً عن تآمر أحبار اليهود على المسيح عليه السلام. فيقول (واجتمع حينئذ الأحبار وشيوخ الشعب في دار عظيم الأحبار وكان يدعى قيافا فأجمعوا على أن يمسكوا يسوع بحيلة ويقتلوه.

وقد تآمر على المسيح المدعو يهوذا الاسخريوطي حيث يرد أنه ذهب إلى الأحبار وقال لهم ماذا تعطوني وأنا أسلمه لكم فجعلوا له ثلاثين من الفضة وأخذ من ذلك الحين يطلب فرصة ليسلمه.

وتورد الأناجيل أن اليهود هاجموا المسيح بالعصي وقبضوا عليه ليسلموه إلى الرومان بحجة أنه متمرد ومشاغب.

وقد أوردت الأناجيل أن اليهود بصقوا في وجه المسيح عليه السلام ولطموه ولكموه ثم استلمه جنود الحاكم فجردوه من ثيابه ووضعوا إكليلاً من الشوك على رأسه وضربوه بالقصبة على رأسه. وسخروا منه كثيراً. إلى آخر ما هنالك من أشكال الإهانات التي أوردتها الأناجيل.

وقد أورد القرآن الكريم موقف اليهود من المسيح عليه السلام. فهم على طبعهم من معاداة الأنبياء وقتلهم.

يقول تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾ [البقرة/ ٨٧].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨﴾ [المائدة/ ٧٨].

معجزات النبي عيسى عليه السلام

المعجزة حسب المفهوم الديني أمر خارق للعادة ونواميس البشر يقصد به الله سبحانه تحدي البشر وإعجازهم وذلك لتكون أحد أسباب الإقناع والاقتناع بالله والإيمان به.

ولو نظرنا في آيات القرآن الكريم وجدنا أن الله سبحانه أجرى المعجزات على يد أنبيائه سيما هؤلاء الذين كان عصرهم يتناسب وطرح المعجزات لتعين الأنبياء على إقناع الجاحدين بربوبية الله ووحدانيته.

فقد قدم موسى عليه السلام معجزتين، خروج يده بيضاء. والعصا التي تلقفت جميع الثعابين المتوهمة. وقدم الله سبحانه لصالح معجزة الناقة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وكذلك كان القرآن الكريم معجزة سيدنا محمد ﷺ الكبرى التي تحدى بها قومه والناس أجمعين إضافة لمعجزات كثيرة رافقت حياته وحياة عدد من الأنبياء.

وإذ كُلف عيسى عليه السلام بالدعوة لديانة التوحيد فقد أيده الله سبحانه بإجرائه بعض المعجزات عسى أن يؤمن بعقيدته بنو إسرائيل والوثنيون الرومان ومن على شاكلتهم وقيل إن عصر موسى طغى عليه السحر وصناعته فكانت معجزاته من صنف ما كان عليه عصره وكذلك عيسى فقد قيل إن عصره اشتهر بالطب فكانت معجزاته تدور في دائرة صنف عصره وكذلك الرسول ﷺ فكان القرآن معجزاً للعرب كونهم اتصفوا عند نزول القرآن الكريم بالبلاغة اللغوية والفصاحة.

وقد حفلت الأناجيل بعدد كبير من الخوارق والمعجزات التي أجراها السيد المسيح عليه السلام فقد أورد إنجيل متى عشر معجزات وهي :

١ ـ إبراء الأبرص : يقول إنجيل متى : (ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة وإذا أبرص يدنو منه فيسجد له ويقول : إن شئت فأنت قادر على أن تبرئني فمد يسوع يده فلمسه وقال قد شئتُ فابرأ فبرئ من برصه لوقته) فصل ٨ : ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ .

٢ ـ شفاء عبد قائد المائة : (ودخل كفر ناحوم فدنا منه قائد مائة يتوسل إليه فيقول إن عبدي ملقى على الفراش في بيتي مقعداً يعاني أشد الآلام فقال له أأذهب لأشفيه فأجاب قائد المائة : لست أهلاً لأن تدخل تحت سقفي ولكن يكفي أن تقول كلمة فيبرأ عبدي . . . ثم قال يسوع لقائد المائة اذهب وليكن لك بحسب ما آمنت فبرئ العبد من تلك الساعة) متى الفصل ٨ ، صفحة ٥٧ .

٣ ـ شفاء كثير من المرضى الممسوسين : حيث طرد يسوع الأرواح بكلمة منه .

٤ ـ تسكين العاصفة : حيث زجر الرياح والبحر فحدث هدوء .

٥ ـ طرد الشياطين وغرق الخنازير .

٦ ـ شفاء المقعد : إذ قال يسوع للمقعد ثق يا بني غُفرت لك خطاياك . ثم قال له قم فاحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام ومضى إلى بيته .

٧ـ ٨ ـ شفاء المنزوفة وإحياء ابنة بعض الوجهاء : حيث التقت يسوع فرآها ـ المنزوفة ـ فقال ثقي يا ابنتي إيمانك أبرأك فبرئت المرأة من ساعتها . . وقال انصرفوا فالصبيَّة لم تمت وإنما هي نائمة فضحكوا منه فلما أخرج الجمع دخل وأخذ بيد الصبية فنهضت وذاع الخبر في تلك الأرض كلها .

٩ ـ شفاء أعميين: فلمس أعينهما وقال فيلكن لكما بسحب إيمانكما فانفتحت أعينهما.

١٠ ـ شفاء أخرس ممسوس: وما إن خرجا حتى أتوه بأخرس ممسوس فلما طرد الشيطان تكلم الأخرس.

وهناك أيضاً معجزات يذكرها إنجيل متى مثل معجزة الخبز والسمك (حيث أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع عينيه نحو السماء وبارك وكسر الأرغفة وناولها تلاميذه والتلاميذ ناولوها الجموع فأكلوا كلهم حتى شبعوا ورفعوا ما فضل من الكسر اثنتي عشرة قفة ممتلئة وكان الآكلون خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد) إنجيل متى صفحة ٨٦.

ومن معجزاته أيضاً أنه سار على الماء. يقول الإنجيل فعند آخر الليل جاء إليهم ماشياً على البحر.

وقد شفى المرضى في أرض يقال لها جناسرت وشفى ابنة الكنعانية في نواحي صور وصيدا وكذلك شفى المرضى على شاطئ بحر الجليل وجرت أيضاً مرة ثانية معجزة الخبز والسمك وطرد الشيطان من صبي مصابٍ بالصرع.

وقد وردت معجزات المسيح هذه في إنجيل مرقص وكذلك إنجيل لوقا وكذلك إنجيل يوحنا ونرى في بعض الأناجيل زيادة في المعجزات عن غيرها وكذلك أحياناً نرى نقصاناً في هذه المعجزات في بعض الأناجيل دون غيرها.

ولكننا بشكل عام نرى أن الأناجيل جميعاً تتفق على أن المسيح أتى بمعجزات كثيرة وكلها كان له الأثر في إيمان المئات من البشر برسالته. وكان الفريسيون حسب ما ورد في الأناجيل يطلبون منه فعل أمور على سبيل الإعجاز وإظهار عجزه. ولكن الأناجيل تورد أن يسوع المسيح رد عليهم ردوداً أفحمتهم وجعلتهم يصمتون. ويعاودون ذلك مرات علهم ينالون منه ومن نبوته.

ويورد القرآن الكريم ما منح الله عيسى عليه السلام من تأييد الله له بالمعجزات وتكرر ذلك ليؤكد القرآن هذا التأييد الإلهي.

فيقول تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٤٩ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٥١﴾ [آل عمران/ ٤٩ ـ ٥١].

ويقول تعالى في سورة المائدة: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝١١٠﴾ [المائدة/ ١١٠].

فالمعجزات التي منحه الله إياها هي:

١ ـ خلقٌ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

٢ ـ إبراء الأكمة والأبرص.

٣ ـ إحياء الموتى بإذن الله.

٤ ـ إخبار بني إسرائيل بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم من مدخرات.

٥ ـ ويضاف إلى ذلك تأييده بالروح القدس ونطقه في المهد.

ولم تشر الأناجيل إلى معجزة خلقه للطير ولا إلى إخبار بني إسرائيل بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم ولا إلى معجزة نطقه في المهد. أما القرآن الكريم فلم يتحدث عن بعض المعجزات التي ذكرتها الأناجيل كحادثة السمك والخبز.

واقع معجزات المسيح بين التصور القرآني والتصور المسيحي

تربط الأناجيل بين المعجزات وما يُدّعى من ألوهية المسيح. ففي نصوص الأناجيل الذي ذكرت المعجزات يرد ما يؤكد التصور الإنجيلي لألوهية المسيح.

ففي حادثة إبراء الأبرص يقول إنجيل متى: وإذا أبرص يدنو منه فيسجد له ويقول: يا رب إن شئت فأنت قادر على أن تبرئني.

فنلاحظ ورود كلمة يسجد له وكلمة يا رب وورود كلمة إن شئت. وهذه الكلمات الثلاث تشير بوضوح إلى أن الأناجيل تصر على أن المسيح إله له مشيئة خاصة وإرادة خاصة ويُسجَد له ويُنادى باسم الرب. وتتكرر كلمة يا رب في حادثة شفاء عبد قائد المائة (فيا رب إن عبدي ملقى على الفراش في بيتي).

وفي حادثة طرد الشياطين وغرق الخنازير يرد في إنجيل متى (أجئت إلى هنا لتعذبنا قبل الأوان) وهذه الجملة تشير إلى الأناجيل تفترض أن المسيح هو الله فهو الذي سيعذب الناس جزاء على ما اقترفوا من خطايا.

وفي قصة (يسوع يسكن العاصفة) يرد قول إنجيل متى (يا رب نجنا لقد هلكنا).

وفي حادثة شفاء أعميين يرد في سفر متى: فقالا له نعم يا رب.

فإذا كان ما أتى به المسيح عليه السلام من معجزات يدل على ألوهيته فإن الله أجرى معجزات على يد كثير من الأنبياء. فموسى عليه السلام وهبه الله معجزة اليد التي إذا أخرجها من جيبه تخرج بيضاء تشع بالنور. ووهبه الله العصا إذا ألقاها أصبحت ثعباناً على الحقيقة حتى أن موسى خشي منها وأوحى الله له

أن يمسكها لتُعاد إلى سيرتها الأولى. وفجر الصخرة أو الحجر اثنتي عشرة عيناً على عدد أسباط بني إسرائيل ليشربوا.

فهذه المعجزات التي أجريت على يد موسى عليه السلام كفيلة أن يقال عنه إلهاً كما قيل عن المسيح. فلماذا لم يؤله المسيحيون موسى وألّهوا المسيح؟ على الرغم من أنهم يعترفون بالكتاب الذي يسمى التوراة ويعترفون بموسى أنه نبي وله معجزات.

يقول ابن القيم: وإن جعلتموه إلهاً لأنه صنع من الطين صورة طائر ثم نفخ فيها فصارت لحماً ودماً وطائراً حقيقة ولا يفعل هذا إلا الله قيل فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة فإنه ألقى عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ثم أمسكها بيده فصارت كما كانت[1].

ويقول ابن القيم: وإن قلتم استدللنا على كونه إلهاً بأنه أحيا الموتى ولا يحييهم إلا الله فاجعلوا موسى إلهاً آخر فإنه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره ولا ما يقاربه. وهو جعل الخشبة حيواناً عظيماً ثعباناً فهذا أبلغ وأعجب من إعارة الحياة إلى جسم كانت فيه أولاً. فإن قلتم هذا غير إحياء الموتى. فهذا اليسع النبي أتى بإحياء الموتى وهم يقرون بذلك وكذلك إيليا النبي أيضاً أحيا صبياً بإذن الله وهذا موسى قد أحيا بإذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه وفي كتبكم من ذلك كثير عن الأنبياء والحواريين. فهل صار أحد منهم إلهاً بذلك؟

وإن قلتم جعلناه إلهاً للعجائب التي ظهرت على يديه، فعجائب موسى أعجب وأعجب وهذا إيليا النبي بارك على دقيق العجوز ودهنها فلم ينفد ما في جرابها من الدقيق. وما في قارورتها من الدهن سبع سنين وإن جعلتموه إلهاً لكونه أطعم من الأرغفة اليسيرة آلافاً من الناس. فهذا موسى أطعم أمته أربعين

---

(١) ابن القيم: هداية الحيارى صفحة ٢٠٦.

سنة من المن والسلوى وإن قلتم جعلناه إلهاً لأنه صاح بالبحر فسكنت أمواجه فقد ضرب موسى بعصاه فانفلق اثني عشر طريقاً وقام الماء بين الطرق كالحيطان. وإن جعلتموه إلهاً لأنه أبرأ الأكمة والأبرص فإحياء الموتى أعجب من ذلك. وإن جعلتموه إلهاً لأنه ادعى ذلك فلا يخلو إما أن يكون الأمر كما تقولون عنه أو يكون إنما ادعى العبودية والافتقار وأنه مربوب مصنوع مخلوق. فإن كان كما ادعيتم عليه فهو أخو المسيح الدجال فليس بمؤمن ولا صادق فضلاً عن أن يكون نبياً كريماً. جزاؤه جهنم وبئس المصير كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء/ ٢٩]. وكل من ادعى الإلهية من دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون ونمرود وأمثالهما من أعداء الله فأخرجتم المسيح من كرامة الله ونبوته ورسالته وجعلتموه من أعظم أعداء الله ولهذا كنتم أشد الناس عداوة للمسيح[١].

وقد فَلْسف بعض الفلاسفة المتصوفين المسلمين مسألة معجزات عيسى عليه السلام وخاصة خلقه للطير وأضفوا على المسألة لوناً تفسيرياً خاصاً لا نعهده عند المفسرين المسلمين الآخرين ولابن عربي رأي في ذلك.

يقول ابن العربي: فخلق جسم ماء محقق من مريم ومن ماء متوهم من جبريل سرى في رطوبة ذلك النفخ لأن النفخ من الجسم الحيواني رطب لما فيه من ركن الماء فتكوّن جسم عيسى من ماء متوهم وماء محقق وخرج على صورة البشر من أجل أمه ومن أجل تمثل جبريل في صورة البشر حتى لا يقع التكوين في هذا النوع الإنساني إلا على الحكم المعتاد. فخرج عيسى يحيي الموتى لأنه روح إلهي وكان الإحياء لله والنفخ لعيسى. كما كان النفخ لجبريل والكلمة لله فكان إحياء عيسى للأموات إحياءً محققاً من حيث ما ظهر عن نفخه كما ظهر هو عن

(١) ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى صفحة ٢٠٤ـ٢٠٥.

صورة أمه. وكان أحياؤه أيضاً متوهماً أنه منه وإنما كان لله. فجمع بحقيقته التي خلق عليها كما قلناه أنه مخلوق من ماء متوهم وماء محقق ينسب إليه الإحياء بطريق التحقيق من وجه وبطريق التوهم من وجه فقيل فيه من طريق التحقيق (ويحيي الموتى) وقيل فيه من طريق التوهم (فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله فالعامل في المجرور يكون لا قوله تنفخ ويحتمل أن يكون العامل فيه تنفخ فيكون طائراً من حيث صورته الجسمية الحسية وكذلك (تبرئ الأكمه والأبرص) وجميع ما ينسب إليه وإلى إذن الله وإذن الكناية في مثل قوله بإذني وبإذن الله فإذا تعلق المجرور بتنفخ فيكون النافخ مأذوناً له في النفخ ويكون الطائر عن النافخ بإذن الله فيكون العامل عند ذلك يكون ولولا أن في الأمر توهماً وتحققاً ما قَبِلَتْ هذه الصورة هذين الوجهين. بل لها هذان الوجهان لأن النشأة العيسوية تعطي ذلك.[1]

ويرى ابن عربي أن خلق المسيح للطير وإحياء الموتى ظاهراً دون الرجوع إلى إرادة الله وواسطته جبريل عليه السلام أدى بالنصارى إلى الأخذ بظاهر الأمور فوقعوا في الحلول ويقول في ذلك: فأدى بعضهم فيه إلى القول بالحلول وأنه هو الله بما أحيا به من الموتى ولذلك نسبوا إلى الكفر وهو الستر لأنهم ستروا الله الذي أحيا الموتى بصورة بشرية عيسى فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة/ ٧٢] فجمعوا بين الخطأ والكفر في تمام الكلام كله لأنه لا بقولهم هو الله ولا بقولهم ابن مريم فعدلوا بالتضمين من الله من حيث إحياء الموتى إلى الصورة الناسوتية البشرية بقولهم ابن مريم وهو ابن مريم بلا شك فتخيل السامع أنهم نسبوا الألوهية للصورة وجعلوها عين الصورة وما فعلوا بل جعلوا الهوية الإلهية ابتداء في صورة بشرية

---

(١) ابن عربي: فصوص الحكم ص١٣٩ ـ ١٤٠

هي ابن مريم ففصلوا بين الصورة والحكم لا أنهم جعلوا الصورة عين الحكم كما كان جبريل في صورة البشر ولا نفخ ثم نفخ ففصل بين الصورة والنفخ وكان النفخ من الصورة فقد كانت ولا نفخ فما هو النفخ في حدها الذاتي.

ويطرح ابن عربي رأياً تحليلياً لما جرت عليه الأمور بين الملل والفرق والمذاهب حول ما أطلقوه من ألوهية المسيح أو ناسوتيته.

فيقول في ذلك: فوقع الخلاف بين أهل الملل في عيسى ما هو فمن ناظر فيه من حيث صورته الإنسانية البشرية فيقول هو ابن مريم. ومن ناظر فيه من حيث الصورة الممثلة البشرية فينسبه إلى جبريل. ومن ناظر فيه من حيث الصورة عنه في إحياء الموتى فينسبه إلى الله بالروحية فيقول روح الله أي به ظهرت الحياة فيمن نفخ فيه، فتارة يكون الحق فيه متوهماً - اسم مفعول - وتارة يكون الملك فيه متوهماً وتارة تكون البشرية الإنسانية فيه متوهمة فيكون عند كل ناظر بحسب ما يغلب عليه. فهو كلمة الله وهو ورح الله وهو عبدالله وليس في ذلك الصورة الحسية لغيره بل كل شخص منسوب إلى أبيه الصوري لا إلى النافخ روحه في الصورة البشرية.(١)

ولبعض المفسرين والدارسين رأي آخر في مسألة خلق عيسى للطير. فيرى هؤلاء أن ادعاء المسيح عليه السلام أنه يبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً لا يستلزم أن تلك الخوارق حصلت منه بالفعل وليس في آيات القرآن الكريم ما يدل على أنه فعل تلك العجائب وغاية ما تدل عليه الآيات أنه كان عنده استعداد وفيه قوة على عمل ذلك. ومع تسليمنا بما يقول فإن النفس مطمئنة إلى أنه عمل تلك العجائب أمام أعين بني إسرائيل وذلك ظاهر في قوله تعالى ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

---

(١)ابن عربي فصوص الحكم ص ١٤١ - ١٤٢

عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ [المائدة / ١١٠].

بقي أن نقول أن هذه الخوارق رويت عن المسيح عليه السلام في الأناجيل ولم يرو عنه فيها أنه صور من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيه فكان طيراً. ولا غرابة في ذلك فقد ذكر القرآن الكريم عن أهل الكتاب أنهم نسوا حظاً مما ذكروا به. ولقد كانت هذه الخوارق سبباً لافتتان فريق من الناس به حتى وصفوه بأنه ابن الله على معنى البنوّة الحقيقية وآخرون قالوا إنه الله حتى عُبد وتكلف قومه لعبادته ضروباً من المسوغات يرفضها العقل ويمقتها العلم.[1]

أما رواد الفكر المسيحي فيرون أن معجزات السيد المسيح برهان على ألوهيته. إن تعريف المعجزة حسب مفهوم الوحي الإلهي هو عمل أو حدث علني أجري بقوة الله المباشرة بقصد إثبات صحة رسالة الرسول. لكن المعجزات التي قام بها السيد المسيح تختلف من حيث طبيعتها ومداها وأسلوبها عن المعجزات التي جرت على أيدي الأنبياء والرسل. وأساس الاختلاف هذا هو أنه بخلاف الوضع مع الأنبياء والرسل فإن المسيح حقق ما حققه من أعمال معجزية بقوته هو لا بواسطة قوة خارجة عنه. عندما تحققت المعجزات على أيدي الرسل والأنبياء أصروا دائماً على أن ما عملوه لا يرجع إلى قوتهم الشخصية. مثلاً، عندما انشطرت مياه البحر الأحمر وعبر بنو إسرائيل على اليابسة في قلب المياه لم يتردد كليم الله موسى في أن ينسب العمل لله وهذا أيضاً ينطبق على أيام العهد الجديد فعندما شفى الرسولان بطرس ويوحنا الرجلَ الأعرج الواقف على بوابة الهيكل كان ردهما على تعجب الجموع التي شاهدت المعجزة هكذا: ما بالكم تتعجبون من هذا ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو

---

(١) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء صفحة ٤٤٧ ـ ٤٥٧

تقوانا قد جعلنا هذا يمشي. لكن عندما شفى المسيح المرضى وأخرج الأرواح النجسة أو أقام الموتى أو أوقف هيجان البحر فإنه قام بكل ذلك بقوته غير المحدودة. وقد كشف عن ذلك بدون تردد قائلاً: الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي تشهد لي إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه.[1]

هذا ملخص ما يقوله رواد الفكر المسيحي حين يتعرضون لدراسة معجزات المسيح وينسبونها له على أنه الله وأنها صدرت بدون معونة من غيره.

والواقع أن هناك ملاحظات وردود على ذلك تبين قصر نظر هؤلاء:

١ ـ يقول رواد الفكر المسيحي تختلف المعجزات من حيث طبيعتها ومداها وأسلوبها. أما من حيث طبيعتها، فإحياء الموتى يعني وضع الروح أو إعادتها إلى الجسد فيعود إلى حياته وحركته. وموسى عليه السلام قلب العصا ثعباناً. والعصا جماد ليس فيه روح، فقلب من ليس يصلح ليكون حيواناً أو إنساناً إلى حيوان وفيه روح ففي المقياس العلمي من أصعب ومن أشد إعجازاً معجزة عيسى أم معجزة موسى؟

أما من حيث مداها إن كان المدى زمانياً أو مكانياً فمعجزات موسى أقوى مكانياً وأقوى زمانياً وقارن بين معجزة شق البحر بالعصا وأي معجزة قام بها المسيح عليه السلام.

٢ ـ ويقولون إن المسيح حقق ما حقق من معجزات بقوته هو، فمن الذين أدراهم أن المسيح فعل معجزاته بقوته هو؟ إذا كان هو صرح بذلك فهذا يخالف قولهم أنفسهم (الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي تشهد عليّ) فهو حسب قولهم

---

(١) القس منيس عبد النور، هل تجسد المسيح، ص٤٠ مكتبة دار نداء الرجاء حمص سوريا دون تاريخ.

يعمل المعجزات باسم أبيه وليس باسمه هو، بمعنى أنه لو فعل باسمه دون اسم أبيه لما فعل معجزة واحدة.

٣ ـ ويقولون فإنه قام بكل ذلك بقوته غير المحدودة. فإذا كان المسيح ذا قوة غير محدودة فكيف لم يستطع بهذه القوة أن يفلت من يد معتقليه عندما ألقوا عليه القبض وأرادوا صلبه حسب قول أناجيلهم؟ ألا يدافع عن نفسه على الأقل حتى لا يُقبض عليه ويُعذّب ثم يُصلب؟ وإذا قلتم أن الصلب جاء ليبرهن على غفرانه لخطيئة بني البشر فهو راضٍ عن صلبه وقتله. فنقول هل يعقل أن يدفع إنسان نفسه للصلب والقتل وهو قادرٌ أن ينجو بل أن يرد على أعدائه بمعجزات أخرى تُبقي على حياته؟ كيف يسمح ذو القوة غير المحدودة أن يُبصَق في وجهه ويتحمل وضع إكليل من الشوك على رأسه وشتمه من قبل أعدائه. إذاً فالمسيح نبيٌّ بشر قام بمعجزاته بعون من الله وهذا ما نص عليه القرآن الكريم. وما ينص عليه العقل والعلم والمنطق التحليلي.

الحواريون والمسيح عليه السلام

لاشك أن دعوة كافة الأنبياء تتوجه في البداية لمن يتوسم فيهم النبي التقوى والصلاح والاستجابة. والمسيح عليه السلام عندما كلف بتبليغ الدعوة أوجد عدداً من خاصة الناس الذين تلقوا تعاليمه قبل غيرهم.

وقد ذكرت الأناجيل تلاميذ المسيح وأوردت بعض أسمائهم وطريقة التقائهم بالمسيح وقد أوردت أن التلاميذ الأوائل كانوا اثني عشر رجلاً وتذكر الأناجيل أنهم بلغوا سبعين رجلاً، لكن الأناجيل نفسها لا تورد أسماء السبعين ولا يوجد أي بيان عن أسمائهم.

وقد جاء في إنجيل مرقص (وصعد الجبل ودعا الذين أرادهم فأقبلوا إليه فأقام منهم اثني عشر يصحبونه فيرسلهم يبشرون ولهم سلطان يطردون به الشياطين فأقام الاثني عشر وهم بطرس وهو اللقب الذي جعله لسمعان ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخو يعقوب ولقبهما دوانرجس أي ابني الرعد وأندراوس وفيلبُس وبرتلماوس ومتى وتوما ويعقوب بن حلفى وتداوس وسمعان الغيور ويهودا الاسخريوطي ذاك الذي أسلمه وجاء إلى البيت فعاد الجميع إلى الازدحام حتى لا يستطيعوا أن يتناولوا طعاماً) الفصل ٣ صفحة ١٦٤ .

وجاء في إنجيل لوقا: وفي تلك الأيام ذهب إلى الجبل ليصلي فأحيا الليل كله في الصلاة لله. ولما طلع الصباح دعا تلاميذه فاختار منهم اثني عشر سمّاهم رسلاً وهم سمعان وسماه بطرس وأندراوس وأخوه يعقوب ويوحنا وفيلبس

وبرتلماوس ومتى ولوقا ويعقوب بن حلفى وسمعان الذي يقال له الغيور ويهوذا بن يعقوب ويهوذا الاسخريوطي الذي انقلب خائناً.

ونلاحظ أنه ورد في إنجيل مرقص اسم تداوس ولم يرد اسمه في إنجيل لوقا بينما ورد اسم يهوذا بن يعقوب في إنجيل لوقا ولم يرد في إنجيل مرقص. وقد تحدث سفر أعمال الرسل عن برنابا في عدة مواضع، ويرد في هذا السفر (وإن لا ويّا قبرسيا اسمه يوسف ولقبه الرسل برنابا أي ابن الفرج كان يملك حقلاً فباعه وأتى بثمنه فألقاه عند أقدام الرسل). أعمال الرسل صفحة ٤٨. وتعترف الأناجيل أن بولس (شاؤل) أحد الذين تتلمذوا على الحواريين وكان برنابا هو الذي دلّ بولس على الدين الجديد بعد أن كان يهودياً ثم خرج برؤيا خاصة به تختلف عما تلقاه الحواريون عن السيد المسيح. وذكرت بعض الكتب أسماء آخرين من تلاميذ المسيح والرسل وعُدوا من السبعين تلميذاً الأوائل.

وتحت عنوان دعوة التلاميذ الأولين يرد كيف أن المسيح عليه السلام التقى بتلاميذه (كان يسوع سائراً على شاطئ بحر الجليل فرأى أخوين هما سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخوه يلقيان الشبكة في البحر لأنهما كانا صيادَيْن فقال لهما اتبعاني أجعلكما صيادي بشر. فتركا الشبكة من ذلك الحين وتبعاه. ثم مضى في طريقه فرأى أخوين آخرين هما يعقوب ابن زبدي ويوحنا أخوه مع أبيهما زبدي في السفينة يصلحان شباكهما فدعاهما فتركا السفينة وأباهما من ذلك الحين وتبعاه) متى ص ٤٣.

ويأتي في إنجيل متى: (ومضى يسوع فرأى في طريقه رجلاً جالساً في بيت الجباية اسمه متى فقال له اتبعني فقام وتبعه). متى ٦١.

ومن الطبيعي أن يكون تلاميذ المسيح من اليهود أو من الرومان. على أن المصادر المسيحية تشير إلى أن تلاميذه الأولين كانوا من اليهود.

ويتضح أن مرقص ليس من تلاميذ المسيح ويقولون حسب المصادر المسيحية أنه كان يهودياً من بيت لاوي وقد ولد في إقليم الخمس مدن تتلمذ على يد بطرس الرسول وقتل في الإسكندرية كما يذكر ذلك سفر أعمال الرسل عام ٦٨ م على يد الوثنيين في عهد نيرون.

ولوقا لم يكن من تلاميذ المسيح أيضاً والأغلب أنه من أهل أنطاكية وأنه تلميذ بولس الذي كان عدواً لدوداً للمسيحية وقد آمن بالمسيح بعد رفعه وهو الذي شيد أركان المسيحية. واتفق العلماء على أن لوقا لم ير المسيح.

أما يوحنا فيرى الكثير من علماء النصارى أنه أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر وهو ابن زبدي الصياد.

لكن بعض المصادر المسيحية تقول: (أما المؤلف وتاريخ وضع الإنجيل الرابع فلسنا نجد في الإنجيل أي دليل واضح عليهما. وليس هناك إشارة إلى يوحنا مؤلف الإنجيل هو يوحنا تلميذ المسيح المذكور على أنه ابن زبدي لأنه ليس هناك إشارة إلى أن يوحنا تلميذ المسيح كان مؤلفاً أو أنه ألّف إنجيلاً ما.

أما متى فإن الإنجيل لا يذكر عنه شيئاً بالنسبة إلى تأليف الإنجيل. فتلميذ المسيح متى ليس متى الذي كتب الإنجيل الأول.

وتورد الأناجيل بعض صفات تلاميذ المسيح، فقد ورد في إنجيل متى أن المسيح جعل بطرس رئيس الكنيسة (أنت صخر وعلى الصخر سأبني كنيستي) متى ص٩٣.

وفي الوقت نفسه يقول إنجيل لوقا إن المسيح أنبأ بإنكار بطرس له. فقال لا يصيح الديك اليوم حتى تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني.

وفعلاً، فقد أنكر بطرس أنه يعرف المسيح وقد ورد ذلك في إنجيل لوقا بعد اعتقال يسوع. يقول لوقا: (وقعدوا وقعد بطرس بينهم فرأته جارية قاعداً عند

اللهب فتفرست فيه وقالت وهذا أيضاً كان معه فأنكر وقال يا امرأة إني لا أعرفه وبعد قليل رآه رجل فقال أنت أيضاً منهم فقال بطرس يا رجل لست منهم ومضى نحو ساعة فقال آخر مؤكداً هذا أيضاً: كان معه فهو جليلي فقال بطرس يا رجل لا أدري ماذا تقول. وبينما هو يتكلم إذا بديك يصيح). لوقا الفصل ٢٢ ـ ص ٣٣٠.

وينبئ المسيح بخيانة تلميذه يهوذا، ويقول مرقص: (وذهب يهوذا الاسخريوطي أحد الاثني عشر إلى الأحبار ليسلمه إليهم ففرحوا لسماع ذلك ووعدوه بأن يعطوه شيئاً من الفضة فأخذ يطلب كيف يسلمه في الوقت الموافق) مرقص الفصل ١٤ صفحة ٢٨.

ويورد إنجيل متى عن يأس يهوذا وانتحاره: (فلما رأى يهوذا الذي أسلمه أن قدحكم عليه ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى الأحبار والشيوخ.. وانصرف ثم ذهب فشنق نفسه) متى الفصل ٢٧ ـ صفحة ١٣٩.

فالذي يفصح عنه الإنجيل هو أن اثنين من تلاميذ المسيح الاثني عشر ليسوا أهلاً لأن يكونوا تلاميذ حقيقيين وحواريين صادقين. فالأول أنكر أنه يعرف المسيح ثلاث مرات والثاني خانه خيانة عظمى أودت حسب قول الإنجيل بالمسيح إلى القبض عليه والحكم عليه بالصلب والموت.

وإذا عدنا إلى النص القرآني نراه يتحدث عن الحواريين في عدة مواضع.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ [آل عمران/ ٥٢ ـ ٥٤].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة/ ١١١ - ١١٥].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف/ ١٤].

فالحواريون حسب نص القرآن الكريم هم أنصار دين الله وأنهم أسلموا وجوههم لله وآمنوا بالله وما أنزل على نبيه عيسى واتبعوه وأشهدوا على أنفسهم.

وفي الآية الثانية تأكيد على أن الله سبحانه قد أوحى للحواريين أن آمنوا بي رباً وبعيسى نبياً فآمنوا وشهدوا على أنفسهم أنهم مسلمون أسلموا قلوبهم ووجودهم لله الواحد والآية الثالثة تشير إلى أن الحواريين ناصروا المسيح وكانوا من بني إسرائيل. وقد حدد الله سبحانه أن طائفة من بني إسرائيل آمنت وأن طائفة أخرى قد كفرت.

ويتضح مما تقدم أن الحواريين ليس لهم علاقة بالأناجيل ولا بكتابتها لأن الإنجيل أنزل على عيسى عليه السلام ولم ينزل على الحواريين. وقد تلقى هؤلاء الحواريون تعاليم المسيح مباشرة ونشروها بين بني إسرائيل وقد لاقوا الكثير من

الآلام في سبيل دعوتهم خاصة بين الوسط اليهودي والوسط الروماني الوثني.

ولعلنا ونحن ندرس حياة تلاميذ المسيح وحوارييه لابد لنا أن نتعرف على مواقفهم من الأحداث المفصلية التي مر بها السيد المسيح عليه السلام.

وأعتقد أن أهم حدث حسب رواية الأناجيل هو حدث القبض على المسيح ومحاكمته ثلاث مرات حتى يثبتوا عليه تهمة التخريب والمروق والكفر حسب ما يدعيه الذين كفروا من بني إسرائيل.

فمن خلال تحليل موقف هؤلاء التلاميذ نرى أن متى الذي يزعم بعضهم أنه من حواريي المسيح لم يتحدث في إنجيله كشاهد عيان رأى بعينه ما يرويه وهو بالتأكيد لم يشاهد أو يشهد محاكمات المسيح الثلاث أمام اليهود وبيلاطس وهيرودس ولم يشهد حادث الصلب وحادث الدفن على الرغم من ورود ذلك في إنجيله.

والواقع أن تلاميذ السيد المسيح هربوا جميعاً عند القبض عليه كما يذكر متى في إنجيله حيث يقول (في تلك الساعة قال يسوع للجموع أَعَلى لص خرجتم تحملون السيوف والعصي لتقبضوا عليّ كنت كل يوم أجلس في الهيكل أعلم فلم تمسكوني وإنما حدث ذلك كله لتتم كتب الأنبياء فتركه التلاميذ كلهم وهربوا). متى ٢٦ : ٥٥ ـ ٥٦. وهذا يؤكد أن هؤلاء التلاميذ لم يشهدوا ما حدث عندما قُبض على المسيح وحاكمه اليهود والرومان. والأمر الطبيعي بالنسبة لمثل هؤلاء التلاميذ أن يهربوا لئلا يتعرضوا للانتقام من قبل اليهود. ومن غير المعقول أن يسمح اليهود والرومان وهم أعداء المسيح لتلاميذه بشهود محاكمات المسيح والصلب والدفن خاصة أن اليهود كانوا يتخوفون من محاولة التلاميذ سرقة جسد المسيح وادعائهم بعد ذلك أنه قام من الأموات كما ذكر متى نفسه. أما لوقا فقد

قال إن جميع معارف المسيح كانوا ينظرون إليه من بعيد عند الصلب.[1]

والواقع، أننا لو ناقشنا ما جاء في الأناجيل وهي تتحدث عن تلاميذه نجد بعض الاختلافات في الرواية، كما نجد شخصية بطرس مهزوزة الإيمان غير واثقة من نفسها. وقد ذكرنا كيف أنبطرس أنكر المسيح ومعرفته به، ولكن الأناجيل الثلاثة متى ولوقا ويوحنا تتفق على القول إن بطرس ينكر المسيح ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك بينما ينفرد إنجيل مرقص بقوله إن بطرس ينكر المسيح قبل أن يصرخ الديك مرتين وليس ثلاث مرات.

وقد ورد قوله: (فإن خادم الكوهن قال له: أنت من أصحاب يسوع فجحد ثم صرخ الديك ثم قالت الخادم للواقفين هنالك هذا من أولئك فجحد ثانية. ثم قال الواقفون هنالك حقاً إنك منهم؟ فجحد ثالثة أيضاً ثم صرخ الديك ثانية. فعلى قول مرقص كذّب متى ولوقا ويوحنا لأن الديك صرخ قبل أن يجحد ثلاث مرات أو كذب المسيح عليه السلام في إخباره بذلك إن كان هؤلاء صدقوا لابد من إحداهما).[2] وعلى قول متى ولوقا ويوحنا كذب مرقص أيضاً كذلك لأن الديك صرخ قبل أن يجحد ثلاث مرات أو كذب المسيح لابد من إحداهما والكذب واقع في أحد الخبرين ولابد.

وعندما نحلل نص الإنجيل مرة أخرى وهو يتحدث عن شخصية مرقص فإنجيل متى ومرقص يتفقان على أن السيد المسيح أخبر بطرس بأنه سيجحده تلك الليلة وأن بطرس ردّ خبره وقال له لا يكون هذا فلولا أن المسيح كان عند بطرس ممن يكذب في خبره ما كذبه مواجهة مرة بعد مرة أو كفر بطرس إذ كذب ربه.. أو نبياً. فإن كان كفر بطرس فكيف يعطي مفاتيح السموات لمرتد كافر

---

(١) محمد السعدي، حول موثوقية الأناجيل ص٢٩-٣٠.

(٢) ابن حزم، الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص١٢٢.

ومكذّب لله أو لنبي من الأنبياء جهاراً أم كيف يولى رتبة التحريم والتحليل من يكذب الله تعالى أو نبيه أو كيف يؤخذ الدين عمن يكذب ربه أو كذب خبر نبي من الله تعالى جهاراً في آخر ساعة كان فيها معه وختم بذلك عمله؟[٣]

ويستدل من ذلك أن بطرس عاند المسيح عليه السلام ورفض نبوءته بل أصر على أنه لن يخونه ولن يفعل ذلك أي أنه لن ينكره كما قال المسيح عليه السلام. ويبدو من خلال ذلك أنه وقع في ذنبين الأول أن المسيح أخبره بأنه سينكره وهو رفض ذلك. ثم إنه لما قبض على المسيح وقع في المطب الثاني وكذب نفسه حيث أنكره ثلاث مرات.

(١) ابن حزم، الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص١٢٣.

مريم العذراء... لماذا... وكيف؟

ماذا تقول الأناجيل عن مريم أم عيسى عليه السلام؟

ماذا يقول القرآن الكريم عن مريم العذراء أم عيسى عليه السلام؟

للأشخاص الذين ذكرت أسماؤهم في حياة المسيح شأن هام في حياته وفي الفكر المسيحي والأناجيل بشكل عام.

ولما كانت مريم العذراء أم السيد المسيح عليه السلام أكثر الناس قرباً من ابنها فقد حظيت بأحاديث كثيرة جاءت بها الأناجيل. وكذلك فإن القرآن الكريم أولاها الأهمية الكبرى لعدة اعتبارات منها لأنها مختارة من الله سبحانه فقد اصطفاها الله على نساء العالمين في عصرها. ولأنها حملت بالمسيح من روح الله ولأنها كانت قريبة وملاصقة لعقيدة التوحيد التي انحرف عنها بنو إسرائيل بينما هي عابدة راكعة ساجدة كما وصفها القرآن الكريم.

ومع كل ذلك فقد أثارت أقوال الأناجيل في مريم وكذلك ما جاء به الفكر المسيحي الكثير من التساؤلات والإشكالات يصل بعضها حدّ الدخول في صلب العقيدة النصرانية. لقد اختلفت الفرق المسيحية في تقييمها لشخصية مريم العذراء، فمنها من جعلها إلهة كما هو ابنها إله على حد قول النصارى، ومنهم من جعلها قديسة ولا تصل مرتبة الألوهية.

فالأرثوذكس يرون أن الله سكن في العذراء في التجسد والكنيسة الأرثوذكسية تكرم العذراء لحلول الروح القدس عليها ولأنها حسب قولهم والدة الإله. ويتشفعون بها ويذكرونها في صلواتهم. ويقول الأرثوذكس نحن لا نصلي

للعذراء ولكننا نكلمها أثناء صلاتنا نتوسل إليها أن تتشفع فينا ، ويرون أن العذراء مع المسيح فهي والدة الإله حسب رأيهم .

أما البروتستانت ، فلا يكرمون السيدة العذراء ولا يطلبون شفاعتها وربما كرد فعل لمبالغة الكاثوليك في إكرامها يبالغون هم أيضاً في عدم إكرامها حتى ليقول بعضهم إنها مثل قشرة البيضة لا قيمة لها بعد خروج الكائن الحي منها . وهم لا يحتفلون بأي عيد من أعيادها وقال بعضهم إنها أختنا وبالإضافة إلى هذا يقولون إنها بعد ميلاد المسيح عاشت مع يوسف النجار كزوجة وأنجبت منه أولاداً سموا إخوة يسوع أو إخوة الرب .

ويهاجم البروتستانت بعض ألقاب تلقبها بها الكنيسة ويستخدمون لقب أم يسوع بدلاً من لقب والدة الإله كما يرى الأرثوذكس ، (ويرون أن مريم أم المسيح ابن الله في الحقيقة ووالدته في الحقيقة لا أم لابن الله إلا هي . ولا والدة له غيرها ولا أب لابنها إلا الله ولا ولد له سواه وأن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء . ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها ولكنها اختصت عن النساء بأنها حبلت بإبن الله وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره ولا والد له سواه وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها وابنها عن يمينه . والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر ومغفرة الذنوب وأن تكون لهم عند إبنها ووالده الذي يعتقد عامتهم أنه زوجها ولا ينكرون عليهم ذلك سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً ويقولون في دعائهم (يا والدة الإله اشفعي لنا) وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة حتى أن اليعقوبية يقولون في مناجاتهم لها (يا مريم يا والدة الإله كوني لنا سوراً وسنداً وذخراً وركناً) . والنسطورية يقولون : (يا والدة المسيح كوني لنا كذلك ويقولون لليعقوبية لا تقولوا يا والدة الإله وقولوا يا والدة المسيح

فتقول لهم اليعقوبية المسيح عندنا وعندكم إله في الحقيقة فأي فرق بيننا وبينكم في ذلك ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم في التوحيد).[1]

ويرى الأرثوذكس أن في مريم التقى الإله والإنسان لقاء عجيباً الأقنوم الثاني من الثالوث ضم إلى أقنومه إنساناً. ويرون أن مصير مريم ارتبط بمصير يسوع فكان لابد لها من أن تفارق الجسد وكان لابد ليسوع من أن يقيمه كما أقام جسده في اليوم الثالث ومريم المطهرة غير خاضعة للدينونة العامة فاخترقت السماء وجلست إلى يمين ابنها الحبيب قبل الدينونة العامة دخلنا المجد الأبدي في شخص العذراء.[2]

ويقولون: بشرها جبريل باختيار الله لها أما لابنه قبلت العرض فنزل الله إلى بطنها يتخذ منه طبيعتنا البشرية بعد أن طهرها الروح القدس لكي تكون طبيعة يسوع هذه بلا خطيئة. كيف هي أم الله؟ هذا سر إلهي عبّر عنه اللاهوت المسيحي بوحدة أقنوم يسوع غير المنقسم ولا المتجزئ. هذه التسمية تتضمن سر خلاصنا أي اتحاد الطبيعتين الإلهية والإنسانية في أقنوم يسوع.[3] أما مريم فصارت مسكناً لله دون أن تفقد الحياة بل صارت أماً لله وللحياة. فأين موسى وغير موسى من العذراء مريم أين الثرى من الثريا؟[4] ويعتقد الكاثوليك والأرثوذكس بأن جسد مريم العذراء صعد إلى السماء وينكر ذلك البروتستانت.

---

(١) ابن القيم، هداية الحيارى، ص١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) اسبيرو جبور، المرأة في نظر الكنيسة، ص١٣ ـ ١٤.

(٣) اسبيرو جبور، المرأة في نظر الكنيسة، ص٣٩.

(٤) اسبيرو جبور، المرأة في نظر الكنيسة، ص٤٠.

ماذا يقول القرآن الكريم بشأن مريم؟

لقد ذكر عيسى عليه السلام على أنه عيسى بن مريم مرات عدة في القرآن الكريم. ففي سورة البقرة الآية ٨٧ وآتينا عيسى ابن مريم. وفي البقرة ٢٥٣ وآتينا عيسى ابن مريم. وفي آل عمران الآية ٤٥ اسمه المسيح عيسى ابن مريم. وفي النساء الآية ١٥٧ إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم. وفي النساء ١٧١ إنما المسيح عيسى ابن مريم. وفي المائدة ٤٦ وقفينا على أثرهم بعيسى ابن مريم. وفي المائدة ٤٨ على لسان داود وعيسى ابن مريم. وفي المائدة ١٠٩ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم. وفي المائدة ١١٢ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم. وفي سورة مريم ذلك عيسى ابن مريم. وفي الصف وإذ قال عيسى بن مريم. وفي المائدة ١٧ أيضاً إن الله هو المسيح ابن مريم - يهلك المسيح بن مريم.

فنلاحظ التسمية التي يطلقها الله سبحانه على النبي عيسى فهو ابن مريم. وتكرار ذلك تأكيد قرآني واضح على بشرية المسيح وبشرية أمه. وكأن الصفة - ابن مريم - أصبحت عَلَماً خاصاً لعيسى عليه السلام. إن هذا الأسلوب القرآني يقول لنا إن المسيح نبي وهو بشر وليس ابن الله ولا الله فهو دون الخالق الذي خلقه من غير زواج بين مريم وأي رجل. وتكرار - ابن مريم - تمييز له عن شخص اسمه عيسى. فهو الوحيد ابن مريم المعني به النبي الذي أوحى الله له بالإنجيل.

وتأتي آيات قرآنية أخرى تجادل النصارى في شخصية مريم وتؤكد على بشريتها كونها أم عيسى عليه السلام.

ففي سورة النساء يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ

وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء/ ١٧١].

وفي سورة المائدة يأتي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة/ ١١٧].

ويقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة/ ١٧].

ويقول تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة/ ٧٥].

فمريم حسب النص القرآني هي والدة المسيح عيسى عليه السلام. وفي الآية ١١٧ يبين الله سبحانه أن بعض المسيحيين اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله وهذا يدل على أن بعض فرق النصارى ألّهت العذراء مريم.

ثم توضح الآية الكريمة أن الله سبحانه إن أراد أن يهلك المسيح وأمه مريم

فمن يستطيع أن يرد قضاء الله عنهما. وهذا تحدٍّ لمن قال بألوهية المسيح ومريم. فالمسيح لا يملك أن يدفع الموت عن نفسه وكذلك أمه لا تستطيع أن تدفع عنها كونها وكون ابنها مثل بقية البشر من حيث الحياة والموت.

ثم توضح الآية الكريمة أن المسيح عليه السلام رسول خلت من قبله الرسل وأمه صديقة وليست آلهة ولا أم آلهة ولا أم إله. وكانت هي وابنها يأكلان الطعام وينامان ويخرجان مثل بقية البشر.

يقول ابن القيم: وحواء اجعلوها إلهاً خامساً لأنها لا أم لها وهي أعجب من خلق المسيح[1]. وابن القيم يأتي بمثال حواء التي خلقها الله من دون أم فهي إحدى معجزات خلق الله وهذا الخلق لم يؤهلها لكي تصبح آلهة أو زوجة أله أو ما شابه ذلك فلذلك فإن مريم كما صرح القرآن الكريم هي صديقة وهي كباقي البشر من حيث النوع تحيا وتأكل وتشرب وتموت.

ويقول محمد الطاهر التنير: وأما قول النصارى عن مريم العذراء أنها والدة الإله مثل والدات الآلهة عند الوثنيين فهو أشهر من نار على علم حتى أنهم ينشدون الأناشيد تعظيماً لها ويتضرعون إليها في أيام مخصوصة يسمونها الأيام المريمية ويلقبونها ملكة السماء ووالدة الإله الممتلئة نعمة وصاحبة المجد على الأرض وفي السماء وما شاكل ذلك من أوصاف التعظيم والتأليه.

يقول داون في كتابه خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى: كما نجد عند الوثنيين والدات للآلهة يعظمونهن ويلقبونهن بألقاب التمجيد والتضخيم كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظمونها ويلقبونها بالألقاب التي يلقب بها الوثنيون بها والدات آلهتهم يؤكد ذلك الرسوم التي يصورونها بها وهي محتضنة ولدها المسيح فإنها مثل الرسوم التي يصور الوثنيون

---

(١) هداية الحيارى ابن القيم ص ٢٠٣.

بها والدات آلهتهم تماماً[1] .

وهناك كثير من الرسوم يمكن أن نقابلها بما هو موجود للآن عند النصارى من الصور والتماثيل مع ملاحظة تلك القرون الطويلة التي كانت بين آلهة الوثنيين كبوذا وكرشنا وغيرهما وبين عيسى المسيح إله النصارى[2] .

وكان المصريون القدماء يلقبون والدة الإله إيزيس أو والدة المخلص هورس بأسماء عديدة منها السيدة ملكة السماء، نجمة البحر، والدة الإله، الشفيعة، العذراء. ويصورونها واقفة على الهلال يحيط بها عشرة نجوم. كما يصور النصارى مريم العذراء واقفة على الهلال يحيط بها اثنتا عشرة نجمة. غير أن تصوير الوثنيين لوالدات آلهتهم بهذا الشكل سابق لتصوير النصارى لمريم العذراء بقرون عديدة.

وعيدُ دخول المسيح إلى الهيكل وتطهير العذراء الذي يقع في ٢ شباط من كل سنة هو من أصل مصري. فقد كان المصريون يعيّدون إجلالاً وتعظيماً للعذراء (نايث) وفي ذات اليوم يعيّد النصارى هذا العيد[3] .

وأهالي بابل وآشور عبدوا عذراء زعموا أنها والدة إله وصوروها وعلى يدها ولدها الإله كما هي الحال عند النصارى تماماً واسم هذه العذراء ميليتا واسم ابنها المخلص تموز.

وقد عبد اليهود عذراء دعوها ملكة السماء كما جاء في سفر إرميا الإصحاح ٤٤ من عدد ١٦ - ١٩ . قالت اليهود إلى إرميا (إننا لا نسمع لك الكلمة

---

(١) داون: خرافات التوراة والإنجيل ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .

(٢) التنير. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٠١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٢ .

التي كلمتنا بهـا باسـم الـرب. بـل سنعمل كـل أمـر خـرج مـن فمنـا فنبخـر لملكـة السموات ونسكب لهـا سـكائب كمـا فعلنـا نحـن وآباؤنـا وملوكنـا ورؤسـاؤها فـي أرض يهودا في شوارع أورشليم فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نر شراً ولكن في حين كففنا عن التبخر لملكة السـموات وسـكب السـكائب لهـا احتجنـا إلـى كـلٍ وفنينـا بالسيف والجوع وإذا كنا نبخر لملكة السموات ونسكب لهـا سـكائب فهـل بـدون رجالنا كنا نضع لها كعكاً لنعبدها ونسكب لها السكائب).

وما جاء عن ولادة (مرها) والدة الإله باخوص عند الرومـانيين يشـابه تمـام التشابه ما جاء في إنجيل متى الإصحاح الأول الفقرة ١٨ ـ ٢٤ وقـد فسـر القديـس جيروم اسم مرها بـ مريم وكانوا يلقبونها آلهة البحر ويلقبـون مريـم والـدة المسـيح الآن نجمة البحر وكان اليونانيين يدعون والدة الإله العذراء جونو (ملكـة السـماء) ويعبدونها معتقدين أنها حارسة النساء من المهد إلـى اللحـد كمـا تعتقـد النصـارى اليوم بمريم العذراء[(١)].

ويطـرح الأرثوذكـس أوصافاً كثيرة لمريـم العـذراء. فهـي صاحبـة كرامـة ونالت الكرامة من البشر والملائكـة. وهـذا واضـح فـي تحية المـلاك جبريل لهـا بقوله السلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء.

ويلقبها البروتستانت المنعم عليها بدل كلمة الممتلئة نعمة. ويقولون والدة يسوع بدل القول والدة الإله.

وإذا قارنا بما ورد في القرآن الكريم وجدنا ما يلي:

يقـول تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران/ ٤٢].

---

(١) التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

ويقول تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [من الآية ٣٧ آل عمران].

ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ . . ﴾ [المائدة/ ١١٠].

فقد اصطفى الله مريم لتكون أماً للمسيح عليه السلام وقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وقد أنعم الله على المسيح وعلى أمه.

وهذا يتقارب مع قول البروتستانت المنعم عليها إذ تتشابه هذه الجملة مع قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك. . أما قولهم الممتلئة نعمة قد تأخذ عدة معان إذ قد يفسرها بعضهم الممتلئة بالمسيح أثناء حملها والمسيح رمز النعمة. وما شابه ذلك. ويرونها ملكة متوجة. وهي شهوة الأجيال كلها فهي التي استطاع نسلها أن يسحق رأس الحية محققاً أول وعد لله بالخلاص.

ويرى الأرثوذكس أن المسيح هو النور الحقيقي فالعذراء أمّ النور الحقيقي وما دام المسيح قدوساً تكون هي القدوس والعذراء أم المخلّص ووالدة الإله ووالدة الرب وهي أم روحية لكل المسيحيين ويطلقون عليها ألقاباً كثيرة فهي المنارة الذهبية وهي تابوت العهد المغشى بالذهب وشُبهت بسلم يعقوب. ويرون أن العليقة التي رآها موسى والنار تشتعل فيها دون أن تحترق ترمز إلى السيدة العذراء التي حل فيها الروح القدس بنار اللاهوت دون أن تحترق. ويلقبونها بالكرمة. والعذراء باب الحياة كما جاء في إنجيل سفر حزقيال على حسب قول النصارى أنها باب المشرق دخل منه رب المجد وخرج وهي باب الخلاص[1].

---

(١) البابا شنوده الثالث، اللاهوت المقارن، ص ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠.

النبي عيسى وصراعه العقيدي مع اليهود

يتفق أصحاب الأناجيل أن نبوة المسيح عليه السلام بدأت وعمره ثلاثون عاماً ودامت دعوته ثلاث سنين فقط. وهم لا يقولون بأن دعوته كنبي بدأت كذلك إنما يستعيرون كلمة بدأت خدمته. والمقصود بها خدمته لهيكل الرب حيث كان من قبل يخدمون في هذا الهيكل إذا هم نذروا حياتهم للرب، وكانت مريم أمه ممن خدم في هيكل الرب وكذلك زكريا ويحيى.

وفي القرآن الكريم إشارات واضحة إلى خدمة زكريا ومريم في المحراب متوجهين لله المعبود الخالق.

جاء في إنجيل لوقا: (وكان يسوع عند بدء رسالته في نحو الثلاثين من عمره وكان الناس يحسبونه ابن يوسف بن عالي) الفصل ٣ : ٢٣ ص ٢٤٣.

ويتفق أصحاب الأناجيل الأربعة على أن يوحنا المعمدان وهو (يحيى بن زكريا) وجد في البرية زمناً وكان يقتات من الجراد والعسل البري وثيابه من أوبار الإبل وعلى حقويه منطَقَة جلد ثم ظهر من ناحية الأردن ينذر الناس بالتوبة، فخرج إليه أهل أورشليم والكور القريبة من الأردن فكان يعمدهم في النهر وينذرهم باقتراب ملكوت السموات.

وذكروا أن المسيح قد جاء إلى يوحنا واعتمد منه في الأردن وأن الروح القدس نزل عليه مثل حمامة ثم أن المسيح بعد ذلك صام في البرية أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ثم جُرب من الشيطان على إثر صومه إذ أحس بالجوع.

جاء في إنجيل متى: (في ذلك الوقت ظهر يسوع وقد أتى من الجليل إلى

الأردن قاصداً يوحنا ليعتمد على يده فجعل يوحنا يمانعه فيقول أنا أحتاج إلى الاعتماد على يدك أو أنت تأتي إلي؟ فأجابه يسوع دعني الآن وما أريد فهكذا يحسُنُ بنا أن نتم كل بر فتركه وما أراد واعتمد يسوع وخرج لوقته من الماء. فإذا السموات قد انفتحت فرأى روح الله يهبط كأنه حمامة وينزل عليه وإذا صوت من السماء يقول هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت) متى الفصل ٣ صفحة ٤٠ وقد ورد ذلك في يوحنا ١٣/٦.

وهناك رواية برنابا وهي تقول (ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً. وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات يا رب برحمة..) وإذ بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون ليتمجد الله. فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله حتى أن كل شيء كان عرياناً ومكشوفاً له ولقد قال لي: صدق يا برنابا أني أعرف كل نبي وكل نبوة وكل ما أقوله إنما قد جاء في ذلك الكتاب. ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبي مرسل إلى بيت إسرائيل كاشف مريم أمه بكل ذلك قائلاً له: إنه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله وأنه لا يقدر فيما بعد أن يقيم معها ويخدمها. فلما سمعت مريم هذا أجابت يا بني إني نُبئت بكل ذلك قبل أن تولد فليتمجد اسم الله القدوس ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمه ليمارس وظيفته النبوية)[1].

وما ورد في إنجيل برنابا هو أقرب إلى ما جاء في القرآن الكريم من حيث طبيعة الوحي وبدء الرسالة وتلقي المسيح لإنجيله من قبل جبريل عليه السلام.

ويمكن لنا أن نلاحظ في نص برنابا ما يلي:

---

(١) برنابا ـ الإنجيل من ١ ـ ٨.

١ ـ نزل الوحي عليه ليلقي عليه الإنجيل بعد صلاة ودعاء.

٢ ـ قدّم الملاك جبريل كتاب الإنجيل كأنه مرآة براقة.

٣ ـ أنزل الإنجيل على قلب عيسى المسيح فعرف كل ما فيه بشكل واضح.

٤ ـ كاشف أمه بذلك فقالت له إني أعرف ذلك قبل أن تولد.

ويأتينا النص القرآني موضحاً كل ذلك.

فالإنجيل فيه هدى للناس ونورٌ ومصدقاً لما جاء في توراة موسى.

يقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة/ ٤٦].

أما قول برنابا (يا بني إني نبئت بكل ذلك قبل أن تولد) فهذا ما يؤكده القرآن الكريم وذلك في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ .. إلى قوله تعالى: وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ..﴾ [آل عمران/ ٤٥ ـ ٤٩ ـ ٥٠].

فمريم أخبرت بما سيكون عليه ابنها المسيح. ولذلك نرى قول إنجيل برنابا يتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم.

إذاً فالمسيح نبيٌ بعث لبني إسرائيل وأُنزل عليه كتاب الإنجيل، ليبلغ دعوته للناس. ومن هنا نستطيع أن ندرس مسيرة حياة النبي عيسى وصراعه مع اليهود وأعماله التي قام بها خلال تبلغيه الرسالة.

بين موسى وعيسى عليهما السلام زمن طويل وبين نزول التوراة الحقيقية

على موسى ونبوة المسيح ونزول الإنجيل زمن طويل أيضاً. ومنذ أن نزلت التوراة على موسى ظل بنو إسرائيل يتقلبون من عقيدة لأخرى ويبعث الله لهم الأنبياء ليردوهم عن كفرهم فبعث له داود وسليمان وإلياس وغيرهم من الأنبياء الذين حاولوا إصلاح الدين اليهودي والعودة للتوراة كما نزلت على موسى عليه السلام.

وقد اتفق الباحثون على أن تدوين التوراة تم أيام السبي البابلي على يد عزرا الكاتب وهذا التدوين تم بعد أن فقدت التوراة الحقيقية ولم يعرف أحد مصيرها فدون ما يسمى التوراة من خلال تسجيل الذكريات التي حملها بنو إسرائيل وليس من خلال تواتر كتاب اسمه التوراة من يد إلى يد ومن جماعة لجماعة.

وقد أدخل اليهود كثيراً من التعاليم التي لم تنزل على موسى عليه السلام وبدلوا كثيراً من الحرام والحلال والصلاة والأقوال والأعياد وكل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات وبعد أن طال الزمن على تحريفهم جمدت اليهودية وتحجرت تماماً فبعث الله سبحانه نبيه عيسى المسيح ليعيدهم إلى جادة الصواب وليبين لهم حقيقة العقيدة ويرفض تعاليمهم المخالفة لشريعة موسى عليه السلام.

وقد صرحت الأناجيل على لسان المسيح أنه لم يأت ليبطل الناموس والشريعة إنما جاء ليتمم وليكمل.

جاء في إنجيل متى: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء ما جئت لأبطل بل لأكمل الحق أقول لكم لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء) متى فصل ٥ : ١٧ ـ ١٨.

وقد أكد القرآن الكريم مراراً أن الله بعث المسيح بن مريم مصدقاً لما في

التوراة. فقال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة/ ٤٦].

فالمسيح عليه السلام كان يعرف أحكام شريعة التوراة لأن الله منحه علمها وعلم الكتاب والحكمة والإنجيل. فإذا ما أراد محاججة اليهود فإنهم يدركون أنه يحاججهم بما يعرفون من التوراة وهذا جانب قوي في حجة النبي عيسى عليهم.

ونرى كثيراً من القضايا العقيدية الشائكة التي كانت مجال صراع بين بني إسرائيل والمسيح عليه السلام. توردها الأناجيل ويركز عليها إنجيل برنابا، لعل ما طرحه السيد المسيح وهو يجادل اليهود يعتبر جوهر المهمة التي بُعث لها.

١ ـ عيد السبت والعمل فيه: من المعروف أن اليهود الذين اعتبروا السبت عيد راحة فرضوا فيه على أتباع اليهودية قيوداً صارمة حتى فوّتوا طاعات كثيرة توجب التقرب إلى الله بتلك الحجة. والله إنما يريد الكف عن الأعمال الدنيوية وأما فعل الخير فإنه لا حرج فيه وليس من الأفعال المنهيِّ عنها.

جاء في إنجيل متى: (١ـ في ذلك اليوم ذهب يسوع في السبت بين الزرع فجاء تلاميذه وابتدؤوا يقطفون سنابل ويأكلون ٢ـ فالفريسيون لما نظروا قالوا هؤلاء تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت ٣ـ فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ٤ـ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط ٦ـ ثم انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم ١٠ـ وإذا إنسان يده يابسة فسألوه قائلين: هل يحل الإبراء في السبوت لكي يشتكوا عليه ١١ـ فقال لهم أي إنسان منكم يكون له خروف واحد فإن سقط هذا في السبت في حفرة أما يمسكه ويقيمه ١٢ـ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف إذن يحل فعل الخير في السبوت ١٣ـ ثم قال للإنسان مد يدك فمدها فعادت صحيحة كالأخرى) متى ١٢.

فالمسيح في هذه القصة وما يشابهها أحلّ بعضاً مما حرموا لأن التحجر عندهم بلغ حداً لا يطاق والواقع أن عصر المسيح عليه السلام غير العصر الذي نزلت فيه التوراة على موسى وغير العصر الذي دُونت فيه التوراة التي كتبها الأحبار أيام السبي البابلي. فالمسيح عليه السلام حلل بعض ما كان محرماً عليهم ليتناسب ذلك مع العصر الجديد الذي عاش فيه لأن الأحكام المتشددة التي فرضوها ما عادت تصلح لزمن المسيح.

وقد قال تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران/ ٥٠].

٢ ـ محاربة المسيح للمادة: وقد بلغ تحريف اليهود للشريعة حداً بأن الكهنة فرضوا النذور على الناس ليأكلوها هم لا لكي تُقدم للفقراء والمساكين فأرهقوا الفقراء وجوّعوهم وظلوا يحتالون على الناس ويأكلون الحرام باسم الشريعة.

جاء في إنجيل برنابا: (١ ـ ودعا أحد المتضلعين من الشريعة يسوعَ للعشاء ليجربه ٢ ـ فجاء يسوع هناك مع تلاميذه ٣ ـ وكثيرون من الكتبة انتظروه في البيت ليجربوه ٤ ـ فجلس التلاميذ إلى المائدة دون أن يغسلوا أيديهم ٥ ـ فدعا الكتبة يسوع قائلين لماذا لا يحفظ تلاميذك تقاليد شيوخنا بعدم غسل أيديهم قبل أن يأكلوا خبزاً؟ ٦ ـ أجاب يسوع وأنا أسألكم لأي سبب أبطلتم شريعة الله لتحفظوا تقاليدكم ٧ ـ تقولون لأولاد الآباء الفقراء قدموا وانذروا للهيكل ٨ ـ وهم إنما يجعلون نذوراً من النزر الذي يجب أن يعولوا به آباءهم ٩ ـ وإذا أحب آباؤهم أن يأخذوا نقوداً يصرخ الأبناء إن هذه النقود نذر لله ١٠ ـ فيصيب الآباء بذلك ضيق ١١ ـ أيها الكتبة الكذابون المراؤون أيستعمل الله هذه النقود ١٢ ـ كلا ثم كلا ١٣ ـ لأن الله لا يأكل كما يقول بواسطة عبده داود النبي هل أكل لحم الثيران وأشرب

دم الغنم؟ ١٤ـ أعطني ذبيحة الحمد وقدم لي نذورك ١٥ـ لأني إن جعت لا أطلب منك شيئاً لأن كل الأشياء في يدي وعندي وفرة الجنة ١٦ أيها المراؤون إنكم إنما تفعلون ذلك لتملأوا كيسكم ولذلك تعشرون السذاب والنعنع ١٧ـ وقد ندب الله هذا بواسطة إشعيا قائلاً: حقاً إن هذا الشعب يعبدني باطلاً ٣٠ لأنهم أبطلوا شريعتي التي أعطاهم إياها عبدي موسى ويتبعون تقاليد شيوخهم ٣١ الحق أقول لكم إن أكل الخبز بأيد غير نظيفة لا ينجس إنساناً لأن ما يدخل الإنسان لا ينجس الإنسان بل الذي يخرج من الإنسان ينجس الإنسان ٣٢).

٣ ـ وجاء أيضاً في إنجيل برنابا: (حينئذ قال أحد الفقهاء يا معلم لقد تكلمت كثيراً في عبّاد الأصنام كأن عند شعب إسرائيل أصناماً ٣٦ ـ وعليه فقد أسأت إلينا ٣٧ـ أجاب يسوع أعلم جيداً أنه لا يوجد اليوم تماثيل من خشب في إسرائيل ولكن توجد تماثيل من جسد ٣٨ـ فأجاب حينئذ جميع الكتبة بحنق: أنحن إذن عبدة الأصنام ٣٩ـ أجاب يسوع الحق أقول لكم لا تقول الشريعة أعبد بل أحب الرب إلهك بكل نفسك وبكل قلبك وبكل عقلك ٤٠ـ ثم قال يسوع أصحيح هذا؟ ٤١ـ فأجاب كل واحد إنه لصحيح).

ثم قال يسوع: (حقاً إن كل ما يحبه الإنسان ويترك لأجله كل شيء فهو إلهه (ب) وهكذا فإن صنم الزانية هو الزاني وصنم النهر والسكير جسده (جـ) وصنم الطماع الفضة والذهب (د) وقس عليه كل خاطئ آخر).

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة/ ٣٤].

٤ ـ أما ما جاء به المسيح من تعديلات في ما حرّمه اليهود فإنها كثيرة. وقد شملت وصايا موسى العشر. وقد قال المسيح لتلاميذه بشأن ذلك. (إن لم يزد

برّكم على بر الكتبة والفريسيين لا تدخلوا ملكوت السموات. سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء أما أنا فأقول لكم من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء ومن قال لأخيه يا أحمق استوجب حكم المجلس ومن قال له يا جاهل استوجب نار جهنم). متى الفصل ٥ : ٢٠ ـ ٢٣.

ثم يقول: (سمعتم أنه قيل لا تزن أما أنا فأقول لكم من نظر إلى امرأة بشهوة زنى بها في قلبه وقد قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. أما أنا فأقول لكم من طلق امرأته في حالة الفحشاء عرضها للزنى ومن تزوج مطلقة فقد زنى) متى فصل ٥ : ٣١ ـ ٣٢.

٥ ـ شهادة الزور والحنث باليمين: ويقول: (سمعتم أيضاً أنه قيل للأولين لا تحنث بل أوف للرب بأيْمانك أما أنا فأقول لكم لا تحلفوا أبداً لا بالسماء فهي عشر الله ولا بالأرض فهي موطئ قدميه ولا بأورشليم فهي مدينة الملك العظيم ولا تحلف برأسك فأنت لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة منه بيضاء أو سوداء. فليكن كلامكم نعم نعم ولا لا فما زاد على ذلك كان من الشرير).

وجاء أيضاً: (سمعتم أنه قيل العين بالعين والسن بالسن أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر ومن أراد أن يحاكمك ليأخذ قميصك فاترك له رداءك أيضاً ومن سخرك أن تسير معه ميلاً واحداً فسر معه ميلين من سألك فأعطهِ ومن استقرضك فلا تعرض عنه) متى ٥ : ٣٨ ـ ٣٩.

وجاء أيضاً: (سمعتم أنه قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وصلوا من أجل مضطهديكم) متى ٥ : ٤٣ ـ ٤٤.

وظلت دعوة المسيح تلاقي عناد اليهود من الفريسيين والصدوقيين. وفي كل وقت يحاولون إحراجه بإلقاء أسئلة تعجيزية عليه أو باختراع خطيئة يلصقونها به.

جاء في إنجيل متى : (ودنا الفريسيون والصدوقيون يريدون أن يحرجوه فسألوه أن يريهم آية من السماء فأجابهم عند الغروب تقولون صحو لأن السماء حمراء كالنار. وعند الفجر اليوم مطر. لأن السماء حمراء مغبرة. فمنظر السماء تحسنون تفسيره وأما آيات الأوقات فلا تستطيعون لها تفسيراً، جيل فاسد فاسق يطالب بآية ولن يعطي سوى آية يونان ثم تركهم ومضى) متى ١٦ : ١ ـ ٤ .

وجاء أيضاً : (فدنا إليه بعض الفريسيين وقالوا له ليحرجوه أيحل لأحد أن يطلق امرأته لأية علة كانت فأجاب : أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى وقال لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسداً واحداً فلا يكونان اثنين بعد ذلك بل جسد واحد. فما جمعه الله فلا يفرقنه الإنسان فقالوا له فلماذا أمر موسى أن تعطى كتاب طلاق وتسرح قال لهم من أجل قساوة قلوبكم رخص لكم موسى في طلاق نسائكم ولم يكن الأمر منذ البدء هكذا أما أنا فأقول لكم من طلق امرأته إلا لفاحشة وتزوج غيرها فقد زنى. فقال له التلاميذ إذا كانت حالة الرجل مع المرأة هكذا فلا خير في الزواج). متى ١٩ : ٣ ـ ١١ .

ويبلغ الصراع بين المسيح عليه السلام وبين اليهود مداه حين يتوعدهم ويفضح كل تحريفاتهم. وأكثر ما يفصح عن ذلك الفصل ٢٣ من إنجيل متى الفقرة ١٣ وما بعدها. وهذه الفقرات تلخص مجمل ما كان عليه الفريسيون من الانحراف والضلال والسلوك السيئ.

يقول : الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تقفلون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ولا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تجوبون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً فإذا أصبح دخيلاً جعلتموه يستحق جهنم ضعف ما أنتم تستحقون، الويل لكم أيها القادة العميان فإنكم تقولون من حلف بالمَقدِس

فليس هذا بشيء ومن حلف بذهب المقدس فهو ملزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم الذهب أم المقدِس الذي قدس الذهب...

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تؤدون عشر النعنع والشمرة والكمون بعدما أهملتم ما في الشريعة العدل والرحمة والإخلاص.

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تطهرون ظاهر الكأس والصحن وباطنها ممتلئ بما حصلتم عليه بالنهب والطمع أيها الفريسي الأعمى طهّر أولاً باطن الكأس ليصير الظاهر أيضاً طاهراً.

ويقول: الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون ضرائح الصديقين وتقولون لو عشنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيال آبائكم.

ويقول: أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف لكم أن تنجوا من عقاب جهنم من أجل ذلك هأنذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فبعضهم تقتلون وتصلبون وبعضهم في مجامعكم تجلدون ومن مدينة إلى مدينة تطاردون حتى يقع عليكم كل دم زكي سفك في الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بركيا الذي قتلتموه بين المقدس والمذبح. الحق أقول لكم: إن هذا كله سيقع على هذا الجيل. متى الفصل ٢٣ الصفحة ١٢٠ ـ ١٢١.

ولكثرة ما عانى من اليهود فقد أنذر أورشليم باعتبارها آنذاك مدينة تجمع فيها اليهود والوثنيين، فيقول: (أورشليم أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا هو ذا بيتكم يُترك لكم قفراً) وتلك إشارة إلى ما سيقوم به الرومان ضد المدينة وسكانها من تخريب وتدمير بسبب الفتن التي أثارها اليهود

والفساد الذي صنعـوه بيـن النـاس. ثـم يـرد فـي إنجيـل متـى نبـوءة للمسـيح عليـه السلام تبشر بخراب الهيكل باعتباره رمزاً من رموز الوثنية اليهودية.

جاء في إنجيل متى: (وخرج يسوع من الهيكل فدنا إليه تلاميذه وهـو سـائر يستوقفون نَظَره على أبنية الهيكل فأجابهم: أترون هذا كله؟ الحق أقـول لكـم لـن يترك هنا حجر على حجر بل ينقض كله) إنجيل متى ١٣ : ١ ـ ٣.

نهاية الصراع بين المسيح واليهود والوثنيين

بعد أن عرفنا الصراع الذي دار بين المسيح عليه السلام من جهة واليهود والوثنيين الرومان من جهة أخرى، لابد لنا أن نتوقف ملياً عند نهاية الصراع. لاسيما قد بلغ ذروته عند اليهود حينما دبروا المؤامرة الكبرى للقبض على المسيح وتسليمه للرومان الوثنيين عسى أن يتخلصوا منه ومن دعوته التوحيدية.

ولعل هذه المسألة تستوقفنا كثيراً لما فيها من روايات متناقضة ولما فيها من خلافات جذرية بين ما جاء في الأناجيل وما جاء في القرآن الكريم.

١ ـ القبض على المسيح حسب رواية الأناجيل.

٢ ـ تعذيب المسيح وإهانته عند محاكمته.

٣ ـ صلب المسيح حسب رواية الأناجيل.

٤ ـ دفن المسيح ومن ثم قيامته حسب ما جاء في الأناجيل.

٥ ـ عدم القبض على المسيح من قبل اليهود حسب ما جاء في القرآن الكريم.

٦ ـ عدم صلبه وتوضيح ذلك في القرآن الكريم.

٧ ـ ما الذي جرى للمسيح في هذه الحادثة؟

٨ ـ ماذا يعني رفعه إلى السماء؟

٩ ـ هل مات المسيح أم أنه حي يرزق.

١٠ ـ هل يعود المسيح مرة أخرى للأرض.

وسنرى أموراً أخرى خلال جولتنا في هذه الحادثة التي تعتبر مفصلية في العقيدة النصرانية وكذلك في العقيدة القرآنية.

تتفق الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنيسة على أن اليهود تآمروا على المسيح وسلموه إلى الملك ليُعاقب ويُصلب.

فقد جاء في إنجيل متى: (واجتمع حينئذ الأحبار وشيوخ الشعب في دار عظيم الأحبار وكان يدعى قيافا فأجمعوا على أن يمسكوا يسوع بحيلة ويقتلوه. ولكنهم قالوا لا في حفلة العيد لئلا يحدث اضطراب في الشعب) ٢٦ : ٣ ـ ٤ ـ ٥.

وجاء في إنجيل مرقص: (وكان الأحبار والكتبة يبحثون كيف يمسكونه بحيلة فيقتلونه لأنهم قالوا لا في حفلة العيد لئلا يحدث اضطراب في الشعب) فصل ١٤ : ١ ـ ٢.

وجاء في إنجيل لوقا: (وكان الأحبار والكتبة يبحثون كيف يقتلون يسوع لأنهم كانوا يخافون الشعب فدخل الشيطان في يهوذا المعروف بالاسخريوطي...) ٢٢ : ١ ـ ٢.

وجاء في إنجيل يوحنا: (قال يسوع هذه الأشياء وخرج مع تلاميذه فعبر وادي قدرون وكان هناك بستان فدخله هو وتلاميذه وكان يهودا الذي أسلمه يعرف ذاك المكان لكثرة ما اجتمع فيه يسوع مع تلاميذه فجاء يهوذا بالسرية والحرس الذين أرسلهم الأحبار والفريسيون حتى بلغ ذلك المكان) ١٨ : ١ ـ ٢ ـ ٣.

فنلاحظ أن الأناجيل الثلاثة متى ومرقص ولوقا تتفق على أن الأحبار والكتبة دبروا المؤامرة وهم يتحينون الفرصة لقتل المسيح. بينما إنجيل يوحنا ينفرد برواية أخرى، حيث يدخل مباشرة في الحديث عن المؤامرة.

أما برنابا فيقول: (ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذي كان فيه يسوع مع

تلاميذه ذهب رئيس الكهنة وقال إذا أعطيتني ما وعدت به أسلم هـذه الليلـة ليدك يسوع الذي تطلبونه لأنه منفرد مع أحد عشر رفيقاً. أجاب رئيس الكهنة كم تطلب قال يهوذا ثلاثين قطعة من الذهب. .) برنابا ٢١٤ : ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ .

وقد لخص القرآن الكريم هذه الحادثة بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ . . . . . وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٢ ، ٥٤].

والآية تدل على أن اليهود مكروا ودبروا مؤامرتهم على السيد المسيح عليه السلام.

ويظهر اتفاق عام على أن اليهود دبروا مؤامرة لقتل المسيح.

وحين نتابع قراءتنا للأناجيل سنرى الآتي:

جاء في إنجيل متى: (وبينما هو يتكلم إذا بيهوذا أحد الاثني عشر قد وصل ومعه عصابـة كثيرة العـدد تحمـل السيوف والعصـي. وأرسـلها الأحبار وشـيوخ الشعب وكـان الـذي أسلمه قـد جعـل لهـم علامـة إذ قـال هـو ذاك الـذي أقبلـه فامسكوه. ودنا من وقته إلى يسوع وقال السلام عليك ربّي وقبله. فقال لـه يسـوع يا صديقي افعل ما جئت له. فدنوا وبسـطوا أيديهـم إلـى يسـوع وأمسـكوه). متى ٢٦ : ٤٧ ـ ٥١ .

وجاء في إنجيل مرقص: (وبينما هو يتكلم إذ وصل يهوذا أحد الاثني عشر ومعه عصابة تحمـل السيوف والعصـي أرسـلها الأحبار والكتبة والشيوخ وكـان الذي يسلمه قد جعل لهم علامة إذ قـال: هـو ذاك الـذي أقبلـه فامسكوه وسـوقوه محفوظاً). ١٤ : ٤٣ ـ ٤٤ .

ويأتي في إنجيل لوقا: (وبينما هو يتكلم إذا عصابة يتقدمهـا المدعـو يهـوذا

أحد الاثني عشر فدنا من يسوع ليقبله فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟ فلما رأى أصحابه ما أوشك أن يحدث قالوا يا رب أنضرب بالسيف؟).
٢٢ : ٤٧ ـ ٤٩.

وجاء في إنجيل يوحنا: (فجاء يهوذا بالسرية والحرس الذين أرسلهم الأحبار والفريسيون حتى بلغ ذلك المكان ومعهم المصابيح والمشاعل والسلاح وكان يسوع يعلم جميع ما سيحدث له فخرج وقال لهم من تطلبون) يوحنا ١٨.

أما إنجيل برنابا فيقول: ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنوّ جمّ غفير فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً وكان الأحد عشر نياماً فلما رأى اللهُ الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد. ٢١٥ : ١ ـ ٨.

أما القرآن الكريم فيقول: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران/ ٥٤ ـ ٥٥].

ويقول تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء / ١٥٨].

فنلاحظ أن الأناجيل التي تعتمدها الكنيسة المسيحية تصر على أن اليهود ألقوا القبض على السيد المسيح. وإنجيل برنابا ينفرد بالقول إن المسيح لما أحس بالخطر بعث الله له ملائكته ورفعوه جسداً وروحاً. وظاهر النص القرآني يؤكد أن المسيح لم يُلق عليه القبض بل رفعه الله إليه.

وهنا لابـد مـن التوقـف عنـد النتيجـة التـي وصـل إليهـا السـيد المسـيح بعـد القبـض عليـه حسـب الأنـاجيل الأربعـة ، وعنـد النتيجـة التـي نستشـفها مـن ظـاهر الآيات القرآنية الكريمة . فحسب رواية الأناجيل الأربعـة أجريـت محاكمـة للسـيد المسيح ورافقها أفعال صدرت عن اليهود كالشتم ووضع إكليل الشوك فوق رأس المسيح وما شابه ذلك . ومن ثم ساقوه إلى الصلب وهو مستسلم .

المحاكمة

يقول إنجيل مرقص: (وكان الأحبار والمجلس كافة يطلبون شهادة على يسوع للحكم عليه بالموت فلم يجدوا. ذلك بأن أناساً كثيرين كانوا يشهدون عليه زوراً قالوا نحن سمعناه يقول: إني سأنقض هذا الهيكل الذي صنعته الأيدي وأبني في ثلاثة أيام هيكلاً آخر لم تصنعه الأيدي. ولا على هذا اتفقت شهاداتهم. فقام عظيم الأحبار في وسط المجلس وسأل يسوع أما تجيب بشيء؟ ما هذا الذي يشهد به هؤلاء عليك؟ فظل صامتاً لا يجيب بشيء. فسأله عظيم الأحبار ثانية قال له أأنت المسيح ابن المبارك فقال يسوع: أنا هو وسوف ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدير وآتيا في غمام السماء. فشق عظيم الأحبار ثيابه وقال ما حاجتنا بعد ذلك إلى الشهود لقد سمعتم التجديف فما رأيكم؟ فأجمعوا على الحكم بأنه يستوجب الموت وأخذ بعضهم يبصق عليه ويقنّعون وجهه ويلطخونه ويقولون تنبأ وانهال الخدم عليه باللطم). مرقص ١٤: ٥٣ـ٦٥.

وقد وردت هذه القصة في إنجيل متى وإنجيل لوقا ويوحنا. مع اختلاف في بعض الأمور. أما أن المسيح ألقي عليه القبض فواقع الحال يقول لو كان المسيح هو الله لاستطاع أن ينقذ نفسه وينتقم منهم نقمة شنيعة لأنه قال في السياق أنه سيأتي في غمام السماء وسيجلس عن يمين الله القدير، فكيف يستطيع أن يفعل ذلك ولا يستطيع أن يفلت من أيدي هؤلاء اليهود؟

ونلاحظ أنه بسبب جوابه حسبما ورد في الأناجيل سوف ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدير وآتيا في غمام السماء شق كبير الأحبار ثيابه وحكم عليه

بالموت. والواقع لو أخذنا بهذه القصة حسبما وردت في الأناجيل لقلنا: إن ظاهر قول المسيح هذا هو تجديف على الله فعلاً، وكان اليهود على حق وصواب حينما قالوا بأنه جدف على الله، وهذا الموقف من أحبار اليهود، حسبما ورد في الأناجيل، هو موقف المؤمنين بالوحدانية الرافضين للوثنية والتجديف على الله. فهل حقاً كان هؤلاء اليهود مؤمنين وموحدين وهل حقاً أن المسيح ادعى أنه سيكون على يمين الله وآتياً في غمام السماء؟

الواقع أن الأناجيل نفسها تشير إلى انحراف اليهود ومعاداتهم للحق والطريق القويم. فإذا كان المسيح فعلاً قد جدف على الله فإن ذلك يتناسب مع عقلية اليهود الذين يجدفون على الله طوال حياتهم ويقتلون الأنبياء. ونعتقد أن اليهود بما جُبلوا عليه من الانحراف لن يضيرهم انحراف المسيح عن دين الوحدانية. إنما الذي يضيرهم أن المسيح كنبي أراد من دعوته إعادتهم إلى سلوك دين الوحدانية والصدق مع الناس وعدم تجيير التوراة لمصالحهم المادية والمالية. وبسبب ذلك جاء عداؤهم له.

ونأتي إلى الفصل ١٥ من إنجيل مرقص حيث يقول: (وما إن كان الفجر حتى اجتمع الأحبار للشورى مع الشيوخ والكتبة والمجلس كله ثم أوثقوا يسوع وساقوه وأسلموه إلى بيلاطس فسألة بيلاطس أأنت ملك اليهود فأجابه هو ما تقول وكان الأحبار يتهمونه اتهامات كثيرة فسأله بيلاطس ثانية أما تجيب بشيء أنظر ما أكثر ما يتهمونك به ولكن يسوع لم يجب بشيء، بعد ذلك حتى تعجب بيلاطس).

وقد ورد في الفقرات التالية: (فأجابهم بيلاطس أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود لأنه كان يعلم أن الأحبار من حسدهم أسلموه).

وجاء فيه: (فماذا أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود فعادوا للصياح أصلبه

فقال لهم بيلاطس فما الذي فعل من شر؟).

فمن الواضح أن بيلاطس تعاطف مع يسوع وكان بإمكانه كملك أن يفلته من بين أيديهم ويمنعهم من فعل الشر معه. وجاء فيه: (وبعد ما جلد يسوع أسلمه ليصلب).

ثم جاء في الأناجيل: (فساقه الجنود إلى داخل الدار، دار الحاكم، ودعوا السرية كلها وألبسوه أرجواناً وكللوه بإكليل ضفروه من الشوك وأخذوا يحيونه فيقولون السلام عليك يا ملك اليهود ويضربونه بقصبة على رأسه ويبصقون عليه). متى ١٢٧ : ٢٧ـ٤١ـ ومرقص ١٥ : ١٦ـ٢٠ ويوحنا ١٩ : ١ـ٣.

وكل ما ورد في الأناجيل من هذه القصة وجزئياتها لم يتعرض لها القرآن الكريم ولا بأي شكل من الأشكال.

قصة الصلب

في قصة الصلب أمور ترتبط ارتباطاً وثيقاً بـالعقيدة النصرانيـة. فمنذ نشـوء هذه العقيدة اعتبر أتباعها أن الصلب مسألة أساسية لا تقوم تلك العقيدة إلا بها.

وتتفق الأناجيل الأربعة على أن المسيح قد صلب.

يقـول إنجيـل متـى: (وبينمـا هـم خـارجون صـادفوا رجـلاً قيروانيـاً اسـمه سـمعان فسـخروه أن يحمـل صليـب المسيح يسـوع. ولمـا وصلـوا إلـى المكـان المعروف بالجلجثة، أي المكان الذي يقال له الجمجمة، ناولوه خمـرة ممزوجـة بمرارة ليشربها فذاقها وأبى أن يشـربها فصلبـوه ثـم اقتسـموا ثيابـه مقترعين عليهـا وجلسوا هناك يحرسونه). ٢٧: ٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦.

وجاء في إنجيل متى عن موت المسيح: (ونحو الساعة الثالثة صرخ يسـوع صرخة شديدة قال إيلي إيلي لمّا شبقتاني. أي إلهي إلهي لماذا تركتني).

وقد ورد ذلك في إنجيل مرقص الفصل ١٥ وفي إنجيل لوقا في الفصل ٢٣ وفي يوحنا الفصل ١٩.

أما إنجيل برنابا فيقول: (ودخل يهوذا بعنـف إلـى الغرفـة التـي أصعـد منهـا يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياماً فأتى الله العجيب بـأمر عجيـب فتغير يهـوذا فـي النطق وفي الوجه فصار شبها بيسوع حتى اعتقدنا أنه يسوع). الفصل ٢١٦.

وجاء فيه أيضاً: (فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه..).

ويقول: (فقادوه إلى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شـنق المجرميـن وهنـاك

صلبوه عرياناً مبالغة في تحقيره. ولم يفعل يهوذا شيئاً سوى الصراخ يا الله لماذا تركتني فإن المجرم قد نجا أما أنا فأموت ظلماً). الفصل ٢١٧.

أما في القرآن الكريم فيقول الله سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ١٥٧ - ١٥٨].

والواضح أن القرآن الكريم يؤكد عدم صلب المسيح لكنه لا يورد قصة يهوذا على الرغم من أن الآية الكريمة تشير إلى أنه شبه لهم وقد يحتمل هذا اللفظ عدة معان، منها أن الله سبحانه شبه لهم شخصاً آخر بالمسيح، ومنها أيضاً أنه شبه لهم أنهم صلبوا المسيح، بمعنى ظنوا أو حسبوا أنهم صلبوه وما صلبوه.

وبعد أن أوردنا ما قالته الأناجيل وما قاله القرآن الكريم نتوقف عند الحادثة نفسها لنتحقق من وقوعها أو عدم وقوعها على ضوء التحليل المنطقي وعلى ضوء ما أقره الله سبحانه في القرآن الكريم.

١ - إذا عدنا إلى كتبة الأناجيل وتساءلنا من كان الشاهد منهم على صلب المسيح؟ هل كان متى أو لوقا أو مرقص أو يوحنا شاهدين عندما صُلب المسيح؟ فمتى لا نعرف عنه شيئاً باعتراف الأناجيل نفسها. وتقول المصادر المسيحية إن المؤلف متى يعرف من عمله فهو طويل الباع في علم الكتاب المقدس والتقاليد اليهودية وكثير من الباحثين اللاهوتيين يقولون إن متى كتب إنجيله نحو سنة ٨٠ ميلادية. وهذه الأمور تعني أن متى لم يرَ المسيح فكيف يكتب عن صلبه الذي لم يشاهده قطعاً والواضح أن متى ينقل أخباراً قد يكون نقلها له أحد اليهود زيادة في امتهان شخصية المسيح عليه السلام.

ومرقص صاحب الإنجيل الثاني، لم يشاهد المسيح ولا شاهد شيئاً من

حياته أو صلبه وقد نسب الإنجيل المرقصي لمرقص بعد ١٥٠ سنة على ميلاد المسيح. وليس هو من تلاميذ المسيح الاثني عشر. إذاً فشهادة إنجيله على صلب المسيح شهادة باطلة لأنها تفتقد إلى الموثوقية وربما ـ وهذا هو الأصح ـ قد نقلها بطرس عن رواة ليس لهم علاقة بالمسيح ولا بعقيدته.

أما لوقا فتعترف المصادر المسيحية أنه ينتمي إلى العالم الهلنستي بلغته وأسلوبه وقد ذكره الرسول بولس وبولس هو اليهودي الذي أصبح رسولاً مسيحياً وابتدع الكثير من العقائد التي لا تمت بصلة لحقيقة العقيدة النصرانية. ولوقا ليس من حواريي المسيح الاثني عشر ولم يعش معه ولم يشاهد صلبه.

أما إنجيل يوحنا فينسب إلى يوحنا الذي تدعي الأخبار المسيحية أنه عاصر المسيح وإنجيله أقدم الأناجيل. وتقول المصادر المسيحية: فمن الأرجح أن الإنجيل كما هو بين أيدينا أصدره بعض تلاميذ المؤلف فأضافوا عليه الفصل ٢١ ولا شك أضافوا أيضاً بعض التعليق. أما المؤلف وتاريخ وضع الإنجيل الرابع فلسنا نجد في المؤلف نفسه أي دليل واضح عليهما[(١)].

وإذا كان كثير من المسيحيين يعتبرون أن يوحنا من تلاميذ المسيح الاثني عشر فإن شهادته على ما يسمى صلب المسيح ليست شهادة صادقة وليست واقعية لأن الأناجيل نفسها تشير إلى أن تلاميذ المسيح كانوا قد هربوا عندما ألقي القبض عليه خوفاً على نفوسهم من انتقام اليهود والرومان.

ومن خلال ما تقدم ندرك أن الشهادة الإنجيلية على صلب المسيح صدرت عن أناس لم يشاهدوها إنما نقلوها نقلاً.

أما كيف نقلوها وعن من فهناك غموض كامل حول من الذي نقلها.

---

(١) الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ص ٣٤٨، منشورات دار المشرق بيروت ١٩٨٦.

وأعتقد أن اليهود الذين ادعوا أنهم صلبوا المسيح هم الذين أشاعوا قصة صلب المسيح وهم يدركون أن تدمير العقيدة النصرانية يأتي من هذا الباب. أي صلب المسيح الذي يعني عقيدة الفداء التي أراد الله فيها حسب قول المسيحية أن يفدي البشرية ويكفر عن خطاياها. وقد أكد العلماء والباحثون الذين سبقونا أن قصة صلب المسيح تناقلها الرواة عن أساس يهودي. فيقول ابن القيم في ذلك: (فأخبار المسيح والصليب إنما شيوخكم فيها اليهود وهم فيما بينهم مختلفون في أمره أعظم الاختلاف. وأنتم مختلفون معهم في أمره. فاليهود تزعم أنهم حين أخذوه حبسوه في السجن أربعين يوماً وقالوا: ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم لأنه كان يداخله في صناعة الطب عندهم. وفي الأناجيل التي بأيديكم «أنه اخذ صبح يوم الجمعة وصلب في الساعة التاسعة من اليوم بعينه» فمتى تتوافقون مع اليهود في خبره.

ويتابع ابن القيم قوله: (فهذا ما عند اليهود وهم شيوخكم في نقل الصلب وأمره وإلا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى وإنما حضره اليهود وقالوا قتلناه وصلبناه وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم فإن صدقتموهم في الصلب فصدقوهم في سائر ما ذكروه وإن كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذي قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما صلبوه وما قتلوه بل صانه الله وحماه وحفظه وكان أكرم على الله وأوجهَ عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود[1].

وإذا عدنا إلى قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء/ ١٥٦ ــ ١٥٧]. ندرك أن الذي ادعى صلب المسيح هم اليهود،

---

(١)ابن القيم الجوزية. هداية الحيارى، صفحة ٢٢٢ - ٢٢٣.

والنصارى الأوائل لم يروا المسيح يُصلب إنما صدقوا ما قاله اليهود ونشروا خبر صلبه بناء على ما أخذوه عنهم وقد اختلف في معنى قوله ولكن شبه لهم كما أوردنا سابقاً. فقيل المعنى ولكن شبه للذين صلبوه بأن ألقى شبهه على غيره فصلبوا الشبه وقيل المعنى ولكن شبه للنصارى أي حصلت لهم الشبهة في أمره وليس لهم علم بأنه ما قتل وما صلب ولكن لما قال أعداؤه إنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبهة في أمره وصدقهم النصارى في صلبه لتتم الشناعة عليهم وكيف ما كان فالمسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب يقيناً لا شك فيه[1].

وتكثر السقطات الإنجيلية التي تدل على عدم صحيتها وعدم إقناع المرء بصلب السيد المسيح.

ففي رواية الأناجيل الأربعة تناقض واضح حول ما قالوه عن صلب المسيح مع لصّين حكم عليهما بالموت.

ففي الباب الثامن عشر من إنجيل متى أنه صلب معه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وكانا يشتمانه ويتناولانه محركين رأسيهما ويقولان يا من يهدم البيت ويبنيه في ثلاث سلم نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب[2].

جاء في إنجيل متى الإصحاح السابع والعشرين الفقرة ٢٨ (حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم وفي الفقرة ٤٤ كان اللصان اللذان صلبا معه يعيّرانه).

وجاء في إنجيل مرقص (وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره واللذان صلبا معه كانا يعيّرانه).

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٢٨.

(٢) ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص ١٢٥ - ١٢٦.

وفي إنجيل لوقا (وكان أحد اللصّين المصلوبين معه يسبه ويقول إن كنت أنت المسيح فسلّم نفسك وسلمنا فأجابه الآخر وكشر عليه وقال: أما تخاف الله وأنت في آخر عمرك وفي هذه العقوبة أما نحن فكوفئنا بما استوجبنا وهذا لا ذنب له ثم قال ليسوع يا سيدي اذكرني إذا نلت ملكك فقال له يسوع آمين أقول لك اليوم تكون معي في الجنة)[1].

وقد جاء نص لوقا في الإصحاح الثالث والعشرين على النحو التالي: (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أولا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلناه وأما هذا فلم يفعل شيئاً في محله ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس) لوقا ٣٩ ـ ٤٣.

فنلاحظ التناقض بين الأناجيل في مسألة الصلب تبرز من خلال موقف اللصين تجاه المسيح فمتى ومرقص أخبرا بأن اللصين كانا يسبّانه. بينما لوقا يخبر بأن أحدهما كان عن يمينه وهو يسبه والآخر كان ينكر على الذي كان يسبه ويؤمن به. والصادق لا يكذب في مثل هذا وليس يمكن أن يدعي أن أحد اللصين سبه في وقت وآمن به في وقت آخر لأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبَّه إنكار من لم يساعده قط على ذلك. وكلهم متفق على أن كلام اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب فوجب ضرورة أن لوقا كذب أو كذب من أخبره وأن متى كذب وكذب مرقص أو الذي أخبره ولابد[2].

وهناك الكثير من المتناقضات في رواية الأناجيل حول صلب المسيح

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

ومصيره وأسباب صلبه. فكما تبين لنا التناقض في الرواية حول اللصين اللذين صُلبا معه فإن الأناجيل تتناقض في أسباب صلبه.

فإنجيل متى وكذلك مرقص يوردان أن سبب صلب المسيح قول اليهود بأنه ادعى أنه ملكهم فسأله الوالي أأنت ملك اليهود إشارة إلى الادعاء الذي قُدم للوالي.

بينما إنجيل لوقا يورد أسباباً أخرى منها ادعاؤهم بأن المسيح يفسد الأمة ويمنع أن تُعطى الجزية لقيصر.

أما يوحنا فيرى غير ذلك فيورد ما نصه: (لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك فقال بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم).

ومن تلك المتناقضات أيضاً أن مرقص قد حدد الساعة الثالثة موعداً لصلب المسيح بينما لم يحدد أحد من أصحاب الأناجيل الثلاثة الأخرى موعد الصلب ولا ساعته.

وهناك أيضاً تناقض حول من حضر صلب المسيح فيوحنا يقول وكانت عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة (كلوبا) ومريم المجدلية. فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة هو ذا ابنك ثم قال للتلميذ هو ذا أمك وفي تلك الساعة أخذه التلميذ إلى خاصته. فقد انفرد يوحنا بهذه العبارة. بينما ذكر متى كما أسلفنا سابقاً أن التلاميذ قد هربوا وكان منهم يوحنا وكان يلبس رداء على عريه فأمسكه أحد الجنود فترك له الرداء وهرب عارياً. فكيف جاء بعد ذلك ليشاهد المسيح وهو يصلب؟.

أما لوقا فلم يشر إلى أن أحداً من معارف المسيح حضر صلبه بل قال: وكان جميع معارفه ونساءٌ كنّ قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك.

وطالما أن كل هذه المتناقضات تشير إلى أن مسألة الصلب وما يرتبط بها

ليست واضحة وفيها من الغموض ما يكفي لنقضها ورفضها . فإننا نطمئن أكثر وأكثر إلى ما جاء في إنجيل برنابا فروايته أقرب إلى المنطق العقيدي وإلى معجزات الله التي رافقت السيد المسيح منذ ولادته وحتى رفعه إلى السماء .

أما الأهم من ذلك كله فإن النص القرآني يقطع بالمسألة بشكل لا يدع مجالاً للقول بغير ما قاله الله سبحانه . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وهذا في غاية الإكرام لشخصية النبي عيسى عليه السلام . والله سبحانه حماه من اليهود وهو يدعو إلى ديانة التوحيد وحماه من مكرهم ومحاولتهم القبض عليه وأذيّته وصلبه .

الصلب وألوهية المسيح

يتساءل المرء كيف يمكن أن يكون المسيح إلهاً ويصلب؟

لا شك أن المصادر المسيحية وكذلك المذاهب المسيحية ما عدا البروتستانت ترى في صلب المسيح مسألة من مسائل العقيدة المسيحية الأساسية.

وحينما نراجع المصادر الأولى للمسيحية نرى أن بولس الرسول أتى بأمور لم يأت بها غيره. فقد بث مسألة الإيمان على أنها ترتكز على صلب المسيح رباً وإلهاً فقال مثلاً (وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصلب ربنا يسوع المسيح) غلاطية ٦ : ١٤ . ويعتبر الرسول بولس أن الصليب جوهر المسيحية فيركز عليه قائلاً (لأنني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً) اكو ٢ : ٢ أي أن هذا الصليب هو الأمر الوحيد الذي أريد أن أعرفه[١].

على أية حال فإن المسيحية التي تعتقد بألوهية المسيح غالت كثيراً في دينها حتى أنها أصرت أن الإله المسيح قد صلب. ولو أنها قالت مثلاً بنبوة المسيح وادعت أنه صلب لكان بالإمكان مناقشة الأمر على اعتبار أن النبي المسيح بشر وقد يتعرض لما يتعرض له البشر خاصة أننا نعرف تاريخ اليهود وقتلهم للأنبياء بغير حق ولكن أن نقول إن المسيح هو الله ثم نؤمن أنه صلب فهذا يتناقض حتى مع إيمان المسيحية بقدرة المسيح غير المحدودة على اعتبار

---

(١) شنوده الثالث: اللاهوت المقارن الجزء الأول ص ١٥٠ .

أنه الله المطلق القوي الجبار. فالمسيحية لم تكن لتهتم بكيفية الصلب أو من المسؤول عن ذلك بقدر اهتمامها لماذا تم الصلب ولأي هدف مقدس.

إن العهد الجديد يدقق في ذلك المعنى وإن الصلب أساساً لتحقيق هدف جاء من أجله المسيح يسوع إلى الدنيا وتحقيقاً لرغبة إلهية ورحمة من الرب نحو شبعه. لذلك ركزت إصحاحات العهد الجديد في الأناجيل الأربعة على فكرة أن يسوع كان يعرف مهمته في الحياة وأنه مكتوب عليه التضحية ليخلص الناس[1].

والواقع أن فكرة الصلب لم تكن مفهومة في وقتها حتى بين تلاميذ المسيح فقد كان اليهود يعتقدون بقدوم بطل أسطوري قوي يعيد الملك وليس رجلاً يصلب ليفدي البشرية كلها ثم تبلورت فكرة المخلص الذي يضحي بنفسه ليفدي البشرية كلها ويمحو خطيئتها[2].

ويرى الفكر المسيحي أن آلام وموت المسيح كانت منجزات وانتصارات لا كوارث وفواجع لقد حدد هو بنفسه وليس أعداؤه تاريخ وساعة الصلب. ومع أن العملية عملية الصلب بدت غريبة ومذهلة لتلاميذه إلا أنها لم تكن سوى تكملة لمهمة جاء بها لفتح باب جديد وثابت لملكوت من العزة والحياة. فعملية الصلب مع كونها أبشع شر في تاريخ البشرية أشار إليها سفر الأعمال على أنها من ترتيب إلهي مسبق[3].

وهكذا يرى الفكر المسيحي في صلب الإله المسيح كما يقولون عملية

---

(١) د. عبد الرحمن نور الدين. رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام ص ٩٠ - ٩١.

(٢) المرجع السابق ص٩١.

(٣) هل تجسد المسيح. القس منيس عبد النور ١٠٠ - ١٠١. مكتبة دار نداء الرجاء حمص - سوريا.

فداء للبشرية وخلاص ولكن إذا كان المسيح إلهاً فهل صلبه برهانٌ على ألوهيته؟ ثم إذا كان المسيح إلهاً فهل تقبل عملية الصلب دون أي تذمر؟ لأنه يعرف أنه إله ومجرد صلبه هو صلب للمادة والجسد وليس للنور الإلهي.

الواقع أنه ما قاله المسيح وهو على خشبة الصليب كما تقول الأناجيل يدل على نفيه كونه إلهاً فهذا الذي قاله لا يصدر عن إنسان يتألم ويبكي بل هو في غاية الألم والعذاب لقد قال المسيح وهو على خشبة الصليب حسب الأناجيل (إلهي إلهي لماذا تركتني) أي بمعنى لماذا تخليت عني وتركتني أُصلب بأيدي أعدائي. فهل هذا الكلام يصدر إلا عن إنسان يتألم ويكره أن يصلب أو يموت على هذه الحال؟

وقد اختلف أصحاب الأناجيل في الكلمات الأخيرة للمسيح فقال متى ص ٢٧ (٤٦) ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلي إيلي لما شبقتاني. بينما لوقا قال إن المسيح قال يا أبتاه في يديك أستودع روحي بينما في يوحنا لم يرد ذلك مطلقاً.

والمهم في ذلك كله أن اعتراف المسيح حسب قول الأناجيل بأن الله تخلى عنه دليل من الأناجيل نفسها أن المسيح ليس إلهاً وليس له صفات الإله القادر بغير حدود.

والواقع أن كثيراً من الفرق المسيحية ترفض قول الأناجيل أن المسيح صلب وقد ذكر عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء عدداً من هذه الفرق وعدداً من اللاهوتيين والمفكرين المسيحيين الذين يرفضون فكرة صلب المسيح. ومن هذه الطوائف الدوستية، والمرسيونية، والقلنطنيائية، وأورد شهادات لعلماء النصرانية تفيد في ذلك.

منها ما قاله المسيو أرادو ارسيوس وما قاله الألماني أرنست دي لونس

وغيرهما ويستندون في ذلك على رأيهم القائل إن كان المسيح إلهاً فكيف نصدق أنه يصلب ويقتل؟

والواقع أن التراث الوثني القديم يتميز بأساطير كثيرة تقول بصلب أحد الآلهة الوثنية ويربطون ذلك بمفهوم الفداء والتضحية. وأعتقد أن اليهود الذين ادعوا أنهم قتلوا المسيح وصلبوه كانوا على صلة ثقافية بالعقائد الوثنية لدى الشعوب القديمة وارتأوا أن أكبر وأبشع إهانة يلحقونها بالنبي عيسى عليه السلام هي ادعاؤهم بأنهم صلبوه وقتلوه.

يقول العلامة داون في كتابه خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخيرة: إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم. وكتاب الركفيدا الهندي يمثل الآلهة يقدمون (بروشا) وهو الذكر الأول قرباناً ويعدونه مساوياً للخالق وجاء في أحد نصوص هذا الكتاب أن سيد المخلوقات برجاباتي قدم نفسه ذبيحة للآلهة.

وإذا عرفنا أن الرمانيين واليونان كانوا يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها أدركنا أن كتبة الأناجيل قد تأثروا أيضاً بتراث اليونان والرومان وهم معاصرون لهم وقالوا بصلب المسيح.

ويقول العلامة هوك في كتابه رحلة هوك المجلد الأول صفحة ٣٢٦: ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسّد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة.

وهناك صورة عند الهنود تصور الإله كرشنا مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ومعلق بقميصه صورة قلب الإنسان.

وفي نيبال يصور أهاليها الإله إندرا مصلوباً وثقب بالمسامير كي يخلص

البشر من ذنوبهم وفي جنوب الهند إله اسمه بالي يعبده الهنود يصورونه مصلوباً وكذلك فإن فشنو تجسد وصوّروه مثقوب الجنب واليدين.

وأصحاب الديانة البوذية يدعون بوذا الطبيب العظيم ومخلص العالم والممسوح والمسيح المولود الوحيد وغير ذلك وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السموات وبولادته ترك كافة مجده في العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر. وقد عبد أهل المكسيك إلهاً مصلوباً دعوه المخلص والفادي ويدعون ابن الله في لغتهم باكوب أو بوكو[١].

ويرى بعض اليهود وبعض من عاينوا كلمة المسيح الأخيرة إلهي لماذا تركتني - أن الله خذل ابنه. لكن المسيحية تقول إن ذلك كان يعرفه المسيح مسبقاً فهو كالقدر الذي لا مناص من وقوعه.

ويعلق الأستاذ عمر النجار على ذلك بقوله: أما أن التلاميذ أنكروه وشكوا فيه وهربوا دونه فتلك تعود إلى جبرية البشائر التي ورد ذكرها في مرقص. فهل تريدون أن ننزع عنه النبوة بإنكارنا لها. أليست البشائر على لسان المسيح نفسه تقول بنجاة التلاميذ. ثم أليس المسيح قد ردّ أذن العسكري المقطوعة إلى مكانها وشفاه وأخر صاحب السيف أن يرده إلى غمده وعليه فلا تخاذل. المسيح يدرك كل ذلك جيداً بل وأشار إلى من خذله. أليس هو القائل على الصليب إيلي إيلي لمَ شبقتاني فالتلاميذ لم يخذلوه وتعالى الله عما يصفون - بل الله خذله.

فالمسيح عندهم هو الابن الوحيد للآب، وليس معقولاً أن يعجز الله عن نجدته. لقد خذله من أجلنا إنه الذي لم يشفق على ابنه كما ورد في رومية ٨: ٣٢ صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وصولحنا مع الله بموت ابنه. ولكي يفدينا من كل إثم.

---

(١) محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٥٧ - ٥٨ - ٥٩.

والحقيقة أن عقيدة الخطيئة لم تبرز عند الكتاب إلا للملاءمة بين انتصار المسيح بقتلهم إياه وبين الله القادر على كل شيء أو بتعبير آخر لامتصاص الحجة التي تقول: إذا كان المسيح ابن الله على الحقيقة فواجب الأبوة يقتضي أن ينصر ابنه. وإذا كان الله هو القادر على كل شيء على الحقيقة فيجب أن يكون النصر له لا لأعداء ولده الظالمين، خاصة أن ابنه لم يعرف خطية قط.

ويتساءل النجار قائلاً: ولكن من هو المصلوب حقيقة؟ لقد كانت العادة تقتضي على المحكوم عليه بالإعدام أن يحمل صليبه بنفسه وهذا ما قال به يوحنا وحده (فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة) يوحنا ١٩ : ١٧ أما متى والآخرون فيقول: (وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه) متى ٢٧ : ٣٢ لوقا ٢٣/ ٢٦ مرقص ١٥ : ٢١ والمسيح يمشي أمامه ولنفترض أنه لم يهرب نعم. (فقد أتوا به إلى بيلاطس الذي كان مسؤولاً عن تنفيذ حكم الإعدام لينظر في أمره فلم يجد لديه ما يستحق الموت) يوحنا ١٨ : ٣٨ ولم يجد فيه شراً. وأُتهم كهنة اليهود بصياغة هذه المكيدة حسداً وضغينة وأخيراً غسل يديه أمام الجميع معلناً براءته من دم المسيح إن قتلوه.

أما زوجة بيلاطس فقد استوصت بالمسيح خيراً ونعتته بالبار وتوعدت زوجها شراً إن حصل له مكروه ومتى يقول: (أرسلت امرأته قائلة إياك وذلك البار لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله) متى ٢٧ : ١٩ إنها مؤمنة به أو بنبوته بلا شك أو متعاطفة معه بدرجة عظيمة وإلا لما انسل اهتمامها إلى الأحلام وهل يريد بيلاطس أن يخسر امرأته بعد أن انحدرت القضية إلى منزله لتكون مشكلة مع أهل بيته؟ ولكن هل تتيح الظروف له إنقاذ البار الذي لم يجد له جريمة تستحق الموت؟

وسُمِّر المسيح على الصليب وتساءل ول ديورانت قائلاً: ترى هل مات حقاً؟ لقد كان اللصان اللذان إلى جانبه لا يزالان على قيد الحياة وقد كسر الجنود ساقيهما حتى تتحمل أيديهما ثقل جسميهما فيؤثر ذلك في حركة الدم ويقف القلب بعد قليل غير أن هذا لم يحدث في حالة عيسى (فلما جاؤوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات) يوحنا ١٩ : ٣٣. ومات غير المكسور قبل المكسور وإنها لعجيبة أم أنه تظاهر بالموت والأرجح أن يكون الأمر كذلك لأنه لا خروج للدم من الميت إذا ما جرح أو خدش أما يوحنا فيقول: إن جندياً طعن المسيح بعد موته فخرجت منه الدماء والماء لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربه وللوقت خرج دم وماء ولو نظرنا ملياً إلى قصة الماء لرأيناها تقول إن المسيح زوّد وراء ظهره أو عند جنبه وهو على الصليب بأكياس ملئت بالدماء أو قل بماء صبغ باللون الأحمر وهو الأرجح. وإذا ما كان الأمر حدث على عجل خاصة في مثل هذه الأمور فربما أن أحدها لم يكن مصبوغاً حتى خرج الماء بلونه الطبيعي وهو ما رآه يوحنا[١].

فالنجار يرى ذلك ليصل بالنتيجة إلى أن المسيح لم يصلب وأن الذين كتبوا أنه صلب في أناجيلهم لفقوا ذلك وصنعوه من خيالهم لأنهم لم يشاهدوا المسيح يُصلب وتناقضت أقوالهم تناقضاً صارخاً بل خالفت تلك الأقوال المنطق والواقع فوقعوا في مطبات لا خروج منها.

وإذاً وبعد كل ما رأيناه من آرائهم حول قصة صلب المسيح المخترعة سنرى موقف القرآن الكريم الذي يوضح ما الذي جرى للمسيح عندما حاول اليهود الاعتداء عليه أو القبض عليه ثم الإقدام على صلبه.

يقول تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾

---

(١) عمر لطفي النجار. العقل والإلحاد، صفحة ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٤ ـ ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء/ ١٥٥ ـ ١٥٩].

ففي هذه الآيات يخبر الله تعالى أنه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان.

قال الحسن البصري ومحمد ابن اسحق كان اسمه (داود بن نورا) أي الملك فأمر بقتله وصلبه فحصروه في دار ببيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشُرَطُ فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقي عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له وسُلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وضلوا بسبب ذلك ضلالاً مبيناً كثيراً فاحشاً بعيداً وأخبر تعالى بقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء/ ١٥٩]. أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان.

وقيل عن ابن أبي حاتم وسلسلة من الرواة عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً معهم من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي... وبعد أن صلب شبهه رفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت طائفة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعاقبة وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء هم النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ قال ابن العباس وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف/ ١٤] وهذا إسناد صحيح[1] إلى ابن عباس على شرط مسلم ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية. وهناك أحاديث كثيرة أوردها ابن كثير تشير جميعها إلى أن الله رفع المسيح إليه وأن الذي صلب رجل آخر.

ولعل أقرب رواية لما ورد من أحاديث هي رواية برنابا التي ذكرناها في صفحات سابقة وإن كان ينكرها المسيحيون الذين اعتمدوا الأناجيل الأربعة.

وإذا عدنا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

فإنه يشير إلى النصارى الذين اختلفوا في المسيح وقصة صلبه. ولأنهم لم يشاهدوا الحدث ظلوا في شك منه والواقع أن ليس لهم به علم إلا اتباع الظن.

---

(١) ابن كثير. البداية والنهاية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٧٢ ـ ٧٣.

ولذلك اختلفوا بشأن صلبه ونهايته لأنهم يفتقدون الدليل على ذلك. وقد صدقوا مقالة اليهود التي ادعوا بها أنهم قتلوا المسيح وصلبوه. ومعروف أن اليهود يلفقون ويكذبون وهذا هو أسلوبهم طوال وجودهم على الأرض. بل إن الكذب صفة ملازمة للشخصية اليهودية منذ أن وجدت وحتى يومنا هذا.

ما الذي حدث بعد رفع المسيح

حينما نتتبع الأناجيل نرى أن عملية الصلب التي ظنوا من خلالها أن المسيح صلب رافقها أمور هي أقرب إلى الأساطير من الحقيقة. فحتى تكون لطبيعة الصلب قيمة وتكون مؤثرة في أتباع المسيحية ابتدع أصحاب الأناجيل كلٌّ على هواه حوادث خارقة يحاولون بها إقناع الناس بأن المسيح فعلاً صلب.

فإنجيل متى يرى أن يسوع قد مات وخيم الظلام على الأرض كلها من الظهر إلى الساعة الثالثة ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال إيلي إيلي لما شبقتاني أي إلهي إلهي لماذا تركتني.

ويقول متى: وإذا ستار المقدس قد انشق شطرين من الأعلى إلى الأسفل وزلزلت الأرض وتصدعت الصخور وتفتحت القبور فقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بقد قيامنه فدخلوا المدينة المقدسة وتراءوا لأناس كثيرين. ويقول إنجيل مرقص: ولما كان الظهر خيم الظلام على الأرض كلها حتى الساعة الثالثة وفي الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال ألوي ألوي لما شبقتاني. أي إلهي إلهي لماذا تركتني. ويضيف مرقص: فانشق ستار المقدس شطرين من الأعلى إلى الأسفل فلما رأى قائد المائة الواقف تجاهه أنه لفظ الروح هكذا قال: كان هذا الرجل ابن الله حقاً.

أما لوقا فيقول: وكانت الساعة نحو الظهر فخيم الظلام على الأرض كلها حتى الثالثة لأن الشمس احتجبت وانشق ستار المقدس من الوسط فصاح يسوع بأعلى صوته قال يا أبت في يديك أجعل روحي. قال هذا ولفظ الروح.

أما يوحنا فيقول: ورأى يسوع بعد ذلك أن كل شيء قد تم ولكن ليتم الكتاب قال أنا عطشان... ثم حنى رأسه وأسلم الروح.

فنلاحظ اختلاف الروايات حول الذي جرى. فمتّى يحيط الصلب بهالة خارقة. فالأرض تزلزلت والصخور تصدعت والقبور تفتحت وقام قديسون من القبور وخيم الظلام على الأرض كلها.

فإذا كانت الأرض قد تزلزلت فما الذي حدث للسكان والملك واليهود وماذا حدث للبيوت والطرقات والمارين والراقدين والعاملين. وإذا كانت قد تصدعت الصخور فما الذي حدث للناس الذين يسكنون إلى جانب هذه الصخور؟ ثم قام قديسون من القبور فماذا كان موقف الناس وهم يرون القبور قد تفتحت. ألم يفزعوا ألم يهربوا؟ وعندما يقول متى ومرقص ولوقا إن ستار المقدس انشق شطرين من الأعلى إلى الأسفل. فمن الذي رأى هذا الستار ينشق هل كان هناك من رآه ينشق ويخبر أصحاب الأناجيل بذلك؟

لكن يوحنا كان أذكى وأبرع فلم يبرز أي معجزة خارقة سوى أنه ـ وليربط الأمور ببعضها ـ جعل المسيح يقول أنا عطشان ثم قال وعرف أن كل شيء قد تم حنى رأسه وأسلم الروح.

وبعد ذلك يقول إنجيل يوحنا (وبعد ذلك جاء يوسف الرامي وكان تلميذاً ليسوع يخفي أمره خوفاً من اليهود فسأل بيلاطس أن يأخذ جثمان يسوع فأذن بيلاطس فجاء فأخذ جثمانه). الفصل ١٩ : ٣٨.

أما لوقا فيقول: (وجاء رجل اسمه يوسف وهو عضو في المجلس وامرؤ صالح بار لم يوافقهم على قصدهم ولا عملهم وكان من الرامة وهي مدينة لليهود وكان ينتظر ملكوت الله فقصد إلى بيلاطس وطلب جثمان يسوع ثم أنزله عن الصليب ولفه في كتان ووضعه في قبر حفر في الصخر لم يكن قد وضع فيه أحد)

٢٣ : ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ .

ويقول مرقص : (وكان المساء قد أقبل ولما كان ذلك اليوم يوم التهيئة اي الذي قبل السبت جاء يوسف الرامي وهو عضو وجيه في المجلس وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله فحملته الجرأة على أن يدخل إلى بيلاطس ويطلب جثمان يسوع فتعجب بيلاطس أن يكون قد مات . . فاشترى يوسف كتاناً ثم أنزل يسوع عن الصليب فلفه في الكتان ووضعه في قبر حفر في الصخر ثم دحرج حجراً على باب القبر) ١٥ : ٤٢ ـ ٤٦ .

ويقول متى : (وجاء عند المساء رجل غني من الرامة اسمه يوسف وكان هو أيضاً قد تتلمذ ليسوع فذهب إلى بيلاطس وطلب جثمان يسوع فأمر بيلاطس بأن يسلم إليه فأخذ يوسف الجثمان ولفه في كتان خالص ووضعه في قبر له جديد كان قد حفره في الصخر ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر وانصرف) . ٢٧ : ٥٧ ـ ٦١ .

فإذا تمعنا في شخصية المدعو يوسف سنجد أنفسنا أمام شخص يبرز فجأة لم تكن الأناجيل قد ذكرته سابقاً . وهو من الرامة . وتلميذ ليسوع يخفي أمره . وهو عضو في المجلس اليهودي الأعلى ووجيه فيه وهو غني إلى آخر ما هنالك من أوصاف .

فأما أنه عضو في المجلس الأعلى لليهود ووجيه فيه . فإن ذلك أمر في غاية العجب خاصة أن وجهاء اليهود هم من أشد الناس عداوة للمسيح فما الذي جرى حتى صار يوسف محباً ليسوع وحتى تتلمذ على يديه . هل خفية وهو وجيه في مجلس اليهود الأعلى؟ ولعل هناك احتمالاً قوياً وهو أن مجلس اليهود لما أدرك أن المسيح عليه السلام قد رفعه الله إليه بعثوا مندوباً عنهم لبيلاطس كي يتسلم جثة يهودا الذي صلب دون أن يدرك بيلاطس ذلك . فجاء يوسف الرامي وأخذ جثة يهودا ليكمل المجلس مؤامرة كبرى يخدع بها المسيحيين حيث يوضع

في القبر ثم يخطف بعد ليلتين ليقال إن المسيح قام من بين الأموات ورحل إلى السماء بقوة أبيه.

وإلا كيف وافق بيلاطس بهذه السرعة على منح يوسف تصريحاً فورياً بإنزال المصلوب عن صليبه وأخذه ودفنه؟

وقد كفن يوسفُ المصلوبَ بكتان ودفنه ولم ير أحد ذلك المصلوب وهو يكفن حتى لا تنكشف الخديعة خاصة أنه لا حاجة بعد لكي يبقى يهوذا على صورة المسيح لأن المسيح كان الله قد رفعه إلى السماء دون أن يصلب أو يقتل.

ويقوي هذا الاحتمال أن أصحاب الأناجيل لم يذكروا يوسف كتلميذ للمسيح إلا في هذا الموقع فما الذي قال لهم إنه كان تلميذ للمسيح خفية ومن أخبرهم بذلك؟ الواقع أنهم لا يعرفوه إنما نقلوا هذه الرواية عن اليهود الذين حاكوا مخططاً كبيراً لتخريب العقيدة المسيحية تخريباً كاملاً.

والمذكور يوسف أي الذي أنزل المسيح عن الصليب حسب زعم الأناجيل لم يعد يُذكر مطلقاً بعد هذه الحادثة. فكما ظهر فجأة اختفى فجأة. وهذا دليل على أن القصة ملفقة من قبل اليهود لكنهم لم يعرفوا أن يحبكوها بشكل جيد فافتضحت القصة وافتضح هذا الذي يُدعى يوسف الرامي.

أما بالنسبة لدفنه في القبر فإن لوقا يقول: (أخذ يوسف الجسد ولفّه بكتان نقي ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخر ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى).

أما يوحنا فيقول: (إن القبر الذي وضعت فيه الجثة لم يكن جديداً بل مستعملاً. إنه لليهود المنشغلين في الاستعداد للعيد ولما كان قريباً وجاهزاً وضعوا فيه المسيح دون متاعب أو معارضة من أحد. وبعد دفنه نزل ملاك الرب بزلزلة ودحرج الحجر عن القبر). أما مريم المجدلية التي رأت ذلك فتقول:

«أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه». وشعر كهنة اليهود بمرور المؤامرة ولكن لا دليل يدحض انتساب الأمر إلى ملاك الرب. فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام. ولكن جنود قائد المائة أنكروا وجود يد انتشلت الجثة من القبر أو ربما أن مؤامرة انتشاله كانت محكمة ودقيقة لدرجة تثير الإعجاب.

(إن خروج المسيح من القبر كان على عجل وبسرعة فالأكفان موضوعة والمنديل كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان بل ملفوفاً في موضع وحده). يوحنا ١٢ : ٦ ـ ٧، لوقا ٢٤ : ١٢. فقد تبعثرت أشياؤه هنا وهناك وهذا طبيعي ثم تنكر بزي من الأزياء حتى أن مريم المجدلية لم تعرفه عندما نظرت إليه. فقد التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع. بل إن اثنين من أصحابه لم يعرفاه وهو يمشي بينهما إلا باتضاح معالمه عندما كسر الخبز وأطعمهما. والتلاميذ شكوا في حقيقة وجوده حتى أكد لهم وجوده الجسمي وميزه عن الوجود الروحي.

ولكن لو كان الأمر روحياً فما حاجته إلى دحرجة الحجر وفتح القبر أو إلى قذف المنديل والأكفان، وما حاجة الروح للجثة التي لم تعد موجودة في القبر؟

لقد قال الكتبة إن المسيح حدد بالبشائر والتنبؤ أن قيامته من باطن الأرض ستكون بعد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ وهل استقام له ذلك. إن متى ومعه لوقا ومرقص يحددون موت ودفن المسيح بما قبل السبت بيوم وهذا بالتأكيد يجعل من المكوث بالأرض ثلاثة أيام ولكن هذه الفترة الزمنية لا يمكن أن تحتوي إلا على ليلتين وليس ثلاث ليال. وعلى كلٍ يمكن تدبر الأمر لضمان تنفس المسيح على الأقل كل هذه المدة أياً كانت منهما بما أن المؤامرة ذات أقطاب أقوياء وهو المهم.[1]

---

(١) عمر لطفي النجار، العقل والإلحاد، صفحة ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

القيامة المسيحية في العقيدة النصرانية

بقدر ما أخذت مسألة صلب المسيح في العقيدة النصرانية من أهمية فقد أخذت قيامته الأهمية الأكبر في هذه العقيدة. حيث تأسست عليها قضايا عقيدية غاية في الحساسية وغاية في الخطورة. والسبب في ذلك ربط هذه القيامة بألوهية المسيح وما يترتب على ذلك من رؤى عقيدية وفلسفية مسيحية.

وقد أجمعت الأناجيل الأربعة على موت المسيح وقيامته. فهي تخبر كلها عما وقع في اليوم الثالث لموت المسيح من حدث عجيب ترويه الروايات على شكل خاص: فهي تدور ثم تنقطع فجأة، ثم يلقى بعضها بعضاً حاملة من المضادات والمناقضات ما يتعذر معه إيجاد حل لبعضها[1] ويمكن لنا أن نسوق الرواية كما روتها تلك الأناجيل لنتبين ماذا يدور حول قيامة المسيح.

(لما انقضى السبت وبزغ فجر اليوم الأول بعد السبت جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى تتفقدان القبر وإذا بزلزال شديد حدث وبملاك الرب نزل من السماء وجاء إلى الحجر فدحرجه وجلس عليه. وكان منظره كالبرق وثوبه أبيض كالثلج. فلما رآه الحرس ارتعدوا خوفاً منه وصاروا كالأموات). متى ٢٨ : ١ ـ ٤.

(ولما انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة طيباً ليأتين فيطيّبنه وفي غداة يوم الأحد جئن إلى القبر وقد طلعت الشمس وكان

---

(١) رومانو كوارديني: قيامة المسيح، ص٧، دار المشرق ـ بيروت، نقله إلى العربية الأب جرجس المارديني ١٩٨٨.

يقول بعضهن لبعض من تراه يدحرج لنا الحجر من باب القبر؟ فنظرن فرأين أن الحجر قد دُحرج وكان كبيراً جداً). مرقص ١٦ : ١ ـ ٤ . فدخلن فلم يجدن الرب يسوع: لوقا ٢٤ : ٣ فحثت مريم المجدلية السير إلى سمعان بطرس والتلميذ الآخر الذي أحبه يسوع وقالت لهما أخذوا الرب من القبر ولا نعلم أين وضعوه فخرج بطرس والتلميذ الآخر إلى القبر يسرعان السير معاً). يوحنا ٢ : ٢ ـ ٤ .

(وحدث فيما كانت النساء الأخريات واقفات عند القبر أن تراءى لهن رجلان عليهما ثياب براقة فاستولى عليهن الخوف ونكسن وجوههن نحو الأرض فقالا لهن لماذا تبحثن عن الحي بين الأموات؟ إنه ليس هاهنا بل قام اذكرن ما أنبأكن إذ كان في الجليل فقال يجب على ابن الإنسان أن يسلّم إلى أيدي الخاطئين ويصلب ثم يقوم في اليوم الثالث. لوقا ٢٤ : ٤ ـ ٧ . فاذهبن وقلن لتلاميذه وبطرس إنه يتقدمكم إلى الجليل فترونه هناك كما أنبأكم). مرقص ١٦ : ٧ .

(فذكرن كلامه ورجعن إلى القبر فأخبرن الأحد عشر والآخرين جميعاً بهذه الأحداث كلها. لوقا ٢٤ : ٨ ـ ٩ . ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس فوصل قبله إلى القبر فانحنى ولم يدخل فأبصر الأكفان على الأرض وكان سمعان بطرس يقتفي أثره فوصل بعده فدخل القبر فأبصر الأكفان على الأرض والمنديل الذي كان على رأسه ملفوفاً في مكان على حدّه لا ملقى على الأكفان ودخل التلميذ الآخر الذي وصل قبله إلى القبر فرأى وآمن لأنهما لم يكونا قد فهما بعد الآية التي تقول إنه يجب أن يقوم من بين الأموات ثم رجع التلميذان إلى حيث يقيمان. أما مريم فكانت قائمة على القبر تبكي فانحنت نحو القبر وهي تبكي فرأت ملاكين في ثياب بيض جالسين حيث كان جثمان يسوع أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين فقالا لها وما يبكيك أيتها المرأة فأجابتهما أخذوا ربي ولا أدري أين وضعوه قالت هذا ثم التفتت وراءها فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه هو نفسه فقال لها يسوع ما يبكيك أيتها المرأة وعمّن تبحثين فظنت أنه البستاني

فقالت له سيدي إذا كنت أنت قد أخذته فقل لي أين وضعته لآخذه؟ فقال لها يسوع (مريم) فعرفته وقالت له بالعبرية (ربّونى) أي يا معلم فقال لها يسوع لا تمسكيني إني لم أصعد بعدُ إلى أبي بل اذهبي إلى الأخوة فقولي لهم إني صاعد إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم) يوحنا ٢٠ : ٤ ـ ١٧ .

أما إنجيل برنابا فينفرد برواية مختلفة حيث يقول :

(وهكذا ذهبوا في صحبة أم يسوع إلى جبل الجمجمة ولم يقتصروا على حضور موت يهوذا باكين على الدوام بل حصلوا بواسطة نيقو ديموس ويوسف الابار بماثيائي من الوالي على جسد يهوذا ليدفنوه فأنزلوه من ثم عن الصليب ببكاء لا يصدقه أحد ودفنوه في القبر الجديد ليوسف بعد أن ضمخوه بمئة رطل من الطيوب) . برنابا ٢١٧ .

ثم يقول : (أما التلاميذ الذين لم يخافوا الله فذهبوا ليلاً وسرقوا جسد يهوذا وخبأوه وأشاعوا أن يسوع قام فحدث بسبب هذا اضطراب فأمر رئيس الكهنة أن لا يتكلم أحد عن يسوع الناصري إلا كان تحت عقوبة الحرم . فحصل اضطهاد عظيم فرُجم وضُرب ونُفي من البلاد كثيرون لأنهم لم يلازموا الصمت في هذا الأمر . وبلغ الخبر الناصرة كيف أن يسوع أحد أهالي مدينتهم قام بعد أن مات على الصليب . فضرع الذي يكتب إلى أم يسوع أن ترضى فتكف عن البكاء لأن ابنها قام فلما سمعت العذراء مريم هذا قالت باكية لنذهب إلى أورشليم لننشد ابني فإني إذا رأيته مت قريرة العين . فعادت العذراء إلى أورشليم مع الذي يكتب ويعقوب ويوحنا في اليوم الذي صدر فيه أمر رئيس الكهنة) .

ويتابع برنابا قوله : (وصعد الملائكة الذين كانوا حراساً على مريم إلى السماء الثالثة حيث كان يسوع في صحبة الملائكة وقصوا عليه كل شيء . لذلك ضرع يسوع إلى الله أن يأذن له بأن يرى أمه وتلاميذه فأمر حينئذ الرحمن ملائكته

الأربعة المقربين الذين هم جبريل وميخائيل ورافائيل وأوريل أن يحملوا يسوع إلى بيت أمه وأن يحرسوه هناك مدة ثلاثة أيام متوالية وأن لا يسمحوا لأحد أن يراه خلا الذين آمنوا بتعاليمه.

فجاء يسوع محفوفاً بالسناء إلى الغرفة التي أقامت فيها مريم العذراء مع أختيها ومرثا ومريم المجدلية ولعازر والذي يكتب ويوحنا ويعقوب وبطرس فخروا من الهلع كأنهم أموات فأنهض يسوع أمه والآخرين عن الأرض قائلاً لا تخافوا لأني أنا يسوع ولا تبكو فإني حي لا ميت فلبث كل منهم زمناً طويلاً كالمخبول لحضور يسوع لأنهم اعتقدوا اعتقاداً تاماً بأن يسوع مات فقالت حينئذ العذراء باكية قل لي يا بني لماذا سمح الله بموتك ملحقاً العار بأقربائك أخلائك وملحقاً العار بتعليمك وقد أعطاك قوة على إحياء الموتى فإن كل من يحبك كان كميت.

أجاب يسوع معانقاً أمه: صدقيني يا أماه لأني أقول لك بالحق إني لم أمت قط لأن الله قد حفظني إلى قرب انقضاء العالم).

ويستمر حديث المسيح مع أمه وتلاميذه طويلاً ولكننا نقتطع أهم كلامه الذي يمس العقيدة المسيحية كما يراها برنابا.

يقول: (فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله).

ويقول: (الحق أقول لكم إني لم أمت بل يهوذا الخائن. احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ولكن كونوا شهودي في كل إسرائيل وفي العالم كله لكل الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها).

وأخيراً، يقول: (وبعد أن انطلق يسوع تفرقت التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائماً فإن فريقاً من الأشرار المدّعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولم يقم وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله. وأما نحن فإنما نبشر بما كتبتُ. الذين يخافون الله ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونة الله آمين). برنابا ٢٢٢.

وعلى ضوء ما أوردناه من النصوص الموجودة في الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنيسة وكذلك إنجيل برنابا نتوقف ملياً لنناقش المسائل المتعلقة بما قالته تلك الأناجيل عن قيامة المسيح بعد موت دام ثلاثة أيام وليلتين.

في البداية نرى أن الأناجيل اختلفت فيما بينها بالنسبة لدفن يسوع.

فرواية يوحنا تختلف عن روايات بقية الأناجيل في نقاط ثلاث:

١ - فحسب يوحنا، فإن الذي تولى دفن يسوع رجلان هما يوسف ونيقوديموس بينما بقية الأناجيل تقول إن يوسف وحده هو الذي دفنه.

٢ - يذكر يوحنا أن يوسف ونيقو ديموس وضعا في الأكفان طيباً ولا تذكر بقية الأناجيل ذلك.

٣ - لم يذكر يوحنا أن النساء شهدن عملية الدفن بينما ذكرت ذلك بقية الأناجيل.

أما بالنسبة لقيامة المسيح وظهوره فهناك اختلافات جذرية فيما روته الأناجيل.

فالذين زاروا القبر حسب إنجيل متى هما مريم المجدلية ومريم الأخرى، بينما مرقص يقول إن الذين زاروا القبر مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة، بينما لوقا يقول نساء وأناس، ويوحنا يقول مريم المجدلية.

واختلفت الأناجيل في من رأوه، فمتى يقول شاهدوا ملاكاً، ومرقص يقول شاهدوا شاباً، ولوقا يقول شاهدوا رجلين، ويوحنا يقول شاهدوا ملاكين.

والذي أخبر التلاميذ بظهور المسيح حسب متى مريم المجدلية ومريم الأخرى وحسب مرقص مريم المجدلية ثم التلميذان وحسب لوقا التلميذان وحسب يوحنا مريم.

وقد ظهر المسيح للتلاميذ حسب متى في الجليل وحسب مرقص في الجليل وحسب لوقا في القدس وحسب يوحنا في القدس والجليل. وقد ظهر مرة واحدة حسب متى ولوقا ومرقص وثلاث مرات حسب يوحنا.

إن ذلك يعني أن لا ثقة برواية من الروايات مما يؤكد أن كل العملية لا وجود لها على أرض الواقع.

ومثل هذا الاختلاف في قصة واحدة عن مقام واحد كذب لا شك فيه ولا يمكن أن يقع من معصومين. ثم في هذه القصة قول مرقص عن المسيح إنه بعد موته قبّح كفر تلاميذه وقسوة قلوبهم. فإذا شهد المسيح على تلاميذه بعد رفعه بالكفر وقسوة القلوب فكيف يجوز أخذ الدين عنهم. أم كيف يجوز أن يعطي الإله مفاتيح السموات ويولي منزلة التحريم والتحليل كافراً قاسي القلب. ثم في هذه القصة أن مريم والتلاميذ كلهم كانوا يلتزمون بعد المسيح صيانة السبت وتعظيمه وترك العمل فيه. ولذلك أُخّر عمل الحنوط إليه حتى دخل يوم الأحد فقد صح يقيناً أن هؤلاء ليسوا على دين المسيح ولا على ما مضى عليه تلاميذه بل على دين آخر.[1]

وفي صعوده إلى السماء غموض وتناقض، وقد ذكر ذلك الصعود لوقا

---

(١) ابن حزم الأندلسي: الفصل بين الملل والأهواء والنحل، المجلد ٢ صفحة ١٣١ - ١٣٢.

ومرقص دون سواهما وأقسما بأغلظ الأيمان أن ذلك كله جرى أمام كل التلاميذ الأحد عشر. بينما نرى ذلك حسب رواية لوقا ومرقص نرى أن القرآن الكريم ينفي أن يكون اليهود قد قتلوه أساساً فقد رفعه الله إلى السماء حياً يقول تعالى:

﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ١٥٨].

فمن ذلك كله لا نجد شاهداً واحداً من الرجال ولا من النساء سواء أكان موافقاً للمسيح أو منافياً له قد شاهد المسيح وهو في القبر، وشاهده يخرج منه وإنما يقول الذين يزعمون أنهم شاهدوه إنهم رأوه خارجاً من القبر وهو يشهد لأهل الإسلام أن الذي قُتل سواه وأما هو فقد ظل سليماً معافى مبرأً من الوقوع في أيدي أعدائه.(١)

بعد ذلك، لابد أن نتوقف عند بعض الآيات القرآنية لنستدرك ما قد يسبب بعض الإشكالات لبعض العقول.

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥ ﴾ [آل عمران/ ٥٥].

فما معنى قوله تعالى: إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا؟

ظاهر الآية يقول إن الله سبحانه أمات المسيح ثم رفعه إلى السماء فما رأي الإسلام في ذلك؟

ففي قوله متوفيك فيه أقوال كثيرة وقال البيضاوي إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصماً إياك من قتلهم أو قابضك من الأرض أو متوفيك نائماً إذ رُوي أنه رُفع نائماً أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج

---

(١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص٤٩٤.

إلى عالم الملكوت. وقد قيل أن في الكلام تقديماً وتأخيراً والأصل رافعك إلي ومتوفيك لأنه رفع إلى السماء ثم يتوفى بعد ذلك. وقيل رافعك إلي إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي.(١)

ومع كل ذلك يبرز سؤال، عندما رفع الله السيد المسيح إلى السماء هل مات أم بقي حياً؟ وإذا بقي حياً، فهل يمكن لإنسان أن يعيش ألفي سنة أو يعيش إلى يوم يعود مرة أخرى إلى الأرض؟

والجواب، أن من يأخذ بظاهر الآية (إني متوفيك ورافعك إلي)، تعني أن الله سبحانه قد توفّى المسيح وفاة عادية ليدحض زعم اليهود بأنهم قتلوه. والموت سنّة إلهية تجري على كافة البشر إن كانوا أنبياء أو غير أنبياء. فقد يكون المسيح قد مات ثم رفعه الله إليه جسداً وروحاً بواسطة ملائكته.

وقد يكون معنى متوفيك بالموت الأصغر وهو النوم ثم رفعه الله إليه وأُوقظ في السماء. وقد يكون قد أنامه الله حتى يعود كما يُروى قبل يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة/ ١٧].

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة/ ١١٧].

فقوله: فلما توفيتني يعني قبضتني بالرفع إلى السماء والتوفي أخذ الشيء وافياً أي كاملاً والموت نوع منه قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى

(١) محمد خير الدرة: إعراب القرآن وبيانه، مجلد ٢ صفحة ١٤٣.

لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ...﴾.

وفي القرآن الكريم شواهد على الموت الطويل دون بلاء الجسد، ومثل ذلك قصة أهل الكهف وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه. يقول تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾[الكهف/ ١٨]. ويقول تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف/ ٢٥]. ويقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف/ ١٩].

يقول تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٩].

إن كل ذلك يدخل في باب المعجزة الإلهية فهو الذي خلق وهو الذي يميت وهو الذي يحيي من جديد. ولن يُعجِزَ الله سبحانه رفعُ المسيح أو موتُه ثم إحياؤه وبعثُه من جديد.

الإيمان بعودة المسيح إلى الأرض

من أساسيات الفكر المسيحي الإيمان بعودة المسيح قبل انقضاء الحياة والقيامة وقد استند هذا الفكر على بعض الأقوال التي جاءت بها الأناجيل وعلى بعض نبوءات بعض أنبياء التوراة وخاصة إشعياء.

وقد استند اليهود أيضاً على تلك النبوءات وقالوا بعودة المسيح. حتى أن بعض فرقهم الدينية ما تزال إلى اليوم تنتظر عودة المسيح الذي تصوروه وهي حسب صفاتهم وأوصافهم له يختلف عن المسيح ابن مريم اختلافاً جذرياً.

أما المسيحيون فإنهم يربطون عودة المسيح إلى الأرض بمسألة الألوهية ارتباطاً وثيقاً. إلا أن إنجيل برنابا فإنه يؤكد قول المسيح بأنه باق حياً حتى قبيل انقضاء العالم جاء في برنابا: (ووبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات قائلاً: أتحسبونني أنا والله كاذبين لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم كما قد قلت لكم). الفصل ٢٢١.

وحسب ما قاله الرسل بعد المسيح هو ذاك الذي سيأتي وعند مجيئه سيضع نهاية للتاريخ رؤيا ٢٢ : ٢ ولعل أكثر ما يتضح عن عودة المسيح ما نجده في رسالتين إلى أهل سالونيكي. فيأتي في الرسالة الأولى: (لأن الرب نفسه عند الصيحة وصوت رئيس الملائكة والنفخ في بوق الله سينزل من السماء فيقوم أولاً الذين ماتوا في المسيح ثم نرفع معهم في الغمام، ونحن الأحياء الباقين لملاقاة المسيح في الجو فنكون مع الرب دائماً وأبداً). سالونيكي ٤ : ١٦ - ١٧.

ومع وجود فقرات كثيرة تشير إلى بقاء المسيح إلى ما قبل انقضاء الحياة

وعودته إلى الأرض إلا أن فكرة هـذه العـودة لـم يعدلهـا دور تقريباً فـي الوجدان المسيحي خاصة الكاثوليكي والأرثوذكسي فهـو ينظر إليهـا علـى أنـه حـدث بعيـد حتى ليهمل كل اهتمام به .[1]

ومن الجمل التي وردت في الأناجيل حول هذه المسألة ما جـاء فـي إنجيـل متى : (وإذا جاء ابن الإنسان في مجده تواكبه جميع الملائكة يجلـس علـى عـرش مجده ، وتحشر لديه الأمم فيفصل بعضهم عن بعـض كمـا يفصـل الراعـي النعـاج عن الجداء) . متى ٢٥ : ٣١ـ٣٣ .

وجاء في إنجيل مرقص : (وفي تلك الأيام بعد هذه الشدة تظلـم الشـمس ، والقمر لا يرسل ضوءه وتتساقط النجوم من السـماء وتـتزعزع القـوات فـي السـماء وحينئذ يرى الناس ابن الإنسان آتياً في الغمام في تمـام العـزة والجـلال) . مرقـص ١٣ : ٢٤ـ٢٧ .

أما لوقـا فيقـول : (فستظهر علامـات فـي الشـمس والقمـر والنجـوم وينـال الأمم كرب في الأرض وقلق من عجيج البحر وجيشانه . وتزهق نفوس الناس من الخوف ومن توقع ما ينزل بالعالم لأن أجرام السـماء تـتزعزع وحينئـذ يـرى النـاس ابن الإنسان آتياً في الغمام في تمام العزة والجلال) لوقا ٢١ : ٢٥ـ٢٧ .

والملاحظ في هذه النصوص أن كتبة الأناجيل خلطوا بيـن أمريـن فـي غايـة الخطورة الأول هو استنادهم كلياً على ما جاء في التوراة وخاصـة إشـعياء وبعـض المزامير . الثاني افتراض أن المسيح هو الله وأنه سيأتي يـوم القيامـة مـع الملائكـة من السماء إلى الأرض .

والواضـح أن أوصـاف مـا يحـل فـي الكـون هـي أوصـاف يـوم القيامـة كمـا

---

(١) رومانو كوارديني : قيامة المسيح ، ترجمة الأب جرجس المارديني ص ٢٣ .

رأيناها في بعض أسفار التوراة، وليس يوم يأتي المسيح إلى الأرض بعيداً عن يوم القيامة.

وقد تطور مفهوم عودة المسيح عند بعض المذاهب المسيحية المستحدثة كالمذهب البروتستانتي حتى بلغت تفسيراتهم حداً يتجاوز الأسطورة.

فمارتن لوثر نشر كتاباً عام ١٥٢٣ باسم (عيسى وُلد يهودياً) قال فيه إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. وقد تسربت الأدبيات اليهودية إلى صميم العقيدة المسيحية ومنها ربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح بقيام دولة صهيون أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم. فترى البروتستانتية إن عودة اليهود إلى أرض فلسطين تحقق وعد الله وأن هذه العودة ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام (الألفية).

وقد برزت دعوة الحركة الإصلاحية البروتستانتية في بريطانيا أول ما ظهرت مع تقديم مذكرة من قبل اللاهوتيين (جوانا وألينزر كارترايت) إلى الحكومة البريطانية يدعوان فيها إلى مساعدة اليهود للرحيل إلى فلسطين لإقامة دولة على أرضها. وتعتبر المذكرة أول تعبير عن التحول من الإيمان بأن عودة المسيح تحتم أن تسبقها عودة اليهود إلى فلسطين وأن العودتين لن تتحققا إلا بتدخل إلهي إلى الإيمان بأن العودتين عودة اليهود وعودة المسيح يمكن أن تتحققا بعمل البشر.

ويرى زعماء المسيحية البروتستانتية أن قيام الكيان الصهيوني وإعادة بناء الهيكل وبناء ما يسمى بإسرائيل الكبرى شرط لعودة المسيح ليحكم الأرض ألف سنة في جنة أرضية تنعم بالسلام المطلق ويقول في ذلك فولويل زعيم منظمة الأكثرية الأخلاقية الأمريكية وأحد أقطاب حتمية الدمار النووي هر مجدون (أنت

وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يوم يجلس الإله المسيح على عرش داود في القدس. إن هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءاً منه).

ويرى الفكر المسيحي الأرثوذكسي أن علامات عدة سوف تظهر قبل عودة المسيح وهذه العلامات يذكرونها في كتبهم وتعاليمهم.

ومنها على حسب قولهم ترك الديانة المسيحية وإتباع ديانة أخرى بسبب الاضطهادات والإغراءات وغيرها أو اتباع مذاهب فكرية أو فلسفات مضلة تبعد تابعيها عن تعلقهم بالرب بل تقطع الصلة بينهم وبين المسيح. والارتداد عن المسيحية يكون أيضاً بترك الحياة الروحية مع الله كلية بحيث لا يحمل المسيحي من المسيحية إلا اسمها فقط. وهناك علامات تظهر في الشمس والكواكب وعلى الأرض.

ويرون أن العلامة الأخيرة التي تسبق مجيء المسيح هي في السماء ومن السماء ويسمونها علامة الصليب المحيي الذي من قبله انهبط الجحيم. هذا هو صليب الرب، المجد يظهر بنور عجيب في السماء ويعلن انكسار الظلمة وقواتها أمام نوره العجيب. ويعتقدون أن علامة الصليب ستظهر في السماء ويراها الناس.

وإذا تصفحنا آيات القرآن الكريم فإننا لا نجد أي منها يشير إلى ما يسمى عودة المسيح إلى الأرض. على الرغم من أن عدة تفسيرات وقفت عند قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم/ ٣٣]. وقالوا طالما أن المسيح رفع حياً إلى السماء فإنه لم يمت وهذا يعني أنه سيعود إلى الأرض ثم يموت فيها ثم يبعث حياً كباقي البشر.

وهناك رأي ليس عليه إجماع بين المسلمين يقول بعودة عيسى عليه السلام

في آخر الزمان (حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون) البخاري ومسلم وأبو داود الترمذي.

وقد حاول علماء المسلمين التوفيق بين ختم النبوة ونزول المسيح فقالوا إن كون محمد ﷺ آخر الأنبياء يعني أنه لا يأتي بعده نبي جديد. وعيسى عليه السلام كان نبياً قبل محمد ﷺ وقالوا: إن عيسى عليه السلام حين يعود لا يأتي بوحي جديد ولا بشريعة جديدة بل يحكم بشريعة محمد ﷺ وبذلك البيان لا يكون هناك تناقض بين عودة المسيح عليه السلام وختم النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد وردت بعض الأحاديث النبوية التي تشير إلى عودة المسيح عليه السلام. ومنها حديث أخرجه أبو داود بقوله (ليس بيني وبينه ـ يعني عيسى عليه السلام ـ نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه السلمون).

ويلاحظ أيضاً على أحاديث نزول المسيح عليه السلام تلتقي كثيراً مع روايات بعض الأناجيل ففي صحيح مسلم نجد أن المسيح عليه السلام ينزل واضعاً كفيه على أجنحة ملكين.

وفي إنجيل متى ٢٥ : ٣١ نقرأ (ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع

الملائكة القديسين معه).

وفي سنن ابن ماجه نجد أن المسيح يحقق العدل في الأرض حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً وفي سفر إشعياء ٤٢ : ١ ــ ٤ نقرأ حول المسيح المنتظر: (هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. . إلى الأمان يخرج الحق ولا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته).

ونقرأ في سنن ابن ماجه وغيره أن الحرب تضع أوزارها بين الناس في عهد المسيح بعد نزوله ويعم الأرض السلام ليس بين البشر فحسب بل في عالم الحيوان أيضاً: (وترفع الشحناء والبغضاء وتنزع حمّة ـ سمّ ـ كل ذي حمة حتى يُدخل الوليد يده في الحية فلا تضره وتغرّ الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإنسان من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها).

وفي سفر إشعياء ٢ : ٤ نقرأ حول المسيح المنتظر (فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولاً يتعلمون الحرب فيما بعد).

كما نقرأ في سفر إشعياء ١١ : ١ ـ ٨ حول المسيح المنتظر (ويخرج قضيب من جذع يسّن وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب وروح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض. ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقوية فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمّن معاً

وصبي صغير يسوقهما والبقرة والدبة ترعيان تربض أولادهما معاً والأسد كالبقر يأكل تبناً ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على حجر الافعوان).

ونقرأ في مسلم (إن المسيح عليه السلام يقتل الكفار بريح نفسه فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات).

وفي سفر إشعياء ١١ : ٤ (ويميت المنافق بنفخة شفتيه).

وقد رأى كل من الشيخ محمد عبده ورشيد رضا والإمام محمد أبو زهرة والأستاذ عبد الكريم الخطيب. أن الأحاديث التي ذكرت نزول المسيح هي آحاد متعلق بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب وقالوا إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها ويرى الشيخ رشيد رضا أن عقيدة نزول المسيح قد تسربت إلى الحديث عن طريق النصارى والإمام أبو زهرة يقول إن أحاديث نزول المسيح بالإضافة إلى أنها أحاديث آحاد لم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى.

وأعتقد أن هناك رأيا آخر قد نتوصل إليه من خلال دراستنا لتغيرات طرأت على كتابة الأناجيل وحتى العهد القديم وهذا الرأي يقول قد يكون الذين طوروا في كتابة الأناجيل والعهد القديم اطّلعوا على أحاديث رسول الله ﷺ ونقلوها إلى كتبهم ونسبوها لهم.

وهذا الاتجاه الأخير يستند في رأيه على دراسة معمقة لطبيعة اللغة في الإنجيل والتوراة ومقارنة كافة النسخ والترجمات التي صدرت منذ زمن بعيد وحتى الآن بما دُرس من تفسيرات لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وبالمحصلة فإن عودة المسيح عليه السلام تشكل أمراً محسوماً لدى

الكثيرين من المسلمين كما هي مسألة يقين عند المسيحيين وكذلك عند اليهود على الرغم من الاختلاف الكبير بين المسيحية واليهودية والإسلام في طبيعة المسيح وهويته.

لكن الأخطر في كافة هذه الاتجاهات ما طرحته الصهيونية الإنجيلية البروتستانتية من تفسيرات لنصوص ما يسمى الكتاب المقدس. حيث ترى البروتستانتية أن المسيح سيعود ليقود المؤمنين في حرب مدمرة ضد الكفار (المسلمين) ويحكم العالم ألف سنة يطلقون عليها الألفية السعيدة. وهذا الاتجاه قوي في أوساط أمريكا تحديداً حيث يضم بين أفراده كثيراً من الزعماء والسياسيين المتنفذين في السياسة الأمريكية.

الفصل الرابع

ماذا بعد المسيح الكنائس الأولى



بعد رفع المسيح عليه السلام بدأت العقيدة النصرانية تنتشر في بعض الأوساط على الرغم من العداء الدموي الذي واجهه أتباعها من قبل الرومان واليهود.

وقد برزت عدة شخصيات قادت الدعوة إلى النصرانية وبدا أن الاتجاه العام في مسيرة هذه العقيدة إيجاد ما يسمى بالكنيسة، وتطوير الرؤية المسيحية في جميع جوانبها العقيدية والتاريخية وحتى المذهبية. ويبرز لنا في هذا المسار وجود المجامع المسيحية التي كان لها الدور الأهم في تطوير العقيدة المسيحية.

تفرق الحواريون في البلاد بعد رفع المسيح يدعون الأمم إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله ومسيحه. فدخل كثير من الناس في دينه ما بين ظاهر مشهور ومختف مستور وأعداء اليهود في غاية الشدة والأذى لأصحابه وأتباعه. ولقي تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك. وكان اليهود في زمن المسيح في ذمة الروم وكانوا ملوكاً عليهم. وحسب المصادر المسيحية فأول كل شيء اختير للرسولية عوضاً عن يهوذا الخائن الذي كان أحد السبعين من أجل خدمة الشعب عين للشموسية بالصلاة ووضع أيدي الرسل رجال مشهود لهم عددهم سبعة كان استيفانوس أحدهم وهو أول من رجم حتى الموت[1].

وبعد ذلك دوّن عن يعقوب الذي لقبه الأقدمون بالبار أنه صار أسقفاً لكنيسة القدس ويعقوب هذا كان يدعى أخا المسيح لأن المعروف عنه أنه كان ابناً ليوسف.

وبعض المصادر تقول إن بطرس ويعقوب ويوحنا لم يسعوا وراء الكرامة

---

(١) يوسا بيوس القيصري. تاريخ الكنيسة. ترجمة القمص مرقص داود ص ٥٢.

بل اختاروا يعقوب البار أسقفاً لأورشليم [1] . وتروي نفس المصادر أن المسيح وهب معرفة ليعقوب البار وليوحنا وبطرس . وهؤلاء أعطوها لباقي الرسل . وباقي الرسل أعطوها للسبعين الذي كان برنابا أحدهم . وقد كان هناك اثنان باسم يعقوب أحدهما يدعى البار وهو الذي طرح من فوق جناح الهيكل ويقول أحد المصادر أنه رجم حتى الموت . والآخر قطع رأسه .

وأرسل التلميذ توما أحد الرسل ويدعى تداوس إلى أوديسا وبدأ ينشر الدعوة هناك وما تقوله المصادر المسيحية الأولى إن اليهود أثاروا أول وأعظم اضطهاد على كنيسة أورشليم وذلك على إثر استشهاد استفانوس وعندما تشتت التلاميذ عدا الاثني عشر في كل اليهودية والسامرة ذهب بعضهم حتى فينيقية وقبرص وأنطاكية ولكنهم في ذلك الوقت لم يجسروا على تقديم كلمة الإيمان إلى الأمم ولذلك كرزوا بها لليهود فقط .

وفي ذلك الوقت كان بولس لا يزال يضطهد الكنيسة وإذ كان يدخل بيوت المؤمنين فإنه كان يجر الرجال والنساء ويودعهم في السجن [2] .

وفي اتجاه آخر كان فيلبُس وهو أحد الذين رسموا شمامسة مع استيفانوس كان ضمن الذين تشتتوا ونزل السامرة وراح يدعو هناك حتى أنه استطاع حسب قول المصادر المسيحية أن يجذب إلى دعوته المدعو سيمون الساحر .

وبدأت تنتشر الكنائس في كثير من المدن والقرى وامتلأت بجماهير الشعب كبيدر ملئ بالحنطة والذين كبلت عقولهم بقيود خرافات مرض الوثنية القديم نتيجة الأخطاء التي تحددت إليهم من آبائهم وأجدادهم تحرروا بقوة المسيح العاملة في تعليم تلاميذه وأعمالهم العجيبة كأنهم قد تحرروا من أسياد

---

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) تاريخ الكنيسة ص ٥٣ .

قساة وأطلق سراحهم من أقسى أنواع العبودية واستقبحوا كل أنواع العبادة الوثنية الشيطانية القائلة بتعدد الآلهة وجحدوها واعترفوا بأنه يوجد إله واحد فقط خالق كل الأشياء[1] .

وقد آمن على يد بطرس جمهور من يونانيين في أنطاكية بشرهم بالإنجيل أولئك الذين تشتتوا بسبب اضطهاد استيفانوس ولما بدأت كنيسة أنطاكية تزداد وتتكاثر وقدم إليها أنبياء كثيرون من القدس من بينهم برنابا وبولس وأخوة كثيرون فإن اسم المسيحيين بزغ هناك أولاً[2] .

ويقولون إن مرقص تابع بطرس كان أول من أرسل لمصر ليدعو إلى المسيحية .

وفي زمن حكم نيرون قطع رأس بولس في روما وصُلب بطرس أيضاً وقُتل . وبعد مقتلهما كان المدعو لينس أول من نال لقب أسقفية كنيسة روما وتولى بعده المدعو انكيش ثم جاء أسقف ثالث يدعى أكليمونضس . وفي الإسكندرية تولى الأسقفية بعد انيانوس المدعو أبيليوس . ووليها بعده المدعو كردونوس . أما في أنطاكية فقد تولى أغناطيوس أسقفيتها بعد المدعو يفوديوس .

وظلت الكنائس تنتشر في القرى والبلدان . وكلما مات أو قتل أسقف جاء بعده آخر إلى أن عمت المسيحية سواحل المتوسط الشمالية والغربية حيث انتقلت الدعوة من روما إلى فرنسا وامتدت من أنطاكية إلى كثير من البقاع في أوروبا الشرقية والشعوب السلافية وغيرها .

وقد جاء في كتاب هداية الحيارى لابن القيم :

---

(١) تاريخ الكنيسة ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

وفي زمن أحد الملوك كتب مرقص إنجيله بالعبرانية وفي زمانه سار إلى الإسكندرية فدعا إلى الإيمان بالمسيح. وهو أول شخص جعل بتركاً على الإسكندرية وصير معه اثني عشر قسيساً على عدة نقباء بني إسرائيل في زمن موسى. وأمرهم إذا مات البترك أن يختاروا من الاثني عشر واحداً يجعلونه مكانه ويضع الاثني عشر أيديهم على رأسه ويباركونه ثم يختارون رجلاً فاضلاً قسيساً يصيرونه تمام العدة ولم يزل أمر القوم كذلك إلى زمن قسطنطين. ثم انقطع هذا الرسم واصطلحوا على أن ينصبوا البترك من أي بلد كان من أولئك القسيسين أو من غيرهم ثم سموه (بابا) ومعناه أبو الآباء. وخرج مرقص إلى برقة يدعو الناس إلى دين المسيح. ثم ملك آخر فأهاج على أتباع المسيح الشر والبلاء وأخذهم بأنواع العذاب وفي عصره كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقص عنه بالرومية ونسبه إلى مرقص. وفي عصره كتب لوقا إنجيله بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم. وفي زمنه صلب بطرس. وزعموا أن بطرس قال له إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكساً لئلا أكون مثل سيدي المسيح فإنه صلب قائماً وضرب عنق بولس بالسيف وأقام بعد صعود المسيح اثنتين وعشرين سنة وأقام مرقص في الإسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح ثم قتل بالإسكندرية وأحرق جسده بالنار ثم استمرت القياصرة ملوك الروم على هذه السيرة إلى أن ملك مصر قيصر يسمى طيطس فخرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها بجوع عظيم[١].

وفي زمن القيصر دقيانوس جعل بولس الشمشاطي بتركاً في أنطاكية وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكان النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب لا يختلف فيه اثنان منهم فقال

---

(١) ابن القيم الجوزية. هداية الحيارى ص ٢٢٩.

بولس هذا ـ وهو أول من أفسد دين النصارى ـ أن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله وقال إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد[1] .

وقد رأينا أن تشابهاً واضحاً بين ما قالته المصادر المسيحية وما قاله ابن القيم من الناحية التاريخية . وهذا مجمع عليه في كافة المصادر التاريخية .

إلا أننا وبعد الحديث المختصر عن المسيحية الأولى بعد المسيح عليه السلام نتوقف لندرس أهم الشخصيات الكهنوتية وتطويرها للعقيدة المسيحية كما نتوقف عند ما يسمى المجامع لتكتمل لدينا صورة العقيدة المسيحية عبر مسارها التاريخي المرتبط بالمسار العقيدي .

من المؤكد أن أهم الشخصيات التي تذكرها المصادر المسيحية والتي أثرت في تطور العقيدة المسيحية قد ارتبطت بوجود الكنيسة أولاً وبالمجامع اللاهوتية ثانياً . ويعتبر كتبة الأناجيل من أهم تلك الشخصيات وقد أوجزنا الحديث عنهم عندما تناولنا تلاميذ المسيح وحوارييه . ويأتي بولس كشخصية مهمة مؤثرة في العقيدة المسيحية في مرتبة هؤلاء الرسل على الرغم من أنه لم يشاهد المسيح شخصياً .

في القرنين الأول والثاني ظهر بولس وظهرت الغنوصية وأغناطيوس الأنطاكي وإكليمندس الروماني والمدعو بوليكاربوس وإيريناوس ويوستينوس وتايتانوس واثيناغورس وثيوفيلوس وملتون الساردسي .

أما القرن الثالث فقد ظهرت الغنوصية والماركيونية على ماركيون ثم

---

(١) ابن القيم الجوزية . هداية الحيارى ص ٢٣٠ .

البنيون واكلمندس الإسكندري وترتليانوس وكبريانوس وأوريجانوس ثم هيبليتوس ونةفايتانوس وديوينسيوس الإسكندري ثم لوقيانوس الذي كان له أكبر دور في تأسيس مدرسة أنطاكية اللاهوتية ثم أريوس ومجمع نيقية والقديس اثناسيوس ومجمع صور ومجمع سارديكا ومجمع القسطنطينية ثم الأسقف أبولو ناريوس واثناسيوس[1].

فجميع ما وردت أسماؤهم إما أن يكونوا من أصل روماني أو ممن كانوا على دين اليهودية أو الوثنية الرومانية.

وقبل أن ندرس أثر كل واحد منهم في تطوير المسيحية لابد أن نشير أنه لم يعثر على واحد منهم من أصل مشرقي أو عربي وهذا ما يقودنا إلى القول إن العقيدة المسيحية توجهت من فلسطين إلى الغرب والعالم الغربي بشكل عام. وإذا استثنينا الإسكندرية وأنطاكية فإننا قلما نعثر على أي نشاط مسيحي في مدن شرقية أخرى.

---

(١) القس الدكتور حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ص ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤.

بولس وتعاليم المسيحية

من المؤكد والمعروف أن بولس من أهم الرسل المعتمدين لدى العقيدة النصرانية بل قد يكون عند بعض المسيحيين مساوياً أو أرقى درجة من كتبة الأناجيل.

وقد أثارت تعاليم بولس الكثيرين من الدارسين والباحثين سيما أنه جاء بتعاليم خاصة به لم يقل المسيح عليه السلام بها. فهل حقاً يعتبر بولس رسولاً مسيحياً أم أنه أراد تخريب العقيدة المسيحية كما يقول بعض الدارسين؟؟.

كان اسم بولص شاؤل وهو يهودي من أسرة يهودية كهنوتية متدينة عاشت في طرسوس ويعترف بولس أنه لم يشهد المسيح بالجسد. وكان بولس يهودياً متعصباً ولم يرض قول بعض النصارى الأوائل بأن المسيح إله واعتبر ذلك تجديفاً وهوساً وكفراً. وكان قد تأثر إلى حد كبير بآراء علماء الشريعة اليهودية وشيوخ الناموس. وقد شارك بولس المتظاهرين اليهود الذين طالبوا بإعدام استيفانوس اليهودي الذي تنصر ودافع عن النصرانية فرجم وكان بولس من أخذ ثيابه وسلمها إلى الراجمين.

وتزعّم بولس شرذمة من حماة الهيكل المتعصبين وغدا يجوب الطرقات والمخابئ وينتهك حرمات الدور والمنازل وينتزع النساء من الخدور والأطفال من أحضان الأمهات ويسطو على الكنيسة يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن.

امتدح رؤساء الكهنة وأعضاء المجلس اليهودي غيرة شاؤل في حملته

العنيفة فخلعوا عليه وظيفة في مجلسهم الأعلى وصار له صوت مسموع في مداولاتهم عند محاكمة الحواريين من رسل المسيح. وذهب إلى رئيس الكهنة ليزوده رسائل إلى زعماء يهود دمشق ليتعقب هناك الرجال والنساء ويسوقهم إلى القدس.

وتتفق المصادر المسيحية على قصة انقلاب بولس من اليهودية إلى المسيحية فتقول على لسانه: (فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم. فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قال لي شاول شاول لماذا تضطهدني فأجبت من أنت يا سيد فقال لي أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني فقلت ماذا أفعل يا رب. فقال لي قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل).

وقد حاول الاتصال برسل المسيح فلم يلق منهم ترحاباً لأنهم ارتابوا في أمره...

ولم تقوَ الشائعات التي ترامت إلى التلاميذ عن أزمة طريق دمشق والتجائه إلى البيداء العربية وتجديد حياته على أن تبدل موقف الرسل حياله. وتبدد الظنون التي حامت حول مسلكه إلى أن قيّض الله له صديقاً قديماً اسمه برنابا أي رجل التعزية وهو يهودي قبرصي المولد ممن اهتدوا إلى الدين الجديد [١].

وتورد المصادر المسيحية أنه رافق برنابا في رحلة إلى أنطاكية ليدعوا إلى العقيدة المسيحية حيث اعتنقها الكثيرون من هذه المدينة.

وحوالي سنة ٤٤م كان أتباع يسوع يدعون بالناصريين ـ أو النصارى ـ

---

(١) حبيب سعيد. سيرة بولس الرسول ص ٣٨.

وكلمة يسوع عبرانيـة الأصـل معناهـا المنقـذ . وقـد اضطـر الأتبـاع والأنصـار إلـى تبديل اللقـب اليهـودي الـذي كـان مقتصـراً علـى اليهـود المتنصريـن فـي فلسـطين وخلعوا على أنفسهم أو ربما خلع عليهم الأهلون لقبـاً جديـداً فصـاروا مسـيحيين نسبة إلى المسيح ودعي التلاميذ مسيحيين فـي أنطاكيـة أولاً . وكـان بولـس آنـذاك في أنطاكية وشهد بدء هذه التسمية على أتباع المسيح عليه السلام .

وتقول المصادر المسيحية إنه كانت أرملة لها ابن يدعى مرقـص فـي الثامنـة عشرة أو العشرين من عمره ومن تلاميذ يسوع . وقد استمع مرقـص إلـى أحـاديث برنابا وبولس إبان إقامتهما عنده ولما أزمع الرسـولان الرحيـل إلـى أنطاكية تطـوع الشاب للذهاب معهمـا أو ربمـا يكونـان قـد دعيـاه لمـا توسـم فيه شـاول مـن نفـع للخدمة كما قال عنه فيما بعد .

وقد اعتزم رحلته الأولى مع برنابـا ومرقـص وبـدأت كنيسـة أنطاكيـة تزدهـر وتتسع ورحلوا ثلاثتهم أولاً إلى قبرص مسقط رأس برنابـا الـذي لـه فيهـا أصدقـاء وذوو قرابة . ثم يسـافرون إلـى بـاخوس ومنـذ ذلـك تبـدأ دعـوة بولـس فـي المـدن الرومانيـة مثـل أفسـس وكونثـوس وقيصريـة ورومـا . وقـد أفـرز حياتـه للعـالم الروماني . . وقد عاد مرقص إلى القـدس بعـد أن تـرك بولـس وبرنابـا وذلـك عنـد مدينة برجة الرومانية .

وقد تنقل بولس من مدينة إلى مدينة فـي بـلاد اليونـان وكـانت وجهتـه دومـاً المناطق التـي يسـكنها اليهـود . مـن هـذه المـدن مثـلاً سـالونيك وكـان بهـا مجمـع يهودي . وهي من أكثر المدن سكاناً في اليونان . والتقى بـاليهود هنـاك (وحدثهـم عن المنقذ الذي تـألم وقـام مـن بيـن الأمـوات يسـوع المسـيح وكثيرون منهـم لـم يفهموا هذه الفكرة وترقبـوا المنقـذ ملكـاً أرضيـاً عظيمـاً يجـيء فـي موكـب النصـر

والفخار لا إنساناً فقيراً يذيقه وال روماني ميتة العار[1]). ويتابع بولس رحلاته حتى مر بأفسس ثم وصل روماً وراح يدعو للمسيحية حتى ألقي القبض عليه ودفع حياته ثمناً لأفكاره التي لم ترق للرومان.

إن ما يهمنا من شخصية بولس وأفكاره المستجدات التي استحدثها ولم تكن في الأساس في العقيدة النصرانية.

فهو من بين الرسل أول من دون رسائله وعلى ما يظن أن أولى رسائله كتبت في حوالي سنة ٥٢م (رسالة كورنثوس) وآخر رسالة كتبت في حوالي ٦٦ أو ٦٧م.

وترى المصادر المسيحية إن رسائل بولس تحوي ما يسمى قوانين الإيمان وهي عبارة عن جمل وعبارات يُظن أن بولس حاول بها أن يلخص الإيمان المسيحي. وقد اعتمدت عباراته لدى الكنيسة المسيحية خاصة عند دخول أحد الأشخاص العقيدة المسيحية وتعميده. واستعملت الكنيسة الأولى هذه العبارات كقوانين للإيمان وكان على كل طالب للعماد والانضمام إلى الكنيسة أن يردد هذه الآيات كاعتراف منه بأن يسوع الناصري هو المسيح الرب[2]. ونرى من خلال ذلك أن بولس ابتدع هذه العبارات والجمل بنفسه ولم تكن من أقوال المسيح أو من أقوال من عايشوه.

وفي رسائله أيضاً تعاليم أخرى مختصة بالمسيح فهو يعتقد بأن المسيح هو صورة الله غير المنظور ويرى ما أكبر الفرق بين المسيح صورة الله النقية الطاهرة الذي أطاع الآب حتى الموت موت الصليب والعار وآدم الذي خُلق على صورة

---

(١) حبيب أسعد. سيرة بولس الرسول ص ١٠٣.

(٢) د. حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ص ٣٨٥.

الله فشوه هذه الصورة بعصيانه وابتعاده [1] .

ويرى في المسيح أنه سابق الوجود وقد شدد بولس على أن المسيح أزلي الوجود فإن ظهور يسوع الناصري في فلسطين لم يكن هو بداية وجود المسيح بل هو موجود قبل كل موجود .

ويرى فيه السيد وعلى ما يظن فإن بولس عندما أعطى لقب سيد KYRIOS للمسيح كانت صورة الإمبراطور الروماني السيد على الإمبراطورية المترامية الأطراف حاضرة في ذهنه . فلقد عبد الرومان أباطرتهم كآلهة وأعطوا لهم لقب سيد والرسول بولس يستخدم هذا الاصطلاح - سيد للمسيح - .

ويعطي بولس المسيح لقب ابن الله وبنوته المسيح لله تختلف الاختلاف كله . فإن المسيح ابن الله بالطبيعة فهو شريك له في الطبيعة والجوهر [2] . وقد سماه آدم الأخير والإنسان الثاني والمخلص الفادي وبهاء مجد الله وجوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته .

ومن الأمور الهامة التي ترتبط بأفكار بولس ما طرحه في المؤتمر الأول للمسيحيين الذين كانوا يهوداً ووثنيين . ففي أنطاكية نشأت جماعات من الوثنيين لم تراعِ فريضة الختان . فنشأت بينهم وبين الذين تنصروا من أصل يهودي خلاف شديد وقد قام اليهود يعارضون الخطة التي انتهجها رسل الأمم ويبلبلون أفكار المسيحيين الذين اهتدوا على يد بولس في كنائس ولاية غلاطية الرومانية طالبين أن يتهود الوثنيون أولاً قبل تنصرهم فكان موقف بولس يتمثل بنضاله في سبيل الحرية المسيحية طالباً أن يترك للوثنيين حرية التصرف في المأكل والمشرب مع عدم إعثار اليهود في ذلك على أن يكف اليهود عن مطالبة متنصري الوثنية

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٣٣٧ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٣٣٨ .

بالخضوع لناموسهم وخاصة في موضوع الختان.

ولما احتدم الخلاف كُلف بولس وبرنابا بالذهاب إلى القدس للقاء أكابر المسيحية. وفي القدس عقد مجلس الرسل والشيوخ. وقد أصر متنصرو أنطاكية على أن يختتن الوثنيون الداخلون حديثاً ومعنى ذلك أن عليهم التهوّد أولاً ثم التنصر. وحسم الأمر رئيس المجلس المدعو يعقوب وكان يهودياً من المحافظين وأحد التلاميذ الاثني عشر حسب ما تقوله المصادر المسيحية فقال إن الله يطلب من اليهود والأمم على السواء ليكون الجميع له شعباً وليس حسناً بنا أن نقيم العثرات في طريق الأمم الذين يرجعون إلى الله فلا نصر على تهويدهم أو ختانهم قبل أن يصيروا أتباعاً وتلاميذ. إنما نكتب لهم فقط أن يمتنعوا عن أكل ما قدم للأصنام وأن يعيشوا حياة طاهرة في غير فساد وألا يأكلوا من الحيوانات المخنوقة والدم[1]. ولا يرى بولس وبرنابا غضاضة في قبول هذا الرأي ولو أن رائحة اليهودية الضيقة تفوح منه بعض الشيء. وليس لهذا الجدل قيمة لنا نحن أبناء هذا العصر وإن كنا نقف من أولئك اليهود المسيحيين موقف الدهشة والغرابة أن نراهم يتشددون مع الأمم إلى هذا الحد ويفرضون عليهم التهود أولاً والخضوع لشريعة موسى[2].

وإذا تمعنا إلى حياة بولس منذ بداية دعوته نجد أنه قد انطلق إلى الأمم وجرّ وراءه تلاميذ يسوع يقاومونه في كل مكان. وكان كثيراً ما يهرب منهم أو من الأسس التي يبشرون بها وبولس نفسه يعترف بالهرب كما يعترف باختلاف الأسس التي يبشرون بها. وهذا الاختلاف ذو معنى كبير عندما قال: ولكن كنت محترضاً أن أبشر هكذا ليس حيث سمي المسيح لئلا أبني على أساس آخر.

---

(١) حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. ص ٧٦.

(٢) حبيب سعيد. حياة بولس الرسول ص ٧٧.

وقد ورد في روميه ١ : ١٣ أن أعداء بولس من المبشرين كانوا يمنعونه من التبشير ويؤلبون الناس عليه حتى ارتد عنه جميع أهالي آسيا كما ورد في تيموثاوس ٢ ـ ١ : ١٥ . وكثيراً ما كان يجلس مع أحزانه يئن تحت الجراح ليشكو آلامه وهمومه إلى أصحابه ولكن ها هو يقول : في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني .

وأصبح الرعب رفيقه الدائم من الأصدقاء والأعداء على حد سواء . وعندما تسلل اليأس إلى قلبه راح يلعن الجميع ويشتمهم أما أعداؤه فهم غاشون كلمة الله ورسل كذبة فعلة ماكرون مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح . يخدعون الناس بالكلام الملق ذوي حسد وخصام ومراؤون فاسدون في الذهن والإيمان فجار . إنهم كالحيوانات غير الناطقة وتابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين وبعدها طالب بإبعادهم عن طريقه أو هلاك أجسادهم وتسليمهم للشيطان أو الموت[1] .

وكل هذه الاتهامات التي كالها بولس موجودة في الرسائل الملحقة بالأناجيل .

وقد هاجم بولس أصحابه الذين ارتدوا عنه فهم حسب ما قال أغبياء وأغبياء بالجملة والذين لم يرتدوا عنه عاملهم كأغبياء فحظر عليهم مخالفة أي مبشر يقول بغير أسسه فقد كان يخشى حجة خصومه التي قد تكون دامغة . وعندما كثر المرتدون راح يعزي نفسه بالبشائر .

وقد تميز منهج بولس بالغيبية ودافع عنه مما سبب تململ مريديه منه . ويعترف بإنجيله الخاص الذي ذكره في أماكن متفرقة من رسائله قائلاً ـ حسب إنجيلي وإنجيلنا كما سماه بإنجيل مجد الله المبارك .

---

(١) عمر لطفي النجار . العقل والإلحاد . ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

وباعتبار أن بولس لم يتلق تعاليمه من السيد المسيح فقد اعتمد في كتابته على أحلام ورؤى رآها في منامه أو صحوته حيث يشطح العقل أحياناً. فهو يقول: الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح. فالمسيح الميت أملاه عليه وتلك هي مزاعم الوسطاء من الروحيين وما ذلك إلا رغبة في التحرر من المعايير وبولس إن تم تصديق مزاعمه فقد أصبح إنساناً فوق النقد وأصحاب المسيح وآراؤهم ليسوا بحجة عليه وكيف يكونوا حجة إذا أخذوا علمهم ميتاً عن ميت بينما هو آخذ علمه من الحي الذي لا يموت[1].

وعندما فرغ بولس من تدوين إنجيله المعلن من يسوع خشي افتضاح أسسه التي يقول عنها (وعرضت عليهم الإنجيل أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً) غلاطية ٢ : ٢. ولكن أليس غريباً أن يشك بولس في صدق الوحي، في صدق وأمانة المسيح الذي أملاه عليه حتى جعل من الناس أو إنجيل التجربة حكماً على إنجيل الوحي.

وفي مؤتمر نيقية أتلف إنجيل بولس. وهناك من الأناجيل التي أُتلفت إنجيل يسمى بالإنجيل الاغنطسي وهو يبتدئ بمقدمة تندد بالقديس بولس.

والواقع أن بولس هو الذي رسم صورة المسيح كما نراها عند أصحاب العقيدة المسيحية وقد اعترف علماء اللاهوت المسيحيون أن بولس ترك عن المسيح رسماً واضح القسمات وإن اختلف ظاهراً عن رسم مسيح الأناجيل. فمسيح بولس هو مسيح الإيمان أكثر منه مسيح التاريخ. ولا عجب فبولس الفيلسوف واللاهوتي لم ير المسيح في الجسد ولا رافقه كباقي الرسل فمسيحه هو ابن الله.

---

(١) عمر لطفي النجار العقل والإلحاد ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

وقد اعترف الكثيرون من العلماء والباحثين الغربيين بمؤامرة بولس على العقيدة المسيحية وإدخاله للتعاليم الوثنية فيها حتى خرّبت تماماً وحرفها عن أصلها التوحيدي.

يقول أرنست دي بونس في كتاب له اسمه (الإسلام أي النصرانية الحقة) صفحة ١٤٢: (إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس وأشباهه من الذين لم يروا المسيح، لا من أصول النصرانية الحقة.

وقال ول ديورانت: (أما بولس فهو الذي أشاد صرح المسيحية الديني. لقد عثر بولس في خفايا الشريعة اليهودية على حلم يصور لليهود فلسفة الحشر والنشر فحوره ووسع نطاقه وجعله عقيدة ذات قوة تستطيع أن تحرك العالم بأسره واستطاع بصبره الشبيه بصبر رجال السياسة أن يمزج مبادئ اليهود الأخلاقية بعقائد اليونان فيما وراء الطبيعة. وأوجد طقوساً خفية جديدة.. ومع هذا كله بقي الرجل الذي فصل المسيحية عن اليهودية من حيث الجوهر والأساس يهودياً في قوة خلقه وصارمة مبادئه. ولما أراد رجال العصور الوسطى الدينيون أن يجعلوا الوثنية كثلكة (مذهب كاثوليكي) براقة لم يجدوا ما يتفق مع هذه النزعة فلم يقيموا له إلا قليلاً من الكنائس. أو البروتستانتية فهي نصر لبولس على بطرس وكان الاعتقاد بأن النجاة إنما تكون بالإيمان والعقيدة نصراً لبولس على المسيح)[1].

ويرى الكثيرون أن بولس جاء بدين جديد خاص به فلم يكن مسيحياً ولم يكن يهودياً. بل إن تعاليمه تدل على أنه يهودي أراد أن يصنع من تعاليمه يهودية جديدة.

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة، مجلد ١١ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

وقد وردت بعض النصوص على لسانه ودوّنت في رسائله ما يدل على أنه ينقض تعالم المسيح ويرفضها.

فقد جاء في رومية ٧/ ٦ قوله: (وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجِدَّة الروح لا بعتق الحرف).

ويعترف في قول آخر إنه يشرع حسب رأيه وليس حسب تعاليم المسيح عليه السلام فيقول: (وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً فأظن أن هذا حسن)[١].

وقد ذكرنا سابقاً، أن بولس قد حرم الختان مع أن التوراة أمرت به ومع أن المسيح خُتن وهو ابن ثمانية أيام، وقد جعل الختان حسب زعمه ختان القلب بالروح لا بالكتاب. ولو تفحصنا النصوص التي وردت على لسان بولس وجدنا أنه في أحدها يلعن السيد المسيح: (إن المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة). غلاطية ٣/ ١٣.

والمكتوب في التوراة أن من اكتسب خطيئة يستحق عليها القتل فقتل وعلق على خشبة فلا تبِتْ جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله.

فقد حرف بولس هذا الحكم وتلاعب بالنصوص وحرفها من أجل أن يحمل الناس على عدم المبالاة بالشريعة لأن المسيح لُعن بعذاب الصلب وعُذب بدلاً عن الناس فلا تلحقهم لعنة ترك الناموس لأنه حمل أوزارهم كاملة وإلى الأبد ولذا لا يُعاقب أي إنسان على أي ذنب.[٢]

---

(١)كورنثوس الأولى، ٧/ ٢٥-٢٦.

(٢)محمد علي برّو العاملي: الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٠٤-٣٠٥.

ونرى أيضاً شهادة أحد المؤرخين العرب القدامى وهي تتناول النصرانية وشخصية بولس وهذا المؤرخ هو الكلبي وهو من كبار العلماء في القرن الثاني الهجري. يقول:

(إن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعدما رُفع عيسى حتى وقعت بينهم وبين اليهود حرب وكان من اليهود رجل شجاع يقال له بولس وكان قتل جملة من أصحاب عيسى عليه السلام فقال يوماً لليهود إن كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا فنحن معذبون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضلهم). ثم قال بعد أن درس الإنجيل سنة كاملة: (نوديت أن الله تعالى قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم لم يكن عيسى بإنس ولا جن ولكنه ابن الله)[1].

نستخلص مما تقدم أن بولس لم يكن على عقيدة المسيح بل ابتدع رؤية دينية خاصة به هي أقرب إلى العقائد الوثنية من التوحيدية. ولا داعي لكل نصراني عاقل أن يعتمد ما جاء به بولس لأنه باتباعه تعاليمه يكون قد خالف المسيح وعقيدة المسيح التي نادى بها في إنجيله السماوي. ولا داعي للإصرار والعناد على رسولية بولس ولعل في محاكمة العقل سبيل للخلاص من تلك التعاليم. وسبيل للخلاص مما علق بالمسيحية الحقة من لوثات مقصودة أرادها بعض اليهود وبعض الوثنيين الغربيين.

---

(١) حياة الحيوان للدميري، ٢: ١٦١.

الغنوصية والمسيح

يعتبر عصر بولس وبعده بقليل عصر تطوير العقيدة المسيحية الغربية. وقد ظهرت حركة الغنوصية التي يتزعمها عدد كبير من رجال الدين والفلاسفة المتنصرين وغنوصية كلمة يونانية وتعني المعرفة أو العلوم الخاصة بالأمور الروحية أو الإلهية وتشمل الغنوصية عدة مذاهب إلا أنها تشترك في شيء واحد وهو المعرفة وهذه المعرفة تأتي عن طريق الإلهام. وهذه المعرفة تحل في تعاليم الغنوصية محل الإيمان في تعاليم بولس. والغنوصية خليط من الأفكار الفلسفية الدينية اليونانية والثنائية الفارسية واليهودية والمسيحية. وخلاصة أفكارها بالنسبة للمسيح هو أن الروح التي كانت في البداية في عالم سماوي منير سقطت فجأة من هذا العالم المنير إلى الأرض حيث أصبحت سجينة الجسد الحساس. ولقد تأثر الإله الأعظم تأثراً كبيراً لسقوط الروح إلى عالم المادة وسجن الشرارات الإلهية فيه. ولذلك فقد أرسل المخلص لكي يخلصنا من هذا السجن واتخذ هذا المخلص مظهر إنسان لأن الإله لا يمكنه أن يتحد بالمادة المرئية واستطاع بهذه الطريقة أن يعلن للعارفين (الغنوصيين) أصلهم أي أنهم من عالم سماوي وعندما أتم هذه المهمة صعد بالقرب من الأب وبذلك فقد فتح الباب أمام الشرارات المنيرة التي ستصعد هي بدورها أيضاً إلى المخلص عندما تتخلص من السجن الجسدي.

وقد بدأت الغنوصية في القرن الأول الميلادي ولكنها ازدهرت وانتشرت في القرن الثاني وأبو الغنوصيين هو سيمون الساحر. ويرى بعض المفكرين أن الغنوصية انتشرت بداية في وسط الشعب اليهودي المسيحي في بابل. ومن هؤلاء

الغنوصيين (سرنت) اليهودي ويعتقد (سرنت) بأن الله وحده مطلق وكماله يفوق كل وصف ثم يرى من ناحية أخرى المادة غير المنظمة والتي تشبه الخواء والخراب وكانت تفصل بين الله والمادة هوة عظيمة ويرى (سرنت) أن الله أعطى الإله اليهودي ناموسه غير الكامل وبما أن هذا الناموس الذي أمر به كان غير كامل فقد وعد الإنسان بمسيا، على أن هذا المسيا لم يكن هو نفسه أيضاً كاملاً ولأجل ذلك فقد أرسل الله السامي إلى العالم واحداً من الملائكة الأوائل الذين خرجوا منه أولاً. ولقد اتحد هذا الملاك بيسوع في لحظة العماد. ولقد أوحى الملاك ليسوع بسر الآب الذي خرج منه كما أعطى أيضاً له الناموس الكامل والمعرفة الحقيقية حتى يعلنها للناس لكي يخلصوا بها.[1]

ويرى بعض الغنوصيين أن المسيح لم يأخذ جسداً بشرياً مادياً كأجسادنا لأن المادة خطيئة لدرجة أنه علم بأن خروج المسيح من رحم مريم العذراء لم يفض عذراويتها لأن مرور المسيح من رحمها كان كاختراق النور للمواد الشفافة أو المياه للثوب. وقد انتشرت هذه التعاليم في مدينة أفسس اليونانية ويرى الباحثون أن إنجيل يوحنا كتبه صاحبه رداً على أفكار سرنت اليهودي الإسكندري.

ولعل من أهم اللاهوتيين في تاريخ الفكر المسيحي آريوس الذي قيل أنه من أصل ليبي وقد نشأ في بيئة وثنية ومن ثم درس اللاهوت في مدرسة أنطاكية على يد المعلم لوقيانوس ثم جاء إلى الإسكندرية ورسّم هناك شيخاً في كنيسة بنكاليس.

وأهم أفكاره قوله بأن الله إله واحد غير مولود أزلي أما الابن فهو ليس أزلياً إذ أنه وُجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه.

---

(١) القس حنا الخضري، تاريخ الفلسفة ص ٣٩٩.

وهذا الابن غير الأزلي وغير المولود من جوهر الأب خرج من العدم مثل كل الخلائق الأخرى بحسب قصد الله ومشيئته. ويرى أن المسيح الذي يعبده المسيحيون ليس إلهاً ولا يملك الصفات الإلهية المطلقة.

ولما رأى أساقفة الإسكندرية أفكار آريوس التوحيدية شنوا عليه حملة وأحضروه للإسكندرية لمناقشته. ولما رفض الخضوع لطلب كاهن الإسكندرية عقد مجمع (سنودس) حوالي ٣٢٠ ـ ٣٢١م. وقرروا إعفاءه من الخدمة الكنسية. وبقيت أفكاره منتشرة بين الكثيرين من المسيحيين حتى انتشرت في العديد من المناطق الساحلية لساحل المتوسط. ولكن عصره كان عصر قسطنطين الإمبراطور الروماني الذي تبنى المسيحية فأصبح لزاماً عليه وحفاظاً على الإمبراطورية أن يسعى لإعادة آريوس إلى الوحدة مع الكنيسة ونبذ الخلافات بينه وبين معارضيه من الكهنة المسيحيين في الإسكندرية وأنطاكية وغيرهم.

ويمكن أن نقول إن عصر قسطنطين ٣١٣ م شهد تحولاً خطيراً في المسيحية حيث أصدر هذا الإمبراطور إعلان ميلانو الشهير الذي سمح باعتناق المسيحية لكل من يريد وسمح بإنشاء أول كنيسة مسيحية في روما وإن بقي هو على دينه القديم وتم تعميده إلى المسيحية بعد موته فقط/ في عام ٣٨٠م تولى الإمبراطور تيودوسيوس حكم الإمبراطورية وقرر اعتبار المسيحية الديانة الوحيدة والرسمية للإمبراطورية. وعلى أثر ذلك بدأ انتشار المسيحية إلى كل الجهات الأوروبية ومناطق الشرق باعتبارها كانت خاضعة للحكم الروماني.

ولكن يجب أن نعرف هنا أن اختلافاً واضحاً وقع بين المتنصرين الغربيين والنصرانية الشرقية وقد حدث جدل عنيف في القرن الرابع والخامس. وأهم خلاف كان هو حول طبيعة المسيح نفسه. فالأساقفة الرومان واليونان مصرون

على عقيدة التثليث بينما كانت أفكار آريوس التوحيدية تنتشر في الشرق. وهذا يقودنا إلى دراسة المجامع وما تبنته من أفكار وما زادت وابتدعت من شؤون عقدية أضافتها إلى ما قاله التلاميذ والرسل الأولون.

المجمع الأول

بعد موت بولس اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة أنطاكية ونظروا في ما قاله بولس فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا.

المجمع الثاني

بعث قسطنطين إلى جميع البلدان البتاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية بعد سنة وشهرين ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً. فكانوا مختلفي الآراء مختلفي الأديان فمنهم من قال المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم المريمانية. ومنهم من قال المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم ينقص الأولى لإيقاد الثانية منها. ومنهم من كان يقول لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهذه مقالة (الباد واشياعه). ومنهم من قال إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطُفي ليكون مخلصاً للجواهر الإنسية، صحبته النعمة الإلهية فحلّت منه المحبة والمشيئة فلذلك سمي ابن الله. ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس (وهذه مقالة بولس وأشياعه). ومنهم من كان يقول ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما وهذه مقالة (مرقيون وأشياعه) ومنهم من يقول ربنا هو المسيح وهي مقالة ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً.

يقول تعالى واصفاً حال من اختلفوا: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ [النساء/ ١٥٧].

ويعتبر المجمع الثاني من أهم وأكبر المجامع إذ يعتبر مرحلة جديدة بكل معاييرها في عقيدة المسيحية الغربية. إذ أن قسطنطين الإمبراطور لما سمع مقالة الأساقفة عجب من ذلك وأخلى لهم داراً وتقدم لهم بالإكرام والضيافة وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد ورأي واحد وناظروا بقية الأساقفة المختلفين فظفروا عليهم في المناظرة. وكان باقي الأساقفة مختلفين في الآراء والأديان. فصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً عظيماً وجلس في وسطه وقال لهم قد سلطتكم اليوم على المملكة.

ومن ما خرج به هذا المجمع:

١ - إظهار دين المسيحية في روما والإمبراطورية الرومانية.

٢ - ثبتوا مقولة إن الابن مولود من الأب قبل كون الخلائق وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق. واتفقوا أن يكون فصح النصارى يوم الأحد ليكون بعد فصح اليهود وأن لا يكون فصح اليهود مع فصحهم في يوم واحد. ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة.

٣ - قرر المجمع بناء كنيسة القيامة وقامت هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين بالذهاب إلى بيت المقدس محملة بالأموال فبنت الكنيسة في موضع الصليب والمقبرة.

٤ - اتفق الجميع على محاربة آريوس الذي دعا للوحدانية فلعنوه وأصحابه وكل من قال مقالته.

٥ - أمر الملك أن لا يسكن يهودي بيت المقدس ومن لا يتنصر قتل فظهر

دين النصرانية وتنصر من اليهود خلق خوفاً من القتل وظلوا مخلصين ليهوديتهم في السر مما دفع الملك أن يتفق مع الأساقفة على ذبح الخنازير وإطعامها للناس على باب الكنائس ومن لم يأكل من لحم الخنزير قتل. وقد قتل خلق كثير بسبب امتناعهم عن أكل لحم الخنزير. وقد حلل بولس أكل لحم الخنزير مدعياً أن المسيح نقض الناموس وجاء بناموس جديد اسمه الإنجيل.

٦ - بعد موت الملك وتولي ابنه مكانه تقرب إليه جماعة آريوس فنصرهم واستطاعوا الاستيلاء على كنائس قسطنطينية وأنطاكية والإسكندرية وغلبوا على كنائس مصر وأثناء ذلك قتل المسيحيون بعضهم بعضاً واختلفوا أشد الاختلاف. ومنذ ذلك الوقت بدأ تشكل المذاهب والفرق المسيحية المختلفة.

المجمع الثالث

في هذا المجمع ثار بعض الأساقفة ضد أفكار آريوس واتفقوا مع ملك روما بعد ثمان وخمسين سنة من زمن المجمع الثاني وتم المجمع في نيقية وادعوا أن النصرانية قد فسدت فقالوا إن روح القدس خالق غير مخلوق إله حق من إله حق من طبيعة الآب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة وزادوا على ما تبناه المجمع الثاني قولهم (نؤمن بروح القدس الرب المحيي الذي من الأب انبثق الذي مع الآب والابن وهو مسجود وممجد، وبينوا أن الابن والآب وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص وأنها وحدة في تثليث وتثليث في وحدة. وبينوا أن جسد المسيح بنفسٍ ناطقة عقلية فانفض هذا المجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من أساقفتهم وأشياعهم.

المجمع الرابع

بعد نصف قرن على انعقاد المجمع الثالث انعقد المجمع الرابع وكان سببه ما قاله نسطورس وأتباعه النسطوريون. وملخص رأيه أن مريم ليست بوالدة إله

على الحقيقة ولذلك كان إثنان أحدهما الإله الذي هو موجود من الآب والآخر إنسان وهو الموجود من مريم. وأن هذا الإنسان الذي نقول إنه المسيح متوحد مع ابن الإله ويقال له إله وابن الإله ليس على الحقيقة ولكن موهبة. واتفاق الاسمين على طريق الكرامة.

على إثر ذلك اجتمع مئتا أسقف في مدينة أفسس وأرسلوا إليه للمناظرة فرفض ثلاث مرات فلعنوه ونفوه وبينوا أن مريم ولدت إلهاً وأن المسيح إله حق من إله حق وهو إنسان وله طبيعتان.

وتعصب له بترك أنطاكية فجمع الأساقفة ولكن الملك انتصر للأساقفة الأولين فتمت لعنة نسطورس ونفي إلى مصر ومات هناك ودفنت أفكاره إلى أن أحياها ابن صرما مطران نصيبين وبثها في بلاد المشرق فأكثر نصارى المشرق والعراق نسطورية.

المجمع الخامس

وعقد على إثر مقالة الراهب الطبيب أوطيسوس والتي يقول فيها: إن جسد المسيح ليس هو من أجسادنا بالطبيعة وأن المسيح قبل التجسد من طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة وهو أول من أحدث هذه المقالة وهي مقالة اليعقوبية. فرحل إليه بعض الأساقفة فناظروه وأصر على موقفه فلعنه الأساقفة. ثم استعطف الملك وادعى أنه ظلم فجمع الملك القساوسة في مدينة أفسس. ثم انحصرت مقالته في مصر وبقيت الكنائس الأخرى على موقفها.

المجمع السادس

وعقد هذا المجمع في مدينة حلقدونية وقد اجتمع في هذا المجلس ستمائة وثلاثون أسقفاً فنظروا في مقالة اليعقوبية فلعنوا أوطيسيوس واليعقوبية وقالوا إن المسيح إله وإنسان في المكان مع الله باللاهوت وفي المكان معنا

بالناسوت ويعرف بطبيعتين. تام باللاهوت وتام بالناسوت ومسيح واحد. وفي هذا المجمع لعنوا آريوس وقالوا إن روح القدس إله وإن الآب والابن وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة وثبتوا قول المجمع الثالث في مدينة أفسس. وقالوا إن مريم العذراء ولدت إلهاً ربنا اليسوع المسيح الذي هو مع الله بالطبيعة ومع الناسوت بالطبيعة وشهدوا أن للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً ولعنوا نسطورس وجماعته.

المجمع السابع

وتتابعت الصراعات فظهر في أيام الإمبراطور أنسطاس الراهب سورس القسطنطيني وكان على رأي أوطيسيوس وطلب من الملك أن يُلعن مجمع حلقدونية وقال إن الدين الصحيح ما قاله أوطيسوس من أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأقنوم واحد. فاختلف البطاركة واحتج بطرك بيت المقدس فنفاه الملك ثم تكاثر القساوسة ورفضوا فعل الملك فتراجع عن اضطهاده لأصحاب مجمع حلقدونية. وكان لسورس تلميذ يقال له يعقوب يقول بمقالته وكان يسمى يعقوب البرادعي وإليه تنسب اليعاقبة وقد غلبت اليعقوبية على كنيسة الإسكندرية وقتلوا فيها بطركاً يقال له بولس.

فأرسل الإمبراطور أحد قادته وأمره أن يجمع المسيحيين في كنيسة الإسكندرية فإن هم رجعوا عن مقالة اليعاقبة كان به وإن لم يرجعوا أعمل السيف فيهم.

ولم يتراجعوا فأعمل السيف فيهم فقتل كل من اجتمع في الكنيسة فقُتل داخلها وخارجها أمم لا تحصى كثرة حتى خاض الجند في الدماء وهرب منهم خلق كثير وعلى إثرها ظهرت مقالة اليعاقبة.

المجمع الثامن

وعقد هذا المجمع على إثر ظهور مقولات لأسقف منبج وهي قرية شرقي حلب حيث يقول: بالتناسخ وأن ليس هناك قيامة وكان أسقف الرها والمصيصة وأسقف آخر يقولون إن جسد المسيح خيال غير حقيقة فحشرهم الملك إلى قسطنطينية. وجمع الأساقفة واجتمع في هذا المجمع مائة وأربعة وستون أسقفاً فلعنوا أسقف منبج وأسقف المصيصة وثبتوا مقولة أن جسد المسيح حقيقة لا خيال وإنه إله تام وإنسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد.

المجمع التاسع

وعقد هذا المجمع في زمن معاوية ابن أبي سفيان حيث تناحر أصحاب الأقوال في طبيعة المسيح وجرى اضطهاد بعضهم لبعض وخلص القول إلى ملك القسطنطينية فاستدعى البطاركة وحضر المجمع ثلاثمائة وثمانية ولم يكن لبيت المقدس والإسكندرية بطرك فلعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة وقد لخصوا ما توصلوا إليه حيث قالوا: نؤمن بإله واحد من اللاهوت الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوي مع الأب الإله في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد ووجه واحد يعرف تاماً بلاهوته تاماً بناسوته وأكد المجمع على ما جاء في مجمع حلقدونية.

المجمع العاشر

وفي هذا المجمع تراجعوا عن أقوالهم في المجمع التاسع وزعموا أن اجتماعهم كان على باطل. فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول المجمع السادس. ولعنوا من لعنهم وخالفهم وثبتوا قول المجامع الخمسة.

ويجدر بنا هنا أن نورد أن المجامع انقسمت قسمين:

١ ـ مجامع مسكونية (أي عالمية).

٢ ـ مجامع محلية (أي المكانية).

فالمجامع المسكونية العالمية عقدت عشرين مجمعاً ابتداءً من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ حتى مجمع الفاتيكان سنة ١٨٦٩ . ولا يعترف الأرثوذكس إلا بقرارات المجامع السبعة الأولى التي كان آخرها مجمع نيقية الثاني عام ٧٨٧.

أما المجامع المحلية (أو المكانية) فهي كثيرة وكانت تعقدها الكنائس لمناقشة مسائل عقدية معينة ورفضها أو قبولها أو للنظر في بعض الشؤون المحلية.

وإضافة للمجامع العشرة التي أوردنا ذكراً عنها نذكر هنا مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ وقد قرر هذا المجمع أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين وكان ذلك رداً على المذهب الماروني الذي كان يقول أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة.

ثم عقد مجمع روما عام ٨٦٩ وفيه تقرر اعتبار الروح القدس منبثقاً من الأب والابن ومن يريد المحاكمة في أمر يتعلق بالمسيحية يرفع دعوى إلى كنيسة روما. ويقرر أن المسيحيين في بلاد العالم يخضعون لقرارات كنيسة روما.

وفي عام ٨٧٩ عقد مجمع القسطنطينية برئاسة فوسيوس بطريرك كنيسة القسطنطينية وفيه تقرر أن انبثاق الروح القدس من الآب فقط وبهذا المجمع وسابقه تم انقسام الكنيسة إلى غربية وشرقية وأصبحت المجامع خاصة بإحداهما وتُبطل قرارات الأخرى ولا تعترف بها.

وفي عام ١٢٢٥ عقد مجمع روما وفيه تقرر أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء.

وفي عام ١٨٦٩ عقد مجمع روما وفيه تقرر أن البابا معصوم.

وقد رأى بعض اللاهوتيين الشرقيين أن هذه المجامع كانت في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحي ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الإمبراطور لتنفيذ أغراضه. مستغلاً في ذلك مطامع بعض الأساقفة وطموحهم إلى الجاه والنفوذ والسلطان. وهكذا أصبحت المجامع أداة هدم بعد أن كانت أداة بناء وقد فتحت الباب على مصراعيه للخصوم والشقاق بين المسيحيين في البلاد المختلفة)[1].

---

(١) زكي شنودة: تاريخ الأقباط، ج١ ص ١٧٦.

الفصل الخامس

الأناجيل وأصحابها

الإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه على عيسى، كما أنزل التوراة على موسى عليه السلام والقرآن الكريم على محمد رسول الله ﷺ.

والواقع أننا نفتقد الآن إلى الإنجيل الذي نزل على النبي عيسى عليه السلام كما افتقدنا التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام.

ولا نستطيع أن نعثر على تعاليم النبي عيسى في إنجيله إلا من خلال القرآن الكريم فهو الذي يرشدنا إلى هذا الإنجيل وما فيه من تعاليم.

والسبب الذي يجعلنا نقتصر على القرآن الكريم في معرفة الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام هو وجود عدد كبير من الأناجيل التي كتبت من قبل الناس واختلفت فيما بينها التعاليم والأحداث وسنة التأليف والغاية منه. وهذا ما يجعلنا نتوقف طويلاً عند هذه الأناجيل ومناقشة متناقضاتها واختلافاتها الجذرية والفرعية. ومن ثم مقارنة ما جاء في إنجيل عيسى وتلك الأناجيل.

لقد وردت كلمة إنجيل في القرآن الكريم في اثني عشر موقعاً. وفي كل موقع تشير الآية الكريمة إلى معنى أو إلى فكرة تخدم السياق القرآني للسورة أو للآيات التي وردت قبل الآية أو بعدها.

فيقول تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾. وجاءت الآية في سياق قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آل عمران/ ٣ ـ ٤].

ويقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾. وقد جاءت في سياق قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي

ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران/ ٤٥ ـ ٤٨].

ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾. وقد جاءت في سياق قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران/ ٦٥، ٦٧].

ويقول تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ وجاءت في سياق قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة/ ٤٦ ـ ٤٧].

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة/ ٦٥ ـ ٦٦].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة/ ٦٨].

ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة/ ١١١].

ويقول تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح/ ٢٩].

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد/ ٢٧].

وقد ذكر القرآن الكريم عيسى ابن مريم مرات عدة وكذلك أهل الكتاب. ومن ينظر إلى الآيات السابقة التي أوردناها والآيات التي تناولت عيسى عليه

السلام وأهل الكتاب يجد أن هناك تعاليم قالها السيد المسيح. وهذه التعاليم تدلنا على ما في الإنجيل الذي نزل عليه.

فالآيات تشير أو ما تشير إلى أن المسيح كان يعرف التوراة حق المعرفة فهو مصدق لما فيها متبع موسى عليه السلام في التشريع الذي أقره الله سبحانه وتعالى.

فلا تناقض بين التوراة الحقيقية وبين ما أُنزل على عيسى. فالتوراة والإنجيل كما هو أصلهما منزلان من السماء بواسطة الوحي. فالألوهية واحدة والتشريع واحد والعقيدة واحدة ولا فرق بين موسى وعيسى والأنبياء جميعاً.

فالآيات تقر أن الإنجيل فيه هدى ونور وموعظة للمتقين. والإنجيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث ويضع عن الذين يؤمنون به إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

ولو نظرنا إلى تعاليم المسيح عليه السلام لعرفنا أن الإنجيل الذي أنزل عليه يدعو أولاً لعبادة الله الواحد.

يقول تعالى: ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ [مريم/ ٣٦].

ويقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [الزخرف/ ٦٣ ـ ٦٤]. .

ويؤكد القرآن الكريم أن الذين أتوا بعد رفع المسيح اختلفوا فيما بينهم حول ما قاله المسيح عليه السلام فقال تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم/ ٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزخرف/ ٦٥].

ويقول تعالى: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ [المائدة / ١١٧].

فالتوحيد أول تشريعات عيسى في إنجيله لكن بعض من سوّلت أنفسهم لهم غيّروا وحرفوا فقالوا إن المسيح ابن الله أو الله وهذا ما لم يأمرهم به المسيح ولا قاله ولم يأت بإنجيله.

ومن تشريعات الإنجيل التي أوردها القرآن الكريم أن أحل المسيح بعض ما كان قد حرم على بني إسرائيل فقال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران/ ٥٠].

وقد جاء في إنجيل برنابا ما ينبه إلى نزول الوحي إلى عيسى وتلقينه الإنجيل.

فقال: (ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك بنفسه صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات (يا رب برحمة) وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون ليتمجد الله فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله وقال الله وما يريد الله حتى أن كل شيء كان عرياناً ومكشوفاً له ولقد قال لي صدّق يا برنابا أني أعرف كل نبي وكل نبوة وكل ما أقوله إنما جاء من ذلك الكتاب) برنابا الفصل العاشر ١ ـ ٥.

ومن أهم ما في إنجيل المسيح عليه السلام تبشيره بمجيء النبي محمد ﷺ

وقد أكدت الآية القرآنية ذلك في قوله تعالى : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف/ ٦].

وقد وردت البشارات بمجيء الرسول محمد ﷺ في إنجيل برنابا وفي عدة مواقع . ففي أحد المواقع قال : (إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد الله ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه لأني لست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية) برنابا ٤٢ : ١٣ .

الأناجيل عدتُها وأسماؤها

عرف العصر المسيحي الأول كثيراً من الكتابات التي أطلق عليها اسم إنجيل. وقد اعتبرتها الكنيسة الرسمية أناجيل ممنوعة أو محرفة وأطلقوا عليها أبوكريفا. ويرى الكهنة أن هذه الأناجيل كتبت بهدف تقوى سجلها مؤمنون بالكنيسة أو هراطقة سجلوها تحت أسماء التلاميذ أو الرسل أو شخصيات بارزة في الإيمان لتأييد هرطقاتهم وتعاليمهم ولا تعني أن ما بها ليس حق على الأقل في أذهان الذين استخدموها أولاً. فإنها وإن كانت غير قانونية لكن بعضها كان له اعتباره الخاص ككتب كنسيّة ذات قيمة روحية تاريخية وهي في الحقيقة تمثل تراثاً هاماً بالنسبة للمؤرخين يكشف عن الكثير من الأفكار والاتجاهات والعادات التي اتسمت بها الكنيسة الأولى كما تمثل النبتات الأولى للأدب المسيحي من الناحية القصصية والفولكلور الشعبي.

١ ـ إنجيل يعقوب: ويعرف باسم الإنجيل الأولي protoevan gelium of james وهو من نتاج منتصف القرن الثاني هدفه الرئيسي هو تأكيد دوام بتولية القديسة مريم قبل ميلاد السيد وأثناء الميلاد وبعده. وهو يروي الأحداث الخاصة بميلاد العذراء مع ذكر اسم والديها يواقيم وحنة وحياتها المبكرة في الهيكل وتركها له في سن الثانية عشر وخطبتها ليوسف وقصة البشارة وزيارة مريم لأليصبيات وأحداث الميلاد ويختم الكتاب بقصة استشهاد القديس (النبي) زكريا والد النبي يحيى (يوحنا المعمدان) وموت هيرودس أول من أشار إليه هو العلامة أوريجانوس حينما قرر أن أخوة المسيح هم أبناء يوسف من زوجة سابقة. واعتمد على هذا الإنجيل في القرن الرابع القديس أبيغا ينوس وذلك في رده على

الهراطقة.

وقد ورد في هذا الكتاب أحداث تخص ميلاد المسيح. ويوجد منه مخطوطات هي ترجمات سريانية وقبطية وأرمنية وصقليّة وإن كان لا يوجد بعد مخطوطات لاتينية له. ومادة هذا الكتاب تشبه في مجموعها ما ورد في الأناجيل خاصة إنجيل متى باستثناء بعض الأقوال المنسوبة للسيد المسيح ولم ترد في الأناجيل القانونية. ويرى بعضهم أن هذا الإنجيل يمثل إنجيل متى البشير العبري مع بعض إضافات[1].

٢ ـ إنجيل المصريين: ويقول عنه اللاهوتيون إنه من أناجيل الغنوصيين وإنتاجهم. يذكر القديس هيبوليتس أنه كان منتشراً بين إحدى شيعهم التي تسمى نازينس ويحتمل أنه كان منتشراً بين المسيحيين المصريين الذين من أهل أممي أشار إليه كل من القديس اكليمندس الإسكندري وأريجانوس على أساس أن له قيمة تاريخية فقط مع ملاحظة أن الآراء الكنسية واضحة فيه.

٣ ـ إنجيل بطرس: اكتشف بورينت جزءاً من هذا الإنجيل عام ١٨٨٦ ـ ١٨٨٧م بمقبرة راهب في أخميم بصعيد مصر. وهي تروي آلام يسوع وموته ودفنه وتنمق قصة قيامته بتفاصيل مثيرة بخصوص المعجزات التي لحقتها. أشار إليه يوسابيوس كسفر رفضه الأسقف صرابيون أسقف أنطاكية حوالي عام ١٩٠م بسبب اتجاهه الهرطوقي (دقيون) وقد استخدمه العلامة أورجانوس في تعليقاته على إنجيل متى.

٤ ـ إنجيل توما: أشار العلامة أوريجانوس في عظته الأولى إلى إنجيل توما وقد نسبه القديس هيبوليتس الروماني إلى إحدى شيع الغنوصيين تسمى نازنس التي لا نعرف عنها شيئاً وكان له منزلة كبيرة لدى أتباع ماني (المانوية) لذلك حذر

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى ص ٢٦ ـ ٢٧.

منه القديس كيرلس الأورشليمي بكونه من نتاجهم موضحاً أنه يفسد عقول البسطاء من الناس.

ويتناول هذا الإنجيل قصة طفولة يسوع وقوته ومعرفته ومعجزاته خلال سني حياته المبكرة. وقصة ذهابه إلى المدرسة. وكيف كان يصنع من الطين اثني عشر عصفوراً صغيراً أثناء لعبه مع الأطفال في يوم سبت. ولما اشتكاه أولياء أمور الأطفال ككاسر السبت أمر العصافير أن تطير فطارت وهي تغرد.

وكان هذا الإنجيل معروفاً لدى القديس إبيرينادس ويوسابيوس.

٥ - إنجيل نيقوديموس: ويضم جزأين مختلفي التأليف والتاريخ. الجزء الأول هو ما يعرف بأعمال بيلاطس. ويتكلم عن محاكمة يسوع والتقرير الرسمي الذي قيل إن بيلاطس أرسله إلى الإمبراطور طيباريوس عن شخص يسوع. ويرجع هذا الجزء إلى القرن الثاني. ونلاحظ في إنجيل بطرس محاولة المسيحيين الأوائل التخفيف من جريمة بيلاطس الأمر الذي ظهر أيضاً في أعمال بيلاطس التي احتواها إنجيل نيقوديموس. وقد أشار القديس يوستين والعلامة ترتليان من رجال القرن الثاني إلى أعمال بيلاطس مستخدمين الوالي الروماني كشاهد على تاريخ صلب المسيح وقيامته وصدق الإيمان المسيحي وقد استخدم إنجيل نيقوديموس ذات الاتجاه.

أما الجزء الثاني من الإنجيل فيحوي وصفاً للنقاش الذي دار في السنهدريم بخصوص ما يسمى قيامة المسيح وقصة نزوله إلى الجحيم مستشهداً بشاهدين هما سمعان وأخوه اللذان قاما من الأموات بعد معاينة السيد في الجحيم. هذا الجزء يمثل نوعاً من الوعظ الشبيه بسير الشهداء.

٦ - إنجيل فيلبس: إذ تحدث القديس أبيغانيوس عن الاتجاه الغنوصي في مصر أشار إلى هذا الإنجيل وجاء بمقتطف منه يحمل ميلاً غنوصياً نسكياً قوياً.

انتشر هذا الإنجيل في مصر ابتداء من القرن الثالث.

٧ ـ إنجيل الاثني عشر: أورد القديس أبيغانيوس مقتطفات منه ويرجع تاريخه إلى أوائل القرن الثالث ويسمى بإنجيل الآبيونيين.

٨ ـ وهناك مجموعة من الأناجيل التي وضعها الهراطقة مثل إنجيل باسيليوس الغنوصي من القرن الثاني وقد أشار إليه أوريجانوس والقديس أمبروسيوس وجيروم. وإنجيل إندراوس الذي أشار إليه القديس أغسطينوس وإنجيل فالنتينوس الغنوصي الذي أشار إليه العلامة ترتليان وإنجيل مرقيون الهرطوقي وإنجيل يهودا الاسخريوطي الذي استخدمته طائفة غنوصية تدعى أتباع قايين وإنجيل تداوس وإنجيل حواء وإنجيل كيرنثوس وإنجيل أبلوس.

ولا تضع المصادر المسيحية إنجيل برنابا ضمن قائمة الأناجيل الازائية أو الممنوعة ونعتقد أن أهم الأسباب التي جعلتهم يرفضون هذا الإنجيل قول صاحبه بأن المسيح نبي وليس إلهاً ويبشر بالنبي محمد ﷺ على الرغم من وجود برنابا كشخص موجود حقيقة وقد ذكرته أكثر المصادر المسيحية وحتى الأناجيل الازائية القانونية المعترف عليها من قبل الكنيسة على أنه أحد التلاميذ السبعين الأوائل الذين آمنوا بالمسيح وبرسالته. وقد رافق بولس في بداية تنصره سنوات ثم فارقه وهو مختلف معه على جوهر المسائل المسيحية. كشخص المسيح. والختان وأمور أخرى ذكرت في عدة مصادر مسيحية.

ومن خلال ما تقدم فإننا نستطيع أن نعرف عدد الأناجيل التي ذكرتها المصادر المسيحية فهي واحد وعشرون إنجيلاً منها أربعة أناجيل اعتمدت من قبل كنيسة روما وأتلفت بقية الأناجيل أو منع تداولها.

من هم أصحاب الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنيسة؟

يرى أتباع العقيدة النصرانية أن كتّاب الأناجيل هم متى، مرقص، لوقا، يوحنا، فمتّى هو أحد حواريي المسيح الاثني عشر وهو يهودي الأصل كان جابي ضرائب للرومان في بلدة كفر ناحوم. الواقعة في الجليل شمال فلسطين ويرون أنه تبع المسيح منذ بداية دعوته وبعد رفع المسيح تفرغ للتبشير في بلاد الحبشة ويقال إنه مات شهيداً هناك.

وأقدم تقليد كنسي (بابياس أسقف هيرابوليس في النصف الأول من القرن الثاني) ينسب أحد الأناجيل إلى متى. والإنجيل نفسه لا يذكر عن متى شيئاً. وهناك بعض المؤلفين الذين يستخلصون من ذلك أنه يمكن أن تنسب إلى الرسول متى صيغة أولى آرامية أو عبرية لكن البحث في إنجيله لا يثبت هذه الآراء دون أن يبطلها مع ذلك على وجه الحسم. فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه فالمؤلف يعرف من عمله. فهو طويل الباع في علم الكتاب المقدس والتقاليد اليهودية. يعرف شعبه الدينيين ويوقرهم بل يناديهم بقساوة. بارع في فن التعليم وتقريب شخصية المسيح إلى سامعيه ويشدد على ما في تعليمه من نتائج عملية. فجميع هذه الصفات توافق صفات يهودي مثقف أصبح مسيحياً[1].

ونسبة الإنجيل هذا للرسول متى غير مقطوع بها.

---

(١) من مقدمة كتاب العهد الجديد. دار المشرق بيروت ص ٣١.

فيعتقد بعض اللاهوتيين ومنه ايرينوس أن إنجيل متى كتب بالأصل باللغة الآرامية ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية. ويميل بعض النقاد إلى أن الإنجيل - إنجيل متى - هو من تأليف أحد تلاميذ متى وليس من أقوال العشار نفسه متى ومتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي ٧٥ - ٩٠ ميلادية. وهذا الاختلاف في كاتب الإنجيل وتاريخ كتابته وضياع النسخة الأصلية التي كتبت باللغة الآرامية وعدم معرفة المترجم الذي ترجمه إلى اللغة اليونانية وعدم معرفتنا بمقدار تضلعه باللغتين الآرامية واليونانية وانقطاع سند هذا الإنجيل كل ذلك يوجب ضعفه [١].

وقد وصف نورتن مترجم إنجيل متى بأنه لا يميز بين الخبيث والطيب وهو حاطب ليل لا يميز بين الرطب واليابس. وليس من البعيد أن يكون أحد أعداء المسيحيين الذين حاربوا المسيح وأتباعه قام بالدس فيه. ويقوي هذا الاحتمال ما نقله صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق عن نورثن أحد علماء النصارى عند تفسيره للفقرة الثانية والخمسين من الإصحاح السابع والعشرين منه وهو قوله:

الأرض تزلزلت وتشققت الصخور وتفتحت القبور وكثير من أجساد القديسين الراقدين قاموا وخرجوا من قبورهم بعد قيامته ودخلوا إلى المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين والآية تحكي أن المسيح قام من الأموات بعد الصلب كما يزعمون.

قال نورثن: إن هذه الفقرة مناقضة لقول بولس بأن عيسى أول القائمين وباكورة الراقدين ثم قال هذه الرواية كاذبة والغالب أن هذه الرواية كانت رائجة كالحكايات التي كانت رائجة في اليهود بعدما صارت القدس خراباً فلعل أحداً

---

(١) محمد علي برو العاملي. الكتاب المقدس في الميزان ص ٢٤٤.

كتب في حاشية النسخة الآرامية ـ العبرية ـ لإنجيل متى هذه الجملة وأدخلها الكاتب في المتن وهذا المتن وقع بيد المترجم فترجمها على أنها من الأصل[1] .

وقد جاء في الموسوعة البريطانية أن بابياس أسقف هيروبولس المتوفى عام ١٣٠م قال إن متى ألف إنجيله بالعبرية وكل شخص فسره حسب قدرته . ثم يقول كاتب الموسوعة بالحرف (إن إنجيل متى كتب بالتأكيد من أجل كنيسة يهودية مسيحية في محيط يهودي قوي لكن كون متى هو مؤلف الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد)[2] . وكون بابياس رجل دين مسيحي وهو قريب العهد من الحواريين أي عام ١٣٠م فإن شهادته من أهم الشهادات التي تؤخذ كوثيقة صادقة على التشكيك في نسبة إنجيل متى .

وقد عرفنا أن متى حسب رواية المصادر المسيحية الأولى كان جابي ضرائب . ويقول النقاد من خلال دراستهم لإنجيل متى أن صاحب هذا الإنجيل رجل عالم باليهودية متبحر بالعلوم الدينية وهذا ما يفصح عنه الإنجيل المنسوب إلى متى .

فإذا كان متى تلميذ المسيح جابي ضرائب فكيف يمكن له أن يؤلف هذا الإنجيل ويضع المعلومات هذه ويفصح عن تبحر في علوم الدين اليهودي . من أين جاء جابي الضرائب بهذه العلوم؟ .

وترى الموسوعة البريطانية أن هذا الكتاب ـ إنجيل متى ـ كان نتاج مدرسة يقودها رجل ذو معرفة ممتازة بطرق اليهود في الفهم والتعليم[3] .

---

(١) الفرق بين المخلوق والخالق ص ٢١ .

(٢) الموسوعة البريطانية . الجزء السادس ص ٦٩٧ طبعة ١٩٨٣ .

(٣) الموسوعة البريطانية . المجلد الثاني ص ٩٥٣ .

ويعرف دارسو العهد الجديد ومنهم اللاهوتيون أن متى اعتمد في كتابة إنجيله على إنجيل مرقص أول الأناجيل التي ظهرت. حيث حوى على ٦٠٠ عدد من أعداد إنجيل مرقص البالغة ٦٢١ عدداً.

فهذه المسألة تثير سؤالاً لابد منه وهو كيف يعتمد متى - وهو تلميذ المسيح - في كتابة إنجيله على من ليس تلميذ للمسيح؟ وهو مرقص، كيف يأخذ العجوز الذي تتلمذ على المسيح من شاب لم ير المسيح ولم يعايشه أو يتلق منه التعاليم؟ إن ذلك يقودنا إلى التشكيك في نسبة هذا الإنجيل إلى متى تلميذ المسيح. وإنما ألف هذا الإنجيل رجل أخذ عن مرقص أي أنه من رجل تتلمذ على يد مرقص وبهذا يكون مؤلف إنجيل متى من الفئة الثالثة في الترتيب بعد تلاميذ المسيح ومن جاء بعدهم وتتلمذ على أيديهم.

ولا ننسى قبل أن ننهي الحديث عن متى وإنجيله أن نشير إلى أن هناك شكاً كبيراً في موثوقية خاتمة هذا الإنجيل التي تقول: إن المسيح قال لتلاميذه حين ظهر لهم بعد قيامته (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس). وسبب هذا الشك أن فكرتي التثليث وعالمية الدعوة المسيحية لم تكونا شائعتين في عهد الحواريين وأن بولس الذي كتب رسالة قبل متى لم يذكر شيئاً من مواعظ المسيح بعد قيامه من لأموات[1].

أما مرقص فتتفق الروايات على أنه كان يهودياً من بيت لاوي وقد ولد في إقليم (الخمس مدن) تتلمذ على يد بطرس الحواري وقتل في الإسكندرية كما جاء في أعمال الرسل عام ٦٨م على يد الوثنيين الرومان في عهد نيرون. وقد كتب إنجيله بناءً على طلب أهل رومية وكتبه في ما بين عامي ٦٠ - ٧٠م ونقل فيه نظريات أستاذه بطرس وكان بطرس يقول بإنسانية المسيح وعدم لاهوته بالمعنى

---

(١) محمد السعدي. حول موثوقية الأناجيل. كتاب رسالة الجهاد ص ١٦ - ١٧.

الذي أراده بولس كما جاء في أعمال الرسل.

يقول ول ديورانت نقلاً عن بيباس: إن مرقص ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس وقال يتفق النقاد الثقاة بوجه عام على أسبقية إنجيل مرقص في الزمن على سائر الأناجيل وفي تحديد تاريخه بين عامي ٦٠ ـ ٧٠م[١].

ويذهب ابن البطريق في تاريخه إلى أن بطرس هو الذي كتب إنجيل مرقص بالرومية في مدينة روما ومنذ سنة ١٥٠ ميلادية قال باباس مطران هيرابولس بنسبة هذا الإنجيل إلى مرقص واعتبره لسانَ حال الرسول بطرس في رومه. وكانوا يقولون إن الكتاب أُلف في رومة بعد وفاة بطرس أو قبل وفاته حسب ما قاله اكليمندس الإسكندري. أما مرقص فكانوا يعتقدون أنه يوحنا مرقص المولود في القدس ورفيق بولس وبرنابا ثم رفيق بطرس في روما على الأرجح.

ويكاد يكون إجماع على أن الكتاب أُلف في رومة بعد اضطهاد نيرون سنة ٦٤ وقد تدل على ذلك بعض الألفاظ اللاتينية في صيغة يونانية وبعض التركيبات اللاتينية والكتاب موجه إلى غير اليهود من خارج فلسطين لما يظهر فيه من الاهتمام بشرح العادات اليهودية وترجمة الألفاظ الآرامية والتشديد على أهمية الإنجيل للوثنيين ويرى كافة النقاد أن الخاتمة التي وضعت في نهاية إنجيل مرقص ليست الخاتمة الحقيقية وقد أضيفت هذه الخاتمة الجديدة لتخفيف ما في نهاية الكتاب من توقف فجائي في المقطع الثامن ولكننا لن نعرف أبداً هل فقدت خاتمة الكتاب الأصلية أم أن هل رأى مرقص أن الإشارة إلى تقليد الترائيات في الجليل في الآية لا تكفي لاختتام روايته[٢].

وقد جاء في الموسوعة البريطانية أنه بالرغم من أن مؤلف إنجيل مرقص

---

(١) قصة الحضارة: ١١/ ٢٠٧ـ٢٠٨.

(٢) العهد الجديد. منشورات دار المشرق. الطبعة ١٢. ص ١٥٣ ـ ١٥٤. طبعة ١٩٨٦.

غير معروف على الأرجح فإن قيمة هذا الكتاب وسلطته مستمدة تقليدياً من علاقة مؤلفه المفترضة بالحواري بطرس[1].

والواقع أنه ليس هناك شاهد من داخل إنجيل مرقص يدل على أن كاتبه هو مرقص تلميذ بطرس.

يقول ابن القيم: كتب مرقص إنجيله بالعبرانية وفي زمانه صار إلى الإسكندرية فدعا إلى الإيمان بالمسيح. وهو أول شخص جعل بتركاً على الإسكندرية وصيّر معه اثني عشر قسيساً على عدة نقباء بني إسرائيل في زمن موسى. وأمرهم إذا مات البترك أن يختاروا من الاثني عشر واحداً يجعلونه مكانه. وخرج مرقص إلى برقة يدعو الناس إلى دين المسيح. وفي عصره كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقص عنه بالرومية ونسبه إلى مرقص. وأقام مرقص بالإسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح ثم قتل بالإسكندرية وأُحرق جسده بالنار[2].

أما لوقا فهو صاحب ما يسمى الإنجيل الثالث. وتقول مقدمة العهد الجديد الصادر عن دار الشرق أنه لا يمكن الجزم في أصل هذا الإنجيل دون البحث فيما ورد في كتاب أعمال الرسل. وهو يرتبط به ارتباطاً وثيقاً فلابد هنا من الاقتصار على جميع الموارد التي نجدها في كتاب لوقا الأول. إن النقاد كثيراً ما يعتمدون في تحديد زمن تأليف هذا الكتاب على المكان الذي يحتله لخراب القدس وعلى كيفية انفصال ذلك الحدث عن النظرة الأخروية التي يربطه بها متى ومرقص. ويبدو أن لوقا قد عاصر حصار المدينة وخرابها وعرف كيف قامت بهما جيوش طيطس سنة ٧٠م فيكون الإنجيل لاحقاً لهذا التاريخ. فالنقاد غالباً ما

---

(١) الموسوعة البريطانية. المجلد الثاني ص ٩٥١.

(٢) ابن القيم الجوزية. هداية الحيارى ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

يحددون تأليفه بين السنة ٨٠ ـ ٩٠ ومنهم من يجعل له تاريخاً أقدم.

إن الكتاب موجه أو مرفوع إلى ثاوفيلس ولكنه موجه خاصة من خلال هذا الرجل إلى مسيحيين ذوي ثقافة يونانية. وعلى هذا الأمر عدة أدلة. فهناك لغته وتعليقاته على جغرافية فلسطين. وعلى العادات اليهودية. وهناك قلة اهتمامه بالمجادلات في الشريعة. وهناك اهتمامه بالوثنيين وتشديده على ما للذي قام من بين الأموات من حقيقة جسدية. يصعب على اليونانيين أن يسلموا بها.

ولوقا ينتمي إلى العالم الهلنستي بلغته وبعدد من الميزات التي سبق ذكرها وغالباً ما تبين للنقاد عدم معرفته لجغرافية فلسطين ولكثير من عادات هذا البلد. وتؤكد المصادر المسيحية التقليدية أن كاتب الإنجيل الثالث هو لوقا الطبيب الذي ذكره بولس وقد وجد الكثيرون دليلاً على مهنة هذا الإنجيل الطبية في دقة وصفه للأمراض. ولكن هذا الدليل ليس قاطعاً. لأن المفردات التي يستعملها لا تختلف عن المفردات التي كان يستعملها كل إنسان مثقف في ذلك الزمان. أما علاقته ببولس فلسنا نجد في الإنجيل ما يساعدنا على كشفها سوى بعض الألفاظ فلابد للبتّ في هذا الموضوع من البحث في شواهد كتاب أعمال الرسل (١).

وقد جاء في مقدمة إنجيل لوقا ما يلي: (لما أخذ كثير من الناس يدونون رواية الأمور التي تمت عندها كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهودَ عيان للكلمة ثم صاروا عاملين لها رأيت أنا أيضاً وقد تقصيتها جميعاً من أصولها أن أكتبها لك مرتبةً يا ثاوفيلس المكرم لتتيقن صحة ما تلقيت من تعليم).

وهذه شهادة لوقا نفسه على أن تأليف الكتاب تم من قبله وقدمه لشخص يوناني ليعرف أخبار المسيح عليه السلام.

---

(١) العهد الجديد. طبعة دار المشرق بيروت. مقدمة إنجيل لوقا ص ٢٢٧.

وعلى الرغم من ذلك فإن اعترافه ليس حاسماً وكافياً لإثبات أن ذلك المؤلف كان لوقا وهي لا تقدم أي ترجمة لشخصية ثاوفليس هذا[1] .

وترى بعض المصادر المسيحية أن لوقا كان تلميذ بولس. ولكن الموسوعة البريطانية تشير إلى أن أفكار بولس لا تجد لها مكاناً في إنجيل لوقا. وأن هناك اختلافات في وجهات النظر بين كتابات الرجلين وتنتهي إلى القول: (باختصار إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولاً)[2] .

ولوقا من أهل أنطاكية وهذا يعني أنه عرف بولس والاثنان لم يريا المسيح عليه السلام يقول ول ديورانت: والإنجيل حسب نص القديس لوقا ـ وهو النص الذي يُعزى عادة إلى العقد الأخير من القرن الأول يعلن أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح والتوفيق بينها. وأنه يهدف إلى هداية الكفرة لا اليهود. وأكبر الظن أن لوقا نفسه كان من غير اليهود وأنه كان صديق بولس مؤلف سفر أعمال الرسل. وهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقص كما يقتبس منها متى. فإنك لتجد في إنجيل متى ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها النص المعتمد لإنجيل مرقص وتجد منها ثلاثمائة وخمسين في إنجيل لوقا تكاد تكون هي بنصها. وفي إنجيل متى كثير من الفقرات التي توجد في لوقا ولا توجد في إنجيل مرقص[3] .

وهناك تشابه واضح بين مقدمة إنجيل لوقا ومقدمة أعمال الرسل من حيث هما موجهتان إلى رجل واحد اسمه ثاوفليس ومن هنا يرى كثير من الباحثين أن مؤلف إنجيل لوقا ومؤلف أعمال الرسل هو واحد.

---

(١) محمد السعدي. حول موثوقية الأناجيل ص ١٨ .

(٢) الموسوعة البريطانية. المجلد الثاني ص ٩٤٥ .

(٣) قصة الحضارة. ول ديورانت ١١/ ٢٠٩ .

أما يوحنا فهو كما يرى بعضهم أنه صاحب الإنجيل الرابع وتدور حوله آراء مختلفة لعدد من النقاد والباحثين وحتى اللاهوتيين المسيحيين.

أما إحدى مقدمات الإنجيل فتقول: أما المؤلف وتاريخ وضع الإنجيل الرابع فلسنا نجد في الكتاب نفسه أي دليل واضح عليهما وربما كان ذلك مقصوداً فيجب أن يتوقف الانتباه لا على الشاهد بل على من هو موضوع البشارة والتأمل غير أن الآية التي أضيفت لا تتردد في التوحيد بين المؤلف والتلميذ الذي أحبه يسوع والوارد ذكره مراراً كثيرة في أحداث الفصح.

إن التقاليد الكنسية تسميه يوحنا منذ القرن الثاني وتوحد بينه وبين أحد ابني زبدي أحد الاثني عشر. هناك جزء من مؤلف لبابياس مطران هيرابوليس يرقى تاريخه إلى نحو سنة ١٤٠م وفيه يقول: لن أتردد أن أضع بين التفسيرات تلك الأمور التي تعلمتها تعليماً حسناً جداً ذات يوم عن الأقدمين. فحفظتها حفظاً حسناً جداً في ذاكرتي بعد أن تحققت صحتها. وإن وصل أحد كان من تابعة الأقدمين. كنت أستعلم منه من أقوال الأقدمين ما قاله أندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو غيرهم من التلاميذ أو ما يقوله أرستيون ويوحنا القديم تلميذان للرب.

ويقول إيريناوس: عن يوحنا: فقد أصدر إنجيله هو أيضاً في أثناء إقامته في أفسس وجاء في المقدمة أيضاً: في ذلك الزمان كانوا يميلون وإن تردد بعضهم إلى أن ينسبوا إلى أحد الاثني عشر المؤلفات التي تعد قانونية. أما الإنجيل الرابع فنحن أمام شبه إجماع فجميع المؤلفين يتحدثون عن نسبته إلى يوحنا أحد الاثني عشر تحدثُّهم عن أمر أكيد. وكانت هناك حلقة صغيرة من الرومان وعلى رأسهم الكاهن كايوس يعربون عن ترددهم في هذا الأمر دون اللجوء إلى التقليد.

وفي أوائل القرن التاسع عشر شدد النقاد والدارسون للعهد الجديد على ما هنالك من فوارق بين يوحنا والازائيين وعلى ما يظهر فيه من تطور لاهوتي. فإن لم يكن المؤلف على حد قولهم شاهد عيان فليس لمؤلَّفه أية قيمة تاريخية في أغلب الأحيان. وكانوا ينظرون إلى صاحب الإنجيل الرابع نظرهم إلى اللاهوتي الذي حقق في أواسط القرن الثاني نوعاً من التوفيق بين التيارات البطرسية والتيارات البولصية. لاشك أن رد الفعل عند البيئات الكنسية كان شديداً أول الأمر لأنهم كانوا يربطون إلى حد بعيد بين مسألة هوية المؤلف ومسألة قدرته على الشهادة وكادوا يجعلون من نسبة النص إلى يوحنا الرسول نفسه مسألة إيمان وتقول مقدمة العهد الجديد: أما اليوم فقد تعلمنا أن نحسن التمييز بين المسائل ويمكننا اليوم بفضل الخطوات التي خطاها التفكير في التاريخ وفنونه أن نتخلص من المسائل التي لا غنى عنها عن اختيار أحد شقيها.

ولابد من الإشارة إلى أن جزءاً من الإنجيل الرابع - وقد نشر - عثر عليه في مصر ويرقى تاريخه حسب رأي الخبراء إلى السنوات ١١٠ - ١٣٠م وقد فرض على النقاد العودة إلى أمر تقليدي وهو صدور الإنجيل الرابع في أواخر القرن الأول. ومن المحتمل جداً أن يُحدَّد مكانه في كنيسة من كنائس أسيا (أفسس) وليس لنا أن نستبعد استبعاداً مطلقاً الافتراض القائل بأن يوحنا الرسول هو الذي أنشأه ولكن معظم النقاد لا يتبنون هذا الاحتمال. فبعضهم يتركون تسمية المؤلف فيصفونه بأنه مسيحي كتب باليونانية في أواخر القرن الأول في كنيسة من كنائس أسية حيث كانت تتلاطم التيارات الفكرية بين العالم اليهودي والشرق الذي اعتنق الحضارة اليونانية. وبعض يذكرون بيوحنا القديم الذي تكلم عليه بابياس وبعضهم يضيفون أن المؤلف كان على اتصال بتقليد مرتبط بيوحنا الرسول فلا عجب أن يكون للتلميذ الذي أحبه يسوع تلك المكانة السامية فوحد بينه وبين يوحنا بن زبدي ومن الغريب أن يوحنا هو الرسول الكبير الوحيد الذي لم يرد

اسمه قط في الإنجيل الرابع[1] . لكن هذا الرأي ليس الوحيد بين الآراء. فبعد الدراسة والتمحيص خرجت آراء حول يوحنا تناقض ما جاء في الرأي الأول.

فعند مطالعة هذا الإنجيل نلاحظ أن المؤلف يتحدث بصيغة الغائب وكأنه لم يشهد الأحداث التي يرويها. وحين نأتي إلى الخاتمة نجد ما يلي (هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق وأشياء أخرى كثيرة صنعها المسيح إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة. فهذه الخاتمة تشير إلى أن المؤلف هو تلميذ ولكنها لا تذكر اسمه ولا تكشف عن شخصيته. ومن جهة أخرى فإن كاتب الخاتمة يتحدث أولاً بصيغة الغائب (كتب) ثم بصيغة جميع المتكلمين (نعلم) ثم بصيغة المفرد المتكلم (لست أظن) وهذا الاضطراب يدعو إلى الشك في كون كاتب هذه الخاتمة هو يوحنا. وهكذا نجد أن هذه الخاتمة ليست حاسمة في إثبات صحة نسبة هذا الإنجيل ليوحنا)[2] .

يختلف إنجيل يوحنا عن بقية الأناجيل الثلاثة في أمور حساسة. فهو الإنجيل الوحيد الذي ينص بصراحة على ألوهية المسيح حيث ينقل هذا الإنجيل عن يوحنا أنه قال: أنا والأب واحد. الذي رآني فقد رأى الأب. أنا في الأب والأب فيّ وهذا ليس موجوداً في بقية الأناجيل. ثم يذكر هذا الإنجيل أن المسيح صُلب يوم ١٤ نيسان بينما يفهم من غيره أن المسيح صلب يوم ١٥ نيسان. ولا يذكر يوحنا تفاصيل رواية القربان المقدس أو العشاء الأخير التي أصبحت فيما بعد من الشعائر الهامة لدى المسيحيين ولا يذكر أن المسيح تعمد على يد يوحنا. وإنجيل يوحنا يقول إن دعوة المسيح استغرقت ثلاث سنوات بينما الأناجيل

---

(١) العهد الجديد. دار المشرق بيروت. ص ٣٤٩ من مقدمة الإنجيل.

(٢) محمد السعدي. حول موثوقية الأناجيل. ص ١٩ ـ ٢٠.

الأخرى تقول إن دعوته استغرقت عاماً واحداً.

إن ذلك دفع بعض الدارسين إلى القول بأن إنجيل يوحنا لم يكتبه يوحنا بل شخص آخر أو مجموعة كتاب. يقول كاتب الموسوعة البريطانية: لقد ذكر الأسقف باباس المتوفى عام ١٣٠م يوحنا بن ربدي الحواري وذكر يوحنا آخر هو يوحنا الكاهن اللذين ربما كان يعيشان في أفسس. ومن داخل الإنجيل يفهم أنه كتبه حواري محبوب مجهول الاسم.

وبما أن الشواهد الداخلية مشكوك فيها فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هي أن إنجيل يوحنا ورسائله حررت في مكان ما في الشرق ربما في أفسس كإنتاج لمدرسة أو دائرة متأثرة بيوحنا في نهاية القرن الميلادي الأول[١].

ويقول موريس بوكاي حول مؤلف إنجيل يوحنا: كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمي إلى أكثر من كاتب واحد[٢].

ولما كان إنجيل خامس قد وصلنا بكماله وتمامه وينسب إلى برنابا فإننا لابد أن نسلط الضوء عليه لنعرف مدى صحة هذا الإنجيل ومدى نسبته إلى برنابا.

فبرنابا قديس اسمه يوسف وكان يهودياً من اللاويين. ذهب بعض الباحثين إلى أنه من الحواريين الذي اختصهم المسيح بالزلفى إليه والتقرب منه وملازمته في سرائه وضرائه.

فالشيخ محمد أبو زهرة يرى أن برنابا من الحواريين بناءً على وجود إنجيل

---

(١) الموسوعة البريطانية. المجلد الثاني ص ٩٥.

(٢) موريس بوكاي. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. ص ٩١.

باسمه[1] .

ويرى محمد رشيد رضا أن برنابا حواري من أنصار المسيح الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل. صحبه بولس زمناً بل كان هو الذي عرف التلاميذ ببولص بعدما أعلن هدايته ورجع إلى القدس. وهذا يدل على أن التلاميذ كانوا لا يثقون ببولس حتى رشحه لهم برنابا.

وقد جاء في إنجيل برنابا الكثير من المواقف التي تدل على أنه صاحب السيد المسيح من أول ما آمن به حتى رفعه إلى السماء.

فلقد ورد مثلاً: (فلما رأى يسوع أن الجمهور الذي عاد إلى نفسه ليسلك في شريعة الله جمهور غفير صعد الجبل ومكث كل الليل للصلاة. فلما طلع النهار نزل من الجبل وانتخب اثني عشر سماهم رسلاً منهم يهودا الذي صلب أما أسماؤهم فهي اندراوس وأخوه بطرس الصياد وبرنابا الذي كتب هذا مع متى العشار الذي يجلس للجباية ويوحنا ويعقوب ابنا زبدي وتداوس ويهودا وبورتولو ماوس وفيلبس ويعقوب ويهودا الاسخريوطي الخائن فهؤلاء كاشفهم على الدوام بالأسرار الإلهية)[2] .

وقد ورد اسمه في أعمال الرسل: (ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ وهو لاوي قبرصي الجنسية إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل) العهد الجديد وأعمال الرسل ٤ : ٣٧ ص ٢٠٢.

وجاء في أعمال الرسل أيضاً: (ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة. محاضرات في النصرانية ص ٧٢.

(٢) إنجيل برنابا ص ١٦.

يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع) ٩ : ٢٨ ص ٢٠٦ .

وورد في ذكره في النص التالي : (رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبنا برنابا وبولس) ١٥ : ٢٥ ص ٢١٩ .

ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا (لنرجع ونتفقد إخوتنا في كل مدينة ناديا فيه بكلمة الرب كيف هم فأشار برنابا أن يأخذ معهما أيضاً يوحنا الذي يُدعى مرقص) . ١٥ : ٢٦ ـ ٢٧ .

وقد ورد ذكر إنجيل برنابا فيما ينسب لقدامى رجال الكنيسة من بحوث وقرارات ومن ذلك القرار الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي تولى البابوية الكاثوليكية بروما سنة ٤٩٢ ـ ٤٩٦ وعدد فيه الكتب المنهيّ عنها وعن قراءتها وذكر من بين الكتب إنجيل برنابا . وهذا يدل على أن إنجيل برنابا كان معروفاً في القرن الخامس الميلادي أي قبل مولد الرسول محمد ﷺ.[١]

ولعل هناك أكثر من سبب دفع ذلك البابا وبعض رجال الكنيسة الكاثوليكية لرفض إنجيل برنابا واعتباره إنجيلاً غير قانوني . من هذه الأسباب قول برنابا بأن المسيح عليه السلام نبي مرسل وليس بإله ومنها أيضاً قوله بتبشير المسيح عليه السلام بالرسول محمد ﷺ . وهذا ما يتوافق مع القرآن ولا يتوافق مع النظرة الكنسية التي سادت وما زالت تسود في الكنيسة الكاثوليكية وغيرها . ولعل أهم ما في هذا الإنجيل أنه يرى أن المسيح لم يصلب ولم يقتل كما يدعي اليهود بل رفعه الله إلى السماء . وهذا أيضاً ما يعارض كلياً العقيدة المسيحية .

---

(١) د . علي عبد الواحد وافي . الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام ص١٠٩ .

وبعد اختفاء طويل لإنجيل برنابا دام حوالي أربعة عشر قرناً ظهر هذا الإنجيل بين الناس وقد تحدث الباحثون عن هذا الموضوع واتفقوا على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل نسخة مكتوبة باللغة الإيطالية عثر عليها كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا وكان مقيماً وقتئذ في أمستردام. وكان هذا العثور على النسخة المذكورة في مكتبة أحد المشاهير ووجهاء المدينة المذكورة.

في سنة ١٧١٣م أهدى صاحب المكتبة هذه النسخة إلى البرنس أبوجين سافوي. ثم انتقلت بعد ذلك في سنة ١٧٣٨ مع سائر مكتبة البرنس إلى مكتبة البلاط الملكي في فيينا حيث لا تزال هناك حتى الآن [١].

---

(١) مقدمة النسخة العربية لإنجيل برنابا. ترجمة الدكتور خليل سعادة.

كتاب مقدس في سيناء

من خلال جهود قام بها بعض الباحثين الغربيين المتخصصين في الكتاب المقدس والشرقيات تبين لدى بعضهم أن نسخة من العهد الجديد وخاصة ما يسمى إنجيل مرقص قد اكتشفت في دير القديسة كاثرينا في صحراء سيناء. وقد تناول هذه الجهود وهذه الاكتشافات الباحث الكاتب جيمس بنتلي وضم الحديث عنها في كتاب أطلق عليه (اكتشاف الكتاب المقدس قيامة المسيح في سيناء) ولأن البحث والجهود تناقض ما درجت عليه الكنيسة وما قالته بغية الأناجيل رأينا أن نورد ملخصاً لأهم ما جاء في هذا الكتاب من نظريات حول هذه الفكرة بالذات.

فقد كشفت المخطوطة السينائية التي عدها تشيندروف (أقرب النصوص إلى الأناجيل المسندة) وجود فقرات محذوفة. فالإنجيل حسب مرقص بموجب المخطوطة السينائية وخلافاً للأناجيل الثلاثة الأخرى خال من أية إشارة إلى ظهور المسيح أمام أتباعه بعد قيامته وقد ورد في الإصحاح ١٦ من إنجيل مرقص وصف لقيامة المسيح عندما قامت ثلاث نسوة إحداهن مريم المجدلية والأخرى مريم والدة التلميذ يعقوب والثالثة سالومي بحمل أطياب لدهن جسد المسيح المفترض أنه مسجّى في قبره. وبينما كانت النسوة الثلاث في حيرة من أمرهن في محاولة العثور على شخص يساعدهن في دحرجة الصخرة الضخمة التي كانت مثبتة في مدخل القبر شاهدن الصخرة وهي تتدحرج من تلقاء نفسها وما أن دخلن القبر حتى شاهدن شاباً يرتدي ثياباً بيضاً جالساً على الجانب الأيمن من القبر وإذ لحظ الدهشة على وجوههن خاطبهن قائلاً لا تخشين شيئاً فأخبرهن بأن المسيح

في الناصرة الذي صلب غير موجود في التابوت ثم ناولهن رسالة من المسيح موجهة إلى أتباعه جاء فيها سيتوجه قبلكم إلى الجليل وستشاهدونه هناك كما أخبركم.

ويبدو من الغريب أن لا تسلم النسوة الرسالة إلى التلاميذ كما ورد في إنجيل مرقص ويرد وصف الحادث في المخطوطة السينائية على الشكل التالي: (بدا الرعب واضحاً على وجوه النسوة عند خروجهن من القبر ولم ينبسن بكلمة لأي شخص) وبموجب المخطوطة السينائية فإن إنجيل مرقص ينتهي بهذه الجملة لكنه لا ينتهي على هذا النحو في نص الكتاب المقدس الإنجليكاني ونصوص الكنائس الأرثوذكسية الأخرى إذ أن نصوصها تستمر بالآيات الاثنتي عشرة الأخرى.

وإذا كان نص المخطوطة السينائية يمثل ما ورد حقاً على يد الشخص الذي كتب هذا الإنجيل فإن الآيات الاثنتي عشرة ٩ ـ ٢٠ في الإصحاح ١٦ من إنجيل مرقص منحولة شأنها شأن نص الشهود السماويين الثلاثة الذي كشفه ريتشارد بورسون. وقد فضح اكتشاف تشيندروف العظيم إضافة خطرة أخرى إلى النص الأصلي إلى جانب الدفاع عن الرواية التقليدية للإنجيل.

وليس هناك أدنى شك بأن الناسخ الذي اختتم المخطوطة السينائية بإنجيل مرقص قد أنهاها بالآية ٨ من الإصحاح ١٦ وأشَّر النص بخط دقيق كتب تحته (الإنجيل حسب مرقص وبعدها مباشرة يبدأ إنجيل لوقا)[(١)].

مما تقدم نرى أن الأناجيل أضيفت إليها جمل ومقاطع لم يعرف مؤلفوها. وإذا كان إنجيل مرقص شاهداً على ذلك فإننا سنضع الأناجيل الأربعة تحت

---

(١) جيمس بنتلي. اكتشاف الكتاب المقدس. ص ١٢٥ ــ ١٢٦ ترجمة أسيا محمد الطريحي.

المجهر لنرى ماذا حوت ومدى التوافق بينها والاختلاف.

لقد اتفق الباحثون واللاهوتيون أن إنجيل متى أُلف في سنة ٦٠ بعد الميلاد. وعلى الأرجح ألف مرقص إنجيله سنة ٦٣م ولوقا ألف إنجيله حوالي ٦٣ ـ ٦٥م. أما إنجيل يوحنا فكان تأليفه سنة ٩٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال. أما إنجيل برنابا فقد عُرف عنه أنه كان مؤلفاً وموجوداً قبل القرن الخامس الميلادي.

وقد أشرنا إلى أن الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على عيسى عليه السلام قد فُقد ولم يُعرف عنه شيءٌ وذلك في صفحات هذا الفصل الأولى.

ولو عدنا إلى آيات القرآن الكريم وجدنا أنها أشارت إلى تحريف التوراة ولم تشر إلى تحريف الإنجيل. فلماذا ذلك؟

الواقع أن هذه المسألة تثير كثيراً من التساؤل حتى أن بعض المسيحيين قالوا إن عدم إشارة القرآن الكريم لتحريف الإنجيل يعني أنه غير محرف وتناسوا فضح القرآن الكريم لعقيدة التثليث وكفر الذين قالوا بذلك.

على أية حال فإن لنا وجهة نظر نعتقد أنها الجواب الشافي لتلك التساؤلات. وهي بكل بساطة تتخلص في أن إنجيل المسيح عليه السلام أخفي تماماً وليس ما ورد في الأناجيل سوى تأليف أناس ليس لهم علاقة بالتوحيد المسيحي وليس هم من تلقوا الإنجيل عن المسيح كما أنزل عليه. ولو بقي من إنجيل عيسى شيء في هذه الأناجيل وحرف شيء آخر لأشار القرآن الكريم لذلك. وهذا يقودنا مباشرة إلى مسألة هامة وهي هل الأناجيل كلام الله أوحي به إلى هؤلاء الذين ألفوا الأناجيل أم أنهم كتبوها حسب رؤيتهم وحسب أهوائهم بعيداً عن الوحي وبعيداً عن إنجيل المسيح نفسه.

الأناجيل والوحي

هل أشارت الأناجيل كيف نزل الوحي بالإنجيل على عيسى المسيح عليه السلام؟

ما هي أسس الوحي حتى تكون الأناجيل المؤلفة وحياً من الله؟

أليس اختلاف روايات الأناجيل دليلاً على عدم مصدرها الواحد وعلى عدم وجود وحي؟

وهناك أسئلة كثيرة تُثار حول هذه المسائل سنتعرض لها من خلال هذه الصفحات.

لماذا يفتتح الإنجيل بهذه العبارة «طبقاً لـ».

لماذا يبدأ كل إنجيل بهذا الاستهلال - طبقاً لـ . . طبقاً لـ. ذلك لأنه ولا نسخة واحدة من الأربعة آلاف مخطوطة التي ما تزال موجودة وهي موضع المباهاة والتفاخر لا نسخة واحدة تحمل اسم مؤلفها ولا توقيعه. لهذا السبب فإن افتراض العبارة طبقاً لـ هي أن الدليل الداخلي يبرهن على أن القديس متى لم يكن مؤلفاً للإنجيل الأول من العهد الجديد الذي يحمل اسمه.

جاء في إنجيل متى ٩ : ٩ وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى فقال له اتبعني فقام وتبعه.

ولا يحتاج الإنسان إلى ذكاء خارق ليستنتج أن ضمير الغائب (رأى هو) اتبعني سواء في حالة الفاعل أو المفعول به في الخبر السابق (متى ٩ : ٩) وكذلك

ضمير الغائب بالنسبة إلى متى ـ فقام هو ـ مما يدل على أنه ليس يسوع وليس متى مؤلف هذا الإنجيل ولكنه شخص ثالث دوّن ما رأى وما سمع إنها مدونات إخبارية شائعة . وذا لم نقدر أن نعزي هذه الإنجيل وننسبه (كتاب الأحلام) مثل الإنجيل الأول كما يوصف وننسبه إلى الحواري متى فكيف نذعن له ونقبله على أنه كلام الله؟

ونحن لسنا الوحيدين في هذا الكشف العلمي بأن متى الحواري لم يدوِّن الإنجيل طبقاً لرواية القديس متى وإن كاتبه مجهول لم يذكر اسمه ولم يوقع بتوقيعه عليه[1] . وهناك شهادات لقساوسة مسيحيين تؤكد مجهولية كاتب هذا الإنجيل .

ومن هذا الشهادات شهادة القس فيلبس من الكنيسة الإنجليكانية البريطانية وهو من أشهر رجال هذه الكنيسة يقول فيها : (تنسب التقاليد القديمة جداً هذا الإنجيل إلى الحواري متى ولكن علماء العصر الحاضر غالباً ما يرفضون هذا الرأي) وبمعنى آخر فإن الحواري متى لم يدون هذا الإنجيل الذي يحمل اسمه . ويتابع القس فيلبس قوله : (إن المؤلف الذي مازلنا للموافقة ندعوه متى ، وسبب ذلك في كل مرة نريد الإشارة إلى متى فلابد أن نقول الكتاب الأول من العهد الجديد إصحاح كذا وكذا الإعداد كذا وكذا وهكذا المرة تلو المرة الكتاب الأول . .) الخ ومن ثم فإنه وفقاً لرأي فيلبس إنه من التوافق والمواءمة أن نعطي الكتاب عنواناً ولماذا لا يكون العنوان طبقاً لرواية متى لقد ارتأى ذلك أنه عنوان جيد اسم علم كأي كتاب آخر ويقول فيلبس : (إن المؤلف اعتمد بكل الوضوح على مصدر خفي يرمز له بالحرف الإنجليزي Q ولعله يكون مجموعة من التراث الديني الشفاهي) فما هو هذا الكتاب الخفي المرموز له بالحرف الإنجليزي Q إنه

---

(١) أحمد ديدات . هل الكتاب المقدس كلام الله . ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

اختزال للكلمة الألمانية Quella والتي تعني مصادر. ومن المفروض وجود وثيقة أخرى ـ مصدر مشاع ـ الذي استمد منه كل من متى ومرقص ولوقا مدخلاً لأناجيلهم. هؤلاء المؤلفون الثلاثة أياً كانوا عاينوا بنظرة صائبة مشتركة مادة التأليف المتاحة وكتبوا كما لو كانوا يعاينون مادة الكتابة بنظرة واحدة مشتركة ولأنهم تواجهوا وجهاً لوجه وعيناً لعين فإن الأناجيل الثلاثة أُطلق عليها الأناجيل التوفيقية.

وتحت عنوان سرقة بالجملة يقول الشيخ أحمد ديدات:

ولكن ماذا عن الوحي؟ ماذا عن حرفة الإلهام. لقد أصاب القس الإنجليكاني فيلبس والمربوط على ميزانية أبرشيته ـ المرمى فإنه أوفر من أي مسيحي آخر مفوض لمثل هذا العمل. إنه قسيس الكنيسة يتقاضى راتباً أرثوذكسي المذهب مسيحي إنجيلي. يقول: (إن القديس متى استخدم مادة إنجيل مرقص بتصرف مطلق في إنجيله أي بلغة مدرِّسي المدارس. إنه نسخ صورة طبق الأصل إجمالية من إنجيل مرقص. ومع هذا فإن المسيحيين يطلقون على انتحال أو سرقة المؤلفات بالجملة إنها كلام الله).

ويبرز السؤال المفروض: لماذا ينتحل شاهد عيان وهو متى من إنسان كان يكتب عن الأحاديث الشائعة وقتئذ؟ إن الحواري متى لن يقدم على عمل أحمق كهذا فلابد وأن تكون هناك وثيقة أخرى مجهولة المؤلف وبلا توقيع فرضت فرضاً على اسم متى لتحظى بشرف انتسابها إليه.

ويتضح أن ٨٥ بالمئة من سرقات كتاب مرقص وانتحالها من كتابي متى ولوقا تضع إنجيلهما في صور لا معنى لها بالمقارنة بالاختطافات الأدبية لمؤلفي مؤلفات العهد القديم حيث أن ١٠٠ بالمئة من هذه السرقات حدثت فيما يطلق عليه أنه كتاب الله (الكتاب المقدس) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن

الاختلاف في المنهج وأسلوب الكتابة وحتى كتابة المقدمة والابتداء يدل على أن كل مؤلف من مؤلفي الأناجيل كتب إنجيله على هواه وبما تقتضيه المصلحة والزمان والمكان. فلوقا يعترف في مقدمة الكتاب أنه رأى تقصي رواية الأمور وكتابتها. وخاطب المدعو تاوفيلس بأنه سيؤلفه له لتتيقن صحة ما تلقى من تعاليم.

لقد جمع الإنجيليون ودونوا وفقاً لنظراتهم الخاصة ما أتاهم من التقاليد الشفهية لكنهم لم يكتفوا بذلك فقد كانوا يشعرون هم أيضاً أنهم يعلنون البشرى لأهل جيلهم ويرغبون في التعليم وفي الجواب عن مشاكل الجماعات التي كانوا يكتبون لأجلها[1].

والمرور في مرحلة التقليد الشفهي يبين لنا أيضاً لماذا يبدو الكثير من الفقرات وحدات أدبية صغيرة مركزة على قول من أقوال يسوع أو عمل من أعماله بلا إطار زمني أو جغرافي دقيق. وتدل على ذلك الأمر العبارات المدخلية غير الواضحة في حد ذاتها (في تلك الأيام) متى ٣/ ١ مرقص ٨/ ١ وفي ذلك الزمان متى ١١/ ٢٥ وبعد ذلك لوقا ١٠/ ١ فكل من هذه الروايات كان لها أولاً وجود مستقل عن الأخرى وغالباً ما كان تنسيقها مع صنع الإنجيليين. وبحكم استعمال تلك التقاليد عند الأجيال الأولى انصهرت الذكريات المروية في صيغ أدبية ثابتة إلى حد ما.

كيف يجب النظر إلى تلك التقاليد إذا كانت تأثرت مثل هذا التأثر وهي تستعمل قبل أن تتخذ صورة ثابتة في الأناجيل وأية ثقة توليها وما هي الصلة بينها وبين تاريخ يسوع. فلهذا الكلام الوارد في مقدمة أحد نسخ الأناجيل الصادرة عن دار المشرق في بيروت يقودنا إلى السؤال عن صلة الأناجيل المؤلفة

---

(١) العهد الجديد. مدخل إلى الأناجيل الإزائية ص ٢٢.

بالوحي. فأي وحي ينطبق عليها ما دامت فيها هذه الإشكالات.

ثم إن الأناجيل حسب اعتراف الكهنوت المسيحي تعبر عن بيئات مختلفة. فالأناجيل الثلاثة باستثناء يوحنا وضعت قبل هذا الإنجيل. أما إنجيل متى وإنجيل لوقا فلا تنعكس فيهما البيئات نفسها لأنهما وجِّها إلى بيئات أخرى. وحسب رأي المسيحيين اللاهوتيين فقد وضعا بعد إنجيل مرقص بخمسة عشر إلى عشرين سنة.

ويجمع النقاد على بعض الأمور، أولها أصل الأناجيل. فهناك عاملان كان لهما تأثير في حالة النصوص كما هي الآن، هما عمل الجماعة التي كونت التقليد الشفهي والخطي وعمل الكاتب الذي نسّق مختلف التقاليد.

إذاً فقد ساهم في إيصال الأناجيل بصيغتها الحالية عاملان وقد كان للكاتب الإنجيلي دور التنسيق لمختلف التقاليد التي وردت شفاهية من الجماعات النصرانية الأولى ولعلنا حين ننظر إلى طريقة تأليف الأناجيل التي دونها اللاهوتيون نرى أن إنجيل متى يفتقد إلى اللحمات الزمنية باستثناء فقرتين هما ٤/ ١٧ و١٦/ ٢١ وهي لا قيمة لها.

وأما الإشارات المكانية فهي غامضة لا تمكّن من تحديد مسيرة مفصلة. ونختار رواية متى بالإيجاز. فما هو قصة عند مرقص يحل محلها عند متى عرض تعليمي ديني بسيط لا بل مقتضب. ومتى مولع بالمجموعات العددية وكلمات الوصل بينما يقتصر مرقص ولوقا على وضع مراجعها جنباً إلى جنب. ويؤلف خطباً ليضفي عليها طابع الاستيعاب.

ومن ميزات تأليف متى أنه الأكثر تشديداً على الشريعة وما يسمى الكتاب المقدس والعادات اليهودية فهو يتبنى الأركان الثلاثة الكبرى التي تقوم عليها التقوى اليهودية. الصدقة والصلاة والصوم.

أما إنجيل مرقص فيبدو سلسلة روايات قصيرة على العموم خالية من الروابط الدقيقة والإطار الأكثر ظهوراً للعيان يقوم على الإشارات الجغرافية.

ويؤكد اللاهوتيون أن إنجيل مرقص قد ألف في روما بعد اضطهاد نيرون سنة ٦٤م وقد تدل على ذلك بعض الألفاظ اللاتينية في صيغة يونانية والكتاب موجه لغير اليهود في خارج فلسطين لما يظهر فيه من الاهتمام بشرح العادات اليهودية وترجمة الألفاظ الآرامية والتشديد على أهمية الإنجيل للوثنيين.

فإذا كان إنجيل متى وإنجيل مرقص وحياً من الله فهل هذا الوحي يكون تارة باللغة الآرامية العبرانية وتارة باللغة اليونانية أو اللاتينية وتارة يكون الوحي مترجماً لبعض المفردات حتى يفهمها الناس؟

أما إنجيل لوقا فواضح أنه موجه إلى متنصرين ذوي ثقافة يونانية. ويدل على ذلك لغته وتعليقاته على جغرافية فلسطين وعلى العادات اليهودية. وهناك قلة اهتمامه بالمجادلات في الشريعة وهناك اهتمامه بالوثنيين وتشديده على أمور يصعب على اليونانيين أن يسلموا بها ولوقا ينتمي إلى العالم الهلنستي بلغته فهو عديم المعرفة لجغرافية فلسطين ولكثير من عادات هذا البلد. ولذلك نجد في إنجيله أخطاء جغرافية فاحشة. فأي وحي هذا الذي يخطيء بالجغرافية تارة ويصيب تارة. إن الوحي منزه عن المقياس البشري بالخطأ والصواب. والله سبحانه منزه عن الخطأ في معرفة هذا المكان أو ذلك فهو الخالق المدبر الذي لا تخفى عليه خافية أما إنجيل يوحنا فهو تعبير عن الثقافة المزيج بين اليونانية واليهودية وأحياناً الغنوصية وهذا الإنجيل يشبه الفكر اليوناني أكثر من الأناجيل الأخرى. وبسبب من وجود عبارات أخرى عبرانية رأى النقاد أن هذا الإنجيل ذو أصل آرامي ثم طوّر فأدخلت فيه الأفكار اليونانية. وقد رأى آخرون أن هذا الإنجيل يشترك مع مخطوطات قمران في أمور كثيرة منها البيئة اليهودية ووجود

المضادات في المفردات مثل نور ظلمة، حق كذب، وفيهما تشديد على دور ما يسمى روح الحق أو المؤيد.

ويغلب على إنجيل يوحنا طابع البحث الاجتماعي لما فيه من إشارات جغرافية وزمنية وأخبار عن المؤسسات اليهودية والرومانية. وعلى الرغم من ذلك فقد بدا عمله ناقصاً. فبعض اللحمات غير محكمة وبعض الفقرات غير متصلة بسياق الكلام. وليس هناك ترتيب ولعل الأرجح أن بعض التلاميذ هم الذين أصدروا هذا الإنجيل فأضافوا عليه الفصل الحادي والعشرين وبعض التعليقات.

كل ذلك إضافة لوجود عدد كبير من الأناجيل التي أخفتها الكنيسة أمثال إنجيل المصريين وإنجيل ثوماس والحقيقة وغيرها جعل غالبية الدارسين المسيحيين يعتقدون بعدم علاقة الوحي بها حتى لا يعقل أن يكون هذا العدد الكبير من مؤلفي الأناجيل ملهمين جميعاً ومفوضين في كتابة الأناجيل. وإعدام الكنيسة لهذه الأناجيل الكثيرة يدل على أن النصارى كانوا مختلفين في عقيدتهم اختلافاً كبيراً ولم يكونوا مجمعين على عقيدة الكنيسة التي صرحت بها في القرن الرابع الميلادي. وهذا الاختلاف هو الذي دعا كل جماعة إلى تأليف أو اختيار إنجيل يتوافق مع اتجاهها وتصوراتها[1].

وقد عرفنا أن الوحي الإلهي كله صدق فإذا تحدث عن المستقبل يتركه مفتوحاً لا يُحدد زمنه ولا يعرفه إلا الخالق. والغيب من اختصاص الله وحده. ودليل على عدم صلة الوحي بهذه الأناجيل عدم تحقق النبوءات التي أوردها ونسبوها إلى المسيح.

ومما يدل على أن هذه الأناجيل لا ترقى إلى مستوى الكتاب السماوي

---

(١) محمد السعدي. حول موثوقية الأناجيل ص ٣٤.

عدم تحقق تلك النبوءات ففي متى أن المسيح أخبر تلاميذه أن يوم القيامة وشيك الحدوث وأنه قادم قبل أن يفنى الجيل المعاصر لعيسى عليه السلام. وأن المسيح سيأتي لمحاسبة العالم وهذه كلمات متى التي وردت في إنجيله ٢٤ : ٢٩ ـ ٣٤. (وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس. والقمر لا يعطي ضوءه. والنجوم تسقط من السماء. وقوات السماء تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض. ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت. فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السماوات إلى أقصائها. الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله) متى ٢٤ : ٢٩ ـ ٣٤ ويذكر متى أن عودة المسيح ستكون قبل موت بعض معاصري المسيح فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته. وهذا طبعاً لم يحدث فلا القيامة قامت ولا المسيح عاد على الرغم من مرور ألفي سنة على فناء الجيل المعاصر له[١].

وقد وردت في إنجيل مرقص النبوءة التالية: (فأجاب يسوع وقال الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتاً وأخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية).

(١) محمد السعدي. حول موثوقية الأناجيل. ص ٤٥.

وهذه النبوءة لم تتحقق حتى للحواريين أنفسهم[1] . ويعلق الشيخ أبو بكر عمر التميمي الداري على هذا قائلاً : (وهو غلط يقيناً لأن الإنسان إذا ترك امرأة لأجل الإنجيل أو المسيح لا يحصل على مئة امرأة في هذه الدنيا يقيناً لأن المسيحيين لا يجيزون الزواج في هذا الزمان بأزيد من امرأة واحدة) .

وورد في إنجيل لوقا أن الملاك جبريل الذي بشر مريم بميلاد عيسى عليه السلام قال لها (لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمّينه يسوع . هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى . ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية) لوقا ١ : ٣ ـ ٣٣ .

والمسيح حتى حسب الأناجيل كلها لم يصبح ملكاً على اليهود ولا حكم كأبيه داود .

وقد ورد في إنجيل متى أن المسيح قال لليهود وهم يحاكمونه (أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء) متى ٢٦ : ٦٤ .

ولم يحدث من هذا شيء البتة وكل ما رآه اليهود هو إنسان مصلوب حسبوه وظنوه المسيح ومما يناقض طبيعة دعوة المسيح أن الأناجيل اشتملت على أقوال إرهابية نُسبت للمسيح فقد جاء في إنجيل متى أن المسيح قال : (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنّة ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته) متى ١٠ : ٣٤ ـ ٣٦.

---

(١) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ٨٢ نقلاً عن كتاب السيف الصقيل ص ١٩٨ .
نقلاً عن محمد السعدي حول موثوقية الأناجيل ص ٤٦ .

وجاء في إنجيل لوقا أن المسيح قال: (جئت لألقي ناراً على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض؟ كلا أقول لكم بل انقساماً) ١٢ : ٤٩ ـ ٥١.

ويفهم من النصين أن المسيح يدعو إلى إراقة الدماء وإشعال الحروب. وهذا يتناقض حتى مع قول الأناجيل. من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر أو قوله أحبوا مبغضيكم. إلى آخر ما هنالك من أقوال تحث على المحبة وتناقض الدعوة للعنف والإرهاب وسفك الدماء. فهل ما أوردته الأناجيل هو كلام الله الموحى به؟

الإنجيل... تنوع النسخ الترجمة وتناقضاتها

وجدت عشرات النسخ من الأناجيل مترجمة إلى لغات العالم وعقدت المؤتمرات المسيحية على أعلى مستوى لاهوتي لإصدار نسخ عن هذا الكتاب يقولون بأنها أفضل النسخ وأدقها وتمضي فترة زمنية يعيدون النظر في النسخة الأخيرة فيعترفون أنها وقعت في أخطاء فيجب أن يصدروا نسخة أخرى جديدة. حتى يستقيم لهم الأمر وهكذا يخضع الإنجيل للفحص والزيادة والنقصان مما يؤكد أنه ليس من كلام الله الذي أنزله على نبيه عيسى ابن مريم.

ومن تلك النسخ نسخة الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك وهي نسخة ديوى للروم الكاثوليك وقد نشرتها ـ أي النسخة ـ جمعية الصدق الكاثوليكية في كتاب بحجم صغير وهذه النسخة كانت مشروعَ مستهجنٍ من بين أعداد الطبعات في المكتبات اليوم والكتاب المقدس ترجمة الكاثوليك ظهرت في ريمس عام ١٥٨٢ ثم ظهرت عام ١٦٠٩ عن الفولجاتا اللاتينية لجيروم. وبذلك تكون نسخة الروم الكاثوليك المحققة هي أقدم النسخ المطبوعة يمكن شراؤها اليوم. وبالرغم من قدمها إلا أن البروتستانت في كل أرجاء العالم يستنكرون هذه النسخة لأنها تحتوي على تسعة كتب إضافية منحولة يسمونها الأبوكريفا. وقد حذف البروتستانت كافة الأسفار المنحولة وهي المعروفة بالأبوكريفا[1].

وهناك نسخة الكتاب المقدس ترجمة البروتستانت وهي المعروفة بنسخة

---

(١) أحمد ديدات. هل الكتاب المقدس كلام الله. ص ١١٧.

الملك جيمس وقد طبعت عام ١٦١١ بأمر من الملك جيمس وكان اعتقاد الروم الكاثوليك أن البروتستانت ابتزوا الكتاب المقدس كلام الله. ومع استنكارهم وعدم إيمانهم بهذه النسخة البروتستانتية فإنهم يعاونون في التحريض على جريمة البروتستانت بإجبار معتنقي النصرانية الجدد على شراء نسخة الملك جيمس لأنها النسخة الوحيدة المعتمدة والمترجمة إلى ألف وخمسمائة لغة من لغات العالم النامي. وبشكل عام فإن جميع النصارى من كاثوليك وبروتستانت يستخدمون نسخة الملك جيمس.

وقد خضعت هذه النسخة للتحقيق سنة ١٨٨١ وعرفت باسم R.V ثم نقحت وحققت أكثر لتوائم العصر الحاضر وصدرت عام ١٩٥٢ وسُميت بالنسخة القياسية المحققة وأعيد مراجعتها وتحقيقها عام ١٩٧١ وما زالت تسمى RSV.

ودارت آراء كثيرة حول النسخة المحققة منها رأي لصحيفة الكنيسة الإنجليزية حيث تقول عنها إنها من أحسن التراجم التي أنتجت في هذا القرن.

وقد جاء في ملحق التايمز الأدبي قوله عنها (ترجمة نقية حديثة بواسطة علماء من أرفع المقامات) وهناك شهادات شبيهة لمجلة الحياة والعمل والتايمز وكولنز وتقول دار النشر كولنز (إن هذه النسخة المترجمة للكتاب المقدس النسخة القياسية المنقحة RSV هي ثمرة جهد اثنين وثلاثين عالماً في علم اللاهوت ساعدهم في مراجعة وتنقيح الترجمة الإنجليزية هيئة استشارية تمثل خمسين طائفة دينية متعاونة).

ومع كل هذا فعلماء اللاهوت الذين راجعوا وحققوا هذه النسخة مروّجون نفعيّون لديهم كلام رائع عنها. ففي الصفحة الثالثة من مقدمة النسخة المنقحة نقرأ (إن نسخة الملك جيمس قد أطلق عليها أنبل إنجاز في النثر الإنجليزي.

فمراجعوها في عام ١٨٨١ أعجبوا ببساطتها وسموها بقوتها ونغماتها المرحة وإيقاعها الموسيقي وتعبيراتها اللبقة واتزانها. فقد دخلت حيث لم يكن لأي كتاب القدرة على الدخول فقد دخلت في تكوين خصائص المؤسسات الحكومية في الدول المتحدثة باللغة الإنجليزية ونحن مدينون لها كثيراً).

وعلى الرغم من كل هذا الإطراء فإن علماء اللاهوت المسيحيون يقولون في نفس الزمن الذي ظهرت فيه هذه النسخة (إن نسخة الملك جيمس بها عيوب خطيرة جداً وإن هذه العيوب والشوائب عديدة وخطيرة مما يستوجب التنقيح في الترجمة الإنجليزية وهذا آراء العلماء الأرثوذكس الذين يعتبرهم العالم النصراني من أرفع المقامات في علم اللاهوت واستوجب الأمر انعقاد لجنة أخرى من أبرز رجال اللاهوت لإنتاج موسوعة يشرحون فيها أسباب هذه العيوب والشوائب الخطيرة في كتابهم المقدس وما هي اعتباراتهم وموقفهم منها وكيفية التخلص منها)[١].

وقد كشف علماء اللاهوت خمسين ألف خطأ لغوي وغير لغوي في الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد. وحاولوا تصحيح هذه الأخطاء ولكن النسخ الموزعة في أفريقيا ودول آسيا لم تنقح وبقي المبشرون يوزعون النسخة المليئة بالأخطاء على تلك الشعوب.

ومن المفترض أيضاً أن نتذكر أنه لو كان الإنجيل كلام الله فإن أية ترجمة لفظية لأي لغة أخرى ستفقد النص قدسيته أولاً ومعانيه ثانياً. ولذلك فإن علماء المسلمين لم يجيزوا ترجمة القرآن الكريم. فكيف يجيز المسيحيون ترجمة الإنجيل لو كان وحياً من الله؟ إنهم أجازوا لأنهم يعرفون أن الإنجيل الذي بين أيديهم تأليف بشر.

---

(١) أحمد ديدات. هل الكتاب المقدس كلا الله ص ١٢٠ ـ ١٢١.

والواقع أن الترجمة العربية للكتاب المقدس ظهرت تقريباً عام ١٨٦٩ في ٢٩ حزيران وقد قام الأب صبحي حموي والأب يوسف قوشاقجي بترجمتها عن الأصل اليوناني. وقد أضيف إلى متن الترجمة الجديدة كثير من العناوين والمقدمات والفوائد والحواشي والشواهد والفهارس لتكون حسب قول مقدمة الطبعة ١٢ في متناول جميع الناس للقراءة والمراجعة والتأمل الروحي والتعليم الديني.

وعلى الرغم من هذه الجهود لابد أن يتساءل الكثيرون هل إن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية إلا في ذلك الوقت؟ وهل ظل النصارى العرب يقرأون الإنجيل بالسريانية واليونانية والآرامية العبرية؟ وهل سلمت نسخ الإنجيل أثناء الترجمة من التحريف أو الزيادة أو التنقيح. والأغرب من ذلك أن المسيحية الشرقية تناولت نسخ الكتاب المقدس ونشرته في أوساطها دون تمحيص بل وبتسليم كامل.

ولابد لنا في هذا المقام أن نذكر رأي أحد أهم اللاهوتيين الذين اعترفوا بتحريف التوراة والأناجيل وقال عن الإنجيل الكثير من المقولات التي تؤكد عدم وجود علاقة ما بين الوحي وبين الأناجيل. إن ذلك الرأي هو للبروفيسور عبد الأحد داود صاحب كتاب محمد في الكتاب المقدس.

يقول البروفيسور عبد الأحد داود: ومتى هذا لا يكترث ولا يبالي أن تقع في التناقضات كما أنه غير دقيق في اقتباساته من الكتب العبرية المقدسة وهو بالتأكيد ليس ضليعاً في أدب لغته. وقد أتيحت لي فرصة للإشارة إلى أحد أخطائه الفاحشة حول الحمار الذي ركبه عيسى. وهذه نقطة في غاية الخطورة وتمس بصورة مباشرة صدق الأناجيل وموثوقيتها. فهل من الممكن أن الرسول متى جاهل بالطابع الحقيقي لنبوءة ملاخي ويعزو لسيده عن جهل اقتباساً خاطئاً قد

يضع موضع التساؤل تلك الخاصية التي يتميز بها النبي وهي كونه بوحي من الله).

ويتابع قوله ماذا يجب أن يكون رأينا في مؤلف الإنجيل الثاني - القديس مرقص الذي ينسب العبارة الموجودة في ملاخي إلى إشعيا. كما أن متى يقول عن عيسى وهذا القول ينقله ويتبعه لوقا وهو أن عيسى أعلن للجمهور أن يوحنا المعمدان كان أكثر من نبي وأنه هو الذي كتب عنه انظروا إنني مرسل ملاكي أمام وجهك وأنه سوف يمهد السبيل أمامك وأنه لم يوجد بين من ولدتهم النساء من هو أعظم من يوحنا لكن أقل من في ملكوت السماوات أعظم منه. إن تحريف نص ملاخي واضح مقصود والنص الأصلي يقول لنا إن إله الجموع أو الجيوش هو المتكلم وأن المؤمنين هم الشعب المخاطب كما يمكن أن يلاحظ فوراً من الكلمات، الذي تبحثون عنه والذي ترغبونه ويقول الله انظر سوف أبعث برسولي وهو سوف يمهد السبيل أمام وجهي ولكن الأناجيل حرفت النص بأن حذفت الضمير الشخصي للمتكلم الفرد وأدخلت (أمامك) أو (وجهك) كما في العبرية مرتين. ومن المعتقد عموماً أن متى كتب إنجيله باللغة العامية العبرية أو الآرامية آنئذ لكي يبرهن لليهود على أن الله وهو يخاطب يسوع المسيح قال انظر إنني مرسل رسولي (ملاكي) (هكذا ورد في نص متى) ١١/ ١٠ قبلك وسوف يمهد طريقك أمامك ويرغب في أن يبين أن هذا الملاك أو الرسول كان يوحنا المعمدان ثم تُترك لعيسى المقارنة بينه وبين يوحنا فيصف يوحنا بأنه فوق كل نبي وأعظم من أبناء كافة النساء الآدميات ومع هذا فإن أصغر من في ملكوت السماوات التي يقصد أن يكون عيسى ملكها هو أعظم من يوحنا.

ويتابع قوله لا أصدق للحظة واحدة أن عيسى أو أياً من تلاميذه يمكن أن يستخدم لغة كهذه في سبيل تحريف كلمة الله. ولكن أحد الرهبان المتعصبين أو الأساقفة الجهلة قد زيف هذا النص وقوّل عيسى هذه الكلمات التي لا يمكن أن

تصدر على لسان نبي من الأنبياء[1].

ويقول الدكتور عبد الأحد داود إن أوائل المسيحيين كانوا يقومون بخدماتهم الدينية باللغة الآرامية فقد كانت هي اللغة الدارجة التي يتحدث بها اليهود والسريانيون والفينيقيون والكلدانيون والآشوريون وأصبح الآن واضحاً أن المسيحيين الذين ينتمون إلى القوميات التي تتحدث باللغة الآرامية كانوا حتماً يفضلون أن يقرأوا ويصلّوا بلغتهم الخاصة وبالتالي فإن الأناجيل المختلفة أو الرسائل أو كتب الصلاة أو الطقوس الدينية كانت جميعها مكتوبة باللغة السريانية حتى أن الأرمن قبل اختراع الألف باء الأرمنية في القرن الخامس كانوا يستعملون الحروف السريانية.

وبطبيعة الحال فإن علماء الفلسفة الإغريقية والقساوسة السابقين في علم الأساطير بعد أن تحولوا إلى العقيدة الجديدة بالإضافة إلى السبعينيين من قبلهم لا يجدون أية صعوبة في إنتاج (عهد جديد) كي يتمّوا ما مضى من العهد القديم أو يستمروا فيه فكيف أصبح الإنجيل الناصري البسيط الذي أنزله الله مصدراً لاتجاهين فكريين قوميّين أحدهما سامي والآخر إغريقي وكيف استطاع أخيراً الفكر المشرك الإغريقي أن يتغلب على العقيدة التوحيدية السامية تحت سيطرة أعتى وأطغى الأباطرة الإغريق اللاتينيين. وتحت أعظم القساوسة تعصباً وتشاؤماً من أصحاب العقيدة الثالوثية في بيزنطة وروما ثم هناك أيضاً مسائل وحدة العقيدة والمذهب والنص المنزل ذلك لأنه قبل أكثر من ثلاثة قرون لم يكن لدى الكنيسة المسيحية أي عهد جديد كالذي نراه في صورته وشكله الحاليين. وليس هناك كنيسة من الكنائس السامية أو الإغريقية ولا كنيسة في أنطاكية أو أوديسا أو بيزنطة ولا روما تملك جميع أسفار العهد الجديد بل لم تكن تملك

---

(١) عبد الأحد داود. محمد في الكتاب المقدس. ص ١١٧ ـ ١١٨.

حتى الأناجيل الأربعة قبل انعقاد المجمع المسكوني في نيقية[1].

ويقول: وفي الحقيقة إن الكثير من التعاليم الهامة الموجودة في إنجيل واحد لم تكن معروفة لدى الكنيسة ذلك أنها لم تكن تملكها وبالتالي لم تتحقق الوحدة في طرق العبادة. وفي الانضباط والسلطة والعقيدة وفي الوصايا والقوانين لدى الكنيسة الأولى كما أن الوحدة في هذه الأمور غير حاصلة في أيامنا هذه. وجل ما نستطيع أن نستخلصه من كتاب العهد الجديد هو أن الكتب اليهودية المقدسة كانت بمثابة الإنجيل للنصارى في عهد الحواريين بالإضافة إلى إنجيل يضم ما أنزل على عيسى بطريق الوحي وكانت مواده تماماً كتلك التي أعلنت في (أنشودة الملاك الحارس) أي الإسلام والرسول محمد المشار إليه باسم أحمد وإن الرسالة الخاصة التي بعث الله بها رسوله المسيح كانت من أجل هداية أو عودة اليهود عن ضلالهم وانحرافهم واعتقادهم الفاسد والخاطئ عن المسيح المنتمي إلى داود.

(١) عبد الأحد داود. محمد في الكتاب المقدس ص ١٥٨.



الفصل السادس

الكنيسة المسيحية وانقساماتها



المذاهب المسيحية ـ الانقسامات والتحولات

لا شك أن انقسام الطوائف المسيحية يعود إلى فهم كل طائفة للعقيدة المسيحية وخاصة ما يتعلق منها بالمسيح عليه السلام وطبيعته. وقد قوى هذا الانقسام الاختراقات اليهودية المستمرة في تلك العقيدة. فلم تتوقف تلك الاختراقات بموت بولس الرسول إنما استمرت حتى وصلت أوجها بتنصيب عدد من اليهود في سدة البابوية في روما. وجاء الاختراق الأكبر على يد مارتن لوثر وابتداع المذهب البروتستانتي الذي خالف غيره في كثير من الأمور العقيدية والطقوس.

ويمكن لنا أن نصف حال الكنيسة المسيحية حسب مذاهبها وطوائفها وقدمها وجدتها فالكنائس الشرقية القديمة تنقسم إلى الكنيسة القبطية المصرية ومقرها كرسي الإسكندرية والكنيسة الحبشية والكنيسة الأرمنية والكنيسة السريانية (اليعاقبة) والكنيسة اليونانية (بيزنطية خلقدنية).

وأما الكنائس الغربية الخلقدونية الكاثوليكية فتنقسم إلى الكنيسة الرومانية أو البابوية والكنيسة المارونية والكنيسة الكاثوليكية القديمة.

وفي عام ١٥٢٩ تكونت الكنيسة البروتستانتية وهي الكنيسة اللوثرية ١٥٢٩ والكنيسة الكلفينية عام ١٥٣٩ والكنيسة الأسقفية ١٥٣٤ وتفرعت عن هذه الكنائس كنائس ثانوية هي الأدربيين (أخوة البليموث) الكويكرس (المرتعدون) والأدفينست والمانوثيت (معيدي المعمودية) الميثوديست والراسكولنك (المنشقين) والأسفانكفيلدية والأرمينيوسيين.

وهناك فئات مسيحية أخرى تنكر الثالوث وهي غالباً مسيحية شرقية.

ويشكل عام ٤٥١م عام الانشقاق بين الكنائس وذلك عقب مجمع خلقدونية وإن لم يظهر هذا الانقسام كانفصال كلي في المكان فإنه يظهر بانقسام العقائد.

لقد انقسمت الكنيسة بشأن قرارات مجمع خلقدونية بين مؤيد لوجود طبيعتين للمسيح ومعارض لذلك. ولم يقتصر الانقسام على الاختلاف الفكري فقط بل تحول اختلاف الرأي إلى مظاهرات وحروب واضطهادات وأراد أصحاب كل رأي إخضاع أصحاب الرأي الآخر ولو بالقوة وتدخل الأباطرة الرومان وزوجاتهم أحياناً في هذا الخلاف مما وسّع الهوة وصار كل فريق يستعدي الإمبراطور الروماني ضد الفريق الآخر[١].

ويمكن لنا أن نستعرض أهم الخلافات التي أدت إلى انقسام الكنيسة وتصارُع أطرافها.

رفض رئيس أساقفة الإسكندرية تيموثاوس التعاليم القائلة بوجود طبيعة واحدة ممتزجة أو مختلطة مع اللاهوت. لكنه قال بوجود طبيعة واحدة في الكلمة المتجسد وحاول أن يميز بين عنصري اللاهوت والناسوت فنادى بوجود لاهوت وناسوت في شخص المسيح. وكان هذا الأسقف يرأس الحزب المونوفيزيتي الذي قاد الثورة ضد القس يوروتوريوس. وقام بهذه الثورة التي راح ضحيتها عدد كبير من الناس بسبب اعتقاده أن قرارات مجمع خلقدونية وتعاليم رسالة البابا ليون تعتبر هرطقة شنيعة وكيف لا تعتبر هرطقة وهي تخالف مفهومه وتنادي بوجود طبيعتين متميزتين وقد اعتبر بأن التعاليم التي تنادي بازدواجية الطبيعة في المسيح هي تعاليم هرطوقية لأنها تقسم المسيح الواحد والابن الواحد

---

(١) القس الدكتور حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. المجلد الرابع ص ٣.

إلى مسيحين. وقد كان تيموثاوس لا خلقدوني متعصباً لحزبه ومتحمساً لنشر تعاليم التوحيدية يُعنى بوجود طبيعة واحدة في المسيح يسوع.

وقد أدى تمسكه بمذهبه إلى طرد بعض أو كل الأساقفة الخلقدونيين من الكنائس المصرية وتعيين أساقفة من حزبه. وحرّم مجمع خلقدونية وقرارات ورسالة البابا ليون رئيس أساقفة روما.

أدى الصراع بين الحزبين إلى اضطراب وانقسام وحرب حوالي تسع سنوات وقد انتشرت تعاليم الطبيعة الواحدة مدة زمنية طويلة وكان قد حدث اضطهاد ضد مؤيدي القول بالطبيعتين. وقد تبنى بعض الأباطرة الرومان هذه العقيدة وعملوا على نشرها وتثبيتها في إنحاء الإمبراطورية. وقد بلغ هذا المبدأ الذروة عندما تسلم الإمبراطورية المدعو يوستنيانوس. فقد ضايق كافة الوثنيين في الإمبراطورية وجلد بعضهم بالسياط وأغلق معابدهم. ولكن موقفه من اليهود كان أخف وطأة وأقل صرامة من موقفه من الوثنيين. وقد ساعدهم على ممارسة طقوسهم. وقد أراد أن يتدخل في شؤونهم الداخلية وسن قوانين وتشريعات لتنظيم حياتهم الإدارية كما فعل في الكنيسة المسيحية. على أنه لم يكن دوماً إلى جانبهم فقد منعهم من الشهادة في المحاكم ضد المسيحيين الأرثوذكس وكذلك منعهم من شغل مراكز إدارية عالية في المدينة أو الدولة.

وقد اتخذ موقفاً معادياً من اليهود السامريين إذ عاملهم معاملة الوثنيين لأنهم اتخذوا موقفاً معادياً للإمبراطور والمسيحيين. وقد قام السامريون بثورة سنة ٥٢٩ سالت فيها الدماء عزيرة وخاصة عندما أُعلن يوليانوس إمبراطوراً. وراح ضحية هذه الثورة عشرون ألفاً وسُجن عشرون ألفاً آخرون كما قاموا بثورة أخرى سنة ٥٥٥ فقتلوا عدداً كبيراً من المسيحيين وحرقوا بعض الكنائس فاستعمل معهم الجيش الإمبراطوري القسوة وعاملهم معاملة الوثنيين فطاردهم

أينما وجدوا وهدم مذابحهم[(١)] . وقد اضطهد الإمبراطور جماعة الأريوسيين الذين قالوا بنبوة المسيح وعدم ألوهيته وطردوا من وظائفهم وتم الاستيلاء على أموال كنائسهم وسلمت للكنيسة الأرثوذكسية وقد علق الدكتور القس الخضري على مجمل الاضطهادات المسيحية فقال :

إن الاضطهادات التي تعرض لها أتباع الشيع الأخرى المسيحية كانت قاسية وفي بعض الأحيان وحشية فاقت قسوتها وعنفها الآلام والاضطهادات التي تعرض لها اليهود[(٢)] .

على أية حال فإن انقسام الكنيسة المسيحية بدأ تقريباً منذ عام ٣٩٥ حينما قسّم الإمبراطور تيودوسيوس الإمبراطورية الرومانية قسمين غربية وعاصمتها روما وشرقية وعاصمتها القسطنطينية وبعد وفاته أصبح ابنه اروكاديوس سنة ٤٠٨ إمبراطوراً على الإمبراطورية الشرقية وصار ابنه الثاني هونوريوس إمبراطوراً على الإمبراطورية الغربية . وسقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية بهجوم البربر عليها سنة ٤٧٦ فأعطى هذا فرصة لكنيسة روما أن تضم إلى نفوذها الديني نفوذاً سياسياً فادعت الحق أن تحكم العالم المسيحي كله ولم تقبل أن تقسم النفوذ مع كنيسة القسطنطينية وأعلنت الكنيسة الغربية أن رئيسها هو الحبر الأعظم والرئيس الروحي للجميع . ولم تقبل الكنيسة الشرقية ذلك وإن كانت فيما بعد تساهلت فاعترفت بتقديمه لها برئاسته .

ومن الأسباب الدينية للانقسام أن الإمبراطورية الشرقية كانت على صلة بالشرق مهد الديانات التوحيدية فظلت بشكل عام متأثرة بروح الشرق حيث امتنعت عن أكل الحيوان المخنوق ولحم الخنزير والدم بينما تأثرت الغربية

---

(١) الدكتور القس حنا الخضري . تاريخ الفكر المسيحي . المجلد الرابع ص ١١٥ .

(٢) المرجع السابق . ص١١٦ .

بالفلسفة الألمانية وبالعرق الجرماني الوثني وتأثرت الكنيسة الشرقية بالتفكير الشرقي وقد نشرت الأولى المسيحية بين الوثنيين بينما نشرت الثانية المسيحية بين أقوام قديمي عهد بالأديان . وقد أخذ الصراع بين الكنيستين يكبر عندما تساهلت كنيسة روما لتجذب الجرمان واللادينيين فأحلت أكل الدم والمخنوق وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير وغير ذلك مما لم تقبله الكنائس الشرقية . كل ذلك إضافة للخلاف الذي ذكرناه حول طبيعة المسيح ، كان ممهداً لانقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية .

ومن أسس الخلاف العقيدي أن الكنيسة الغربية قالت إن روح القدس نشأ عن الله الأب والله الابن معاً وقالت الشرقية إن الروح القدس نشأ فقط عن الله الأب .

وقالت الشرقية بأفضلية الإله الأب عن الإله الابن والغربية قالت بالمساواة الكاملة بين الاثنين . وقالت الشرقية بأن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئته واحدة وقالت الغربية بالطبيعتين والمشيئتين .

ويتضح أن الغربية تغالي في الوثنية أكثر من الشرقية وذلك بأسباب تأثرها بالفكر الفلسفي الأوروبي وخاصة الروماني منه .

ونلاحظ الآن أن المذاهب الكنسية الثلاثة الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت هي المذاهب الرئيسية في العالم .

فالكاثوليك يسمون كنيستهم بالكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية . وتعني الكاثوليكية العموم أو العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها في الغرب اللاتين خاصة في إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وسميت بالرسولية أو البطرسية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول

هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم. والبابوات في روما خلفاؤه.

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يُصدر إرادات بابوية سامية هي بمثابة إرادات إلهية لأن البابا هو وكيل المسيح على الأرض وتلميذه الأكبر. ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة[1].

أما الأرثوذكس فتعني الكلمة الطريق القويم أو المستقيم وهذه الكنيسة تتشدد في كثير من القضايا العقدية وتسمى كنيستهم الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية لأن أكثر أتباعها من الشرقيين الروم وتنتشر في روسيا والبلقان واليونان لكن مقرها الأصلي القسطنطينية وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريرك القسطنطينية سنة ١٠٥٤ وهي مؤلفة من عدة كنائس مستقلة وتعتبر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من أبرز الكنائس الأرثوذكسية ولها بابا مستقل عن روما تماماً ويرأس هذه الكنيسة الآن البابا شنوده ويخضع لها الأرثوذكس في مصر والسودان والنوبة والحبشة.

وتتبع الأرثوذكسية نظام الإكليروس ويبدأ من البطريرك ثم المطران. ثم الأسقف فالقسس أصحاب الامتياز ويسمون القمامصة ثم القسس العاديون.

وتقول الأرثوذكسية أن كنيستها هي كنيسة القديس مرقص البشير أحد التلاميذ السبعين وتدعى في الاصطلاح الكنسي كرسي الإسكندرية أو كرسي الكرازة المرقسية ومركز الرئاسة الآن في القاهرة ويلقب برئيس الكهنة البابا

---

(١) محمد فؤاد الهاشمي. الأديان في كفة الميزان. ص٤٤.

والبطريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية[1] .

وتختلف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية عن بقية الكنائس المتبعة لهذا المذهب . لكن الاختلافات بشكل عام لا تصل حد التكفير كما جرى مع الكاثوليكية والبروتستانتية .

ومن الكنائس الأرثوذكسية :

١ ـ الكنيسة الأرمنية : وتختلف عن المرقصية في أنها تصنع الميرون المقدس بزيت السيرج وتستعمل الفطير في سر الافخارستيا . ولا تضع ماء في الكأس المقدس وتحتفل بعيدي الميلاد والغطاس في يوم واحد .

٢ ـ الكنيسة اليونانية : تختلف في طبيعة المسيح المتحدة وهو اختلاف في التعير مع اتفاقها مع الكنيسة القطبية في دستور إيمانها وسائر عقائدها الرئيسية وهذه الكنيسة تصوم بمناسبة قتل النبي يحيى لكن أهم ما في الاختلاف أن اليونانية تؤمن بطبيعتين ومشيئتين بعكس القبطية التي تؤمن بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة .

٣ ـ الكنيسة السريانية : ويلقب بطريرك هذه الكنيسة ببطريرك أنطاكية وسائر المشرق غير أن مقر كرسيه في ديار البكر لكنه حالياً في دمشق وتسمى هذه الكنيسة باليعاقبة أو اليعقوبية نسبة إلى يعقوب البرادعي السرياني الذي اهتم بها زمن الاضطهاد .

٤ ـ الكنيسة النسطورية : دعيت بهذا الاسم نسبة إلى نسطورس بطريرك القسطنطينية الذي حكم عليه المجمع المسكوني بأفسس عام ٤٣١ بطرده من الكنيسة لأنه قال إن المولود من القديسة مريم هو المسيح الإنسان المجرد وليس

---

(١) نشأة الطوائف المسيحية إعداد ن . ف . ع الطبعة الأولى ص ٩ .

المسيح الإله المتأنس وإنه ذو قنومين وطبيعتين وبعد الحكم عليه مات عـام ٤٤٠ ولحق بجماعته اضطهاد عنيف وهبروا إلى بلاد فارس والهند والصين وبلاد العرب والعراق وأسسوا كنائس نسطورية ويدعى بطريركهم بالجاثيليق .

أما الكنيسة الكاثوليكية فقد تحدثنا عنها في صفحات سابقة ونشير هنا إلى أن عدة كنائس كاثوليكية انشقت عنها . منها كنيسة الكاثوليك القدماء التي انشقت عن الأصلية عام ١٨٧٠ وذلك بسبب عصمة البابا . ورفضوا عقيدة الحبل بلا دنس وأبطلوا عادة التناول من الجسد وحده ويؤمنون ببقية المعتقدات الكاثوليكية . ومنها أيضاً الكنيسة المارونية ويقطن شعب هذه الكنيسة جبل لبنان فهي وإن كانت خاضعة للكنيسة البابوية منذ عام ١٥٨٤ إلا أنها تخالفها في أمور دينية كثيرة منها :

١ ـ إباحة الزواج للكهنة الذين يسكنون القرى .

٢ ـ التناول من الشكلين أي من الجسد والدم الكريمين .

٣ ـ شعب هذه الكنيسة قبل خضوعه للبابا يعتقد بالطبيعتين والمشيئة الواحدة للسيد المسيح ولكنهم عادوا فاعتقدوا بالطبيعتين والمشيئتين كالكنيسة الكاثوليكية .

البروتستانت من الديني إلى السياسي

في عام ١٥٢٦ ظهرت كلمة بروتستانت بعد أن رسخ مارتن لوثر الألماني مفاهيم جديدة في العقيدة المسيحية الغربية. وكلمة بروتست (Proteste) وتعني يحتج ومنها اشتق الاصطلاح بروتستانت أي الذي يحتج ضد الظلم والطغيان ومن هذا التاريخ في سبيرس دُعي اللوثريون بروتستانت.

كيف نشأ هذا المذهب؟

من هو مارتن لوثر؟ وما الخلافات بين الكاثوليك والأرثوذكس من جهة والبروتستانت من جهة أخرى؟

ولد مارتن لوثر على الإغلب في عام ١٤٨٣م من أسرة ريفية فقيرة وكان أبواه كاثوليكيين وقد أنهى مارتن دراسته الثانوية في مدرسة القديس جورج بمدينة إيزتاخ بألمانيا، ثم درس في جامعة مانسفيلد الفلسفة واللغة اليونانية وكان منهج الجامعة يحتوي على دراسات للقواعد والمنطق والفلك والهندسة والميتافيزيقيا والموسيقى والتاريخ. وفي هذه الدراسة تعرف لوثر على كتابات كتّاب القرون الوسطى مثل توما الأكويني وسكوتس وبونافنتيرا. ويرى البعض أن لوثر رأى الإنجيل والتوراة أول مرة في جامعة أورفرت وقد أعجب بقصة النبي صموئيل الموجودة في العهد القديم. على الرغم من أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تمنع العامة والمثقفين العلمانيين من الإطلاع عليه. وقد ظهر بعد ذلك أن مارتن كان مشدوداً للكتاب المقدس وإلى الدين كما كان في الوقت نفسه يخاف ويرتعب من الموت وكان يرتعب كلما ذُكر الدين أمامه وتثار مشكلته.

واستقال مارتن من الجامعة التي درّس فيها زمناً قصيراً ودخل الدير عام ١٥٠٥ وترهب حيث كان الناس في تلك القرون ينظرون إلى الرهبان بكثير من الاحترام والتقدير. وقيل إنه كان راهباً مثالياً لأنه كان يبحث عن خلاص لنفسه وبعد مرور حوالي سنتين صار مارتن راهباً. وعلى إثرها عاد إلى التدريس في فيتمبرغ وكان يدرّس اللاهوت. وواصل تدريسه في جامعة فيتمبرغ في مادة اللاهوت والكتب المقدسة. وأثناء ذلك اكتشف عقيدة التبرير بالإيمان. وفي سنة ١٥١١ عُين أستاذاً في جامعة فيتمبرغ وفي هذه الأثناء بدأ يحس لوثر بثقل التعاليم اللاهوتية القاسية. وقد أصبحت كلمة بر في عيني لوثر تشمئز منها نفسه لدرجة أنه قال: لقد كرهت هذه الكلمة ويقول: لقد فهمت عبارة بر الله بمعنى أن الله بار وبما أنه بار فهو يعاقب الخطاة والاثمة ولهذا نرى لوثر يذهب إلى أبعد من ذلك حينما قال لم أستطع أن أحب هذا الإله البار المنتقم بل كرهته وكنت أقول لنفسي ألم يكتف الله بأن يحكم علينا بالموت بسبب خطية آبائنا. ألم يعذبنا بناموسه القاسي علينا حتى يضيف إلى آلامنا آلاماً أخرى بإنجيله الذي يعلن فيه بره وغضبه وثورته[(١)] .

وتبدأ ثورة لوثر ضد الكاثوليك عندما انتشر مرة أخرى مفهوم صكوك الغفران الذي ابتدعه بابوات الكنيسة الكاثوليكية.

وقبل أن نتبين ملامح ثورة لوثر ضد الكنيسة الكاثوليكية نتوقف لنعرف ونتعرف على صكوك الغفران ومحتوياتها وما يسمى ذخائر القديسين.

ففكرة صكوك الغفران لم تكن جديدة في عصر لوثر أي بداية القرن السادس عشر إنما يعود تاريخها إلى زمن الحروب الصليبية حين منح بعض البابوات هذه الامتيازات إلى الذين كانوا يذهبون إلى الحرب ضد المسلمين في

---

(١) القس حنا الخضري. مارتن لوثر ص ٥٤.

المشرق العربي.

تقوم نظرية صكوك الغفران على أن بعض القديسين يقومون بأعمال حسنة كثيرة أكثر من المطلوب منهم وتزيد عن حاجتهم. وهذا ما كانت تسميه الكنيسة بحسنات القديسين الزائدة. وتودع هذه الحسنات في بنك الكنيسة وهي ملك لها وللكنيسة الحق في توزيعها متى تشاء. لذلك كان يمكن للكنيسة أن تبيع هذه الأعمال الحسنة الزائدة لمن هم في حاجة لها. على أن هذا المفهوم قد تغير وأصبحت صكوك الغفران تجارة رابحة شائعة لجأت إليها الكنيسة في ظروف كثيرة كلما احتاجت للمال بل تطورت الفكرة حتى أن بعض الدول والأمراء استعملوها لابتزاز المال.

ويتصل بمفهوم صكوك الغفران مفهوم ذخائر القديسين. أي جمع بقايا من القديسين أو بقايا من أمتعتهم. وقد شرع بعض البابوات صكوك غفران لمن يزور هذه البقايا حتى أن بعض الملوك الأوروبيين جمعوا مثلاً أسناناً لبعض القديسين ففي عام ١٤٣٩ عندما ذهب الملك فريدرك الثالث بزيارة إلى القدس أحضر معه كمية كبيرة من هذه الذخائر ويقال إنه أحضر معه أسنان القديس جيروم وأجزاء من جسد يوحنا وشعرات من شعر مريم. وراحت الكنيسة تجمع هذه الذخائر حتى وصل عددها عام ١٥١٨ إلى أكثر من ١٧ ألف قطعة وقد استخدمت الكنيسة هذه الذخائر كوسيلة لجمع أكبر قدر من المال.

وعندما جلس ليون العاشر على عرش البابوية أصدر قراراً عام ١٥١٥ ببيع صكوك الغفران لبناء المباني الفخمة ولتمويل المشاريع الضخمة. وكان معروفاً عنه أنه كان من عائلة آل يتشي العريقة وقد تمسك بحياة الرفاهية والبذخ وتعظيم الإسراف ولما رفضت بعض الولايات الألمانية هذا المشروع فقد عرضه البابا على ألبرت رئيس أساقفةماينس ووعده بنصف ثمن الصكوك. وكان ألبرت يمر

بأزمة مالية لكثرة الديون عليه. وقد استطاع ألبرت أن يكون رئيساً لثلاث أبرشيات. ووصل إلى بعض المناصب بطرق غير قانونية وبدون حق ووصل إلى بعضها الآخر عن طريق الرشوة ولذلك قبل ألبرت عقد الصفقة مع البابا ليون العاشر. وتم تنفيذ ذلك وراح البابا وألبرت ببيع صكوك الغفران وجمعوا أموالاً طائلة.

من هنا بدأت ثورة لوثر وأعلن عدم موافقته على عقيدة الغفران. ولهذا السبب قام لوثر يوم ٣١/ ٨/ ١٥١٦ بتعليق ١٩٥ احتجاجاً على صكوك الغفران. وقد قاد حملة دعائية واسعة ضد صكوك الغفران.

وقد عمت احتجاجاته مما شكل خطراً على أساليب البابا الخسيسة ودفع ذلك جميع حلفائه وخاصة ألبرت ليشنوا حملة على لوثر كي يسحب احتجاجاته. ولكن دون جدوى حتى أن الكنيسة أصدرت أمرها بحضور لوثر إلى البابا ومحاكمته. واعتبر في نظر الكنيسة مهرطقاً وتكفي هذه التهمة كي ينفذ فيه حكم الإعدام حرقاً.

وبعد نقاشات حادة بين لوثر والكنيسة رأى أخيراً أن ينفصل عن الكاثوليكية نهائياً التي لم تقبل الإصلاح. وفي عام ١٥٢٠ أحرق لوثر قرار البابا بالحرمان وكتباً أخرى للبابا الذي اعتبره لوثر خارجاً عن تعاليم المسيح.

وعلى إثر ذلك انتشرت التعاليم اللوثرية بين الفلاحين في ألمانيا، بينما قام الإقطاعيون من الأمراء والنبلاء بالتضييق على كل من ينادي بالإصلاح المسيحي. مما أدى بالتالي إلى قيام ثورة دموية منذ عام ١٥٢٤ وسُفكت فيها الدماء وقُتل من الفلاحين الألوف وتقول بعض المصادر أنه راح ضحية هذه الثورة حوالي ١٠٠٠٠٠ ألف إنسان. لكن موقف لوثر نفسه تلفه الغرابة أثناء هذه الثورة فعلى الرغم من أنه كان متفقاً مع الثوار ومع كثير من مطالبهم إلا أنه وعند

احتدام المعارك انقلب ليكون مع الملك والأمراء وقال آنئذ جملته المشهورة مخاطباً الأمراء والنبلاء: (قاتلوا هؤلاء الفلاحين ككلاب مسعورة) وقيل إن هذه الجملة ستظل نقطة سوداء في تاريخ لوثر.

وتتخلص تعاليم لوثر البروتستانتية في عدة أمور يخالف بها الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية.

فمن حيث العقيدة يؤمن البروتستانت بطبيعتين للمسيح اللاهوتية والناسوتية وكل منهما منفصلة عن الأخرى. ويعتقد البروتستانت مثل الكاثوليك بانبثاق الروح القدس من الأب والابن على عكس ما تؤمن به الأرثوذكسية من أن الروح القدس منبثق من الأب وحده. والبروتستانت لا يؤمنون بأسرار الكنيسة السبعة ويوجد زواج عند كهنة البروتستانت، ولا يؤمنون بالتقليد أو التسليم الرسولي، فهم لا يؤمنون سوى بالكتاب المقدس، ولا يلتزمون بآراء الآباء وتعاليمهم، ولا يقبلون بالكهنوت ولا يعترفون بأي كهنوت للبشر ولهذا لا يؤمنون بسلطة البابا ومن شابهه، وينكر البروتستانت الطقوس والصلوات الطقسية، ولا يؤمنون بأصوام الكنيسة ولا بسر الافخارستيا فلذلك لا توجد قداسات ولا ذبيحة إلهية، ولا يؤمنون باستحالة الخبز والخمر إلى الجسد والدم ولهذا أيضاً لا يوجد مذبح في الكنائس البروتستانتية. ولا يؤمنون بالصلاة على الموتى، وليس عندهم شفاعة ولا يكرمون القديسين ولا يعتقدون بالأيقونات والصور، ولا يبنون الكنائس على أسماء القديسين ولا يتجهون إلى الشرق، وليس عندهم بخور وشموع ولا صلاة قنديل، ويؤمنون بحرية العقيدة وتنوعها وينكرون الأبوة الروحية، ولا يستخدمون رش الصليب.

على أن لوثر وأتباعه على الرغم من اهتمامهم بالإنجيل والتوراة فإنهم لا يؤمنون بسفر طوبيا وسفر يهوديت وسفر يشوع بن سيراح وباروخ وسفر الحكمة

وسفري المكابيين ويعتبرونها ممنوعة (أبو كريفا).

على أن أخطر ما في تعاليمهم إيمانهم بتفسير التوراة تفسيراً حرفياً وهذا ما يقودنا إلى الحديث عن لوثر وأتباعه والموقف من اليهود.

نشر مارتن لوثر زعيم الحركة البروتستانتية كتاباً عام ١٥٢٣ باسم (عيسى ولد يهوديا) قال فيه: (إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم إن اليهود هم أبناء الله ونحن الضيوف الغرباء فلذلك فإن علينا بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها كالمرأة الكنعانية تماماً).

وقد استطاع اليهود تسريب الكثير من الأدبيات اليهودية إلى البروتستانتية فأصبح لوثر وأتباعه يؤمنون بأن اليهود شعب الله المختار وإنهم يكوّنون الأمة المفضلة على كل الأمم. ويرون أن هناك ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين. وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة ويؤمنون أيضاً بربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح بقيام دولة صهيون أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم. وقد تم التهويد من خلال الحركة البروتستانتية ومارتن لوثر وبعد ذلك من خلال الحركة التطهيرية ولهذا نرى البروتستانتية تجعل العهد القديم المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود كذلك اعتبرت اللغة العبرية باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله واللسان المقدس الذي خاطب به شعبه المختار هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية.

من خلال ذلك تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الحركة الدينية حتى أن الفيلسوف اليهودي الهولندي (هو جرغر ويتوس) نشر كتاباً عنوانه حقيقة الدين

المسيحي سفه فيه التحقير المسيحي لليهودية وأبرز الجوامع المشتركة بين اليهودية والمسيحية الجديدة (البروتستانتية).

وقد تعرضت العلاقة المفتعلة بين اليهودية والمسيحية للنقد اللاذع من قبل مفكرين وكتاب مسيحيين شرقيين. وقد رأوا أن أئمة اليهود وضعوا مؤامرة سرية تهدف إلى القضاء على المسيحية بأساليب متعددة ومنها تحريف الإنجيل وقد أثبت الباحث كميل خباز أن رؤيا يوحنا وهي آخر الأسفار في الكتاب المقدس عند المسيحيين هي نبوءة كاذبة ومدسوسة. كما أنها تؤلف حلقات تلك المؤامرة.

وحقيقة الرؤيا أنها لم تكن في الأصل كتاباً واحداً كما هي اليوم بل هي عبارة عن ثلاثة نصوص مستقلة دونت على مراحل ثم أعيدت صياغتها في سفر واحد في أواخر القرن الميلادي الأول. وهذه النصوص هي:

١ ـ النص الأول: (الرسائل إلى الكنائس السبع) هو الإنجيل اليهودي النصراني الذي انتشر نحو سنة ٥٧م في كنائس غلاطية (تركيا) على يد رسل كذبة وهو الإنجيل الآخر الذي أشار إليه بولس في رسالته الشهيرة إلى أهل غلاطية ويدعو هذا الإنجيل إلى تطبيق شريعة موسى لأن خلاص الإنسان لا يتحقق بدونها.

٢ ـ النص الثاني: هو نبوءة عن قرب مجيء الدينوية بشكل رسالة منحوتة نسبت زوراً إلى القديس بولس ونشرت في كنيسة سالوينكي سنة ٥٢م وقد دحض بولس ما جاء فيها في رسالته الثانية.

٣ ـ النص الثالث: هو نبوءة قمرانية عن مجيء القيامة كتبت سنة ٦٦م والهدف منها إقناع السلطات الرومانية بأن نصارى فلسطين هم المحرضون على الثورة ضد روما.

ويتابع كميل خباز قوله: وبعد سقوط القدس سنة ٧٠م وإقصاء الصدوقيين عن الزعامة الروحية لليهود تابع الفريسيون حربهم السرية ضد المسيحية. وفي أواخر عهد الإمبراطور دوميتيان ٨١ - ٩٦م جمعت النصوص الثلاثة المذكورة في كتاب واحد لرؤيا يوحنا بعدما أعيدت صياغتها وصبغت بصبغة مسيحية. ومن المعروف أن انتشار الرؤيا في ذلك العهد ترافق مع موجة من الاضطهادات قامت بها السلطات الرومانية ضد المسيحيين[(١)].

وبعد انفصال الملك هنري الثامن عن روما اقتحمت حركة البروتستانت بريطانيا وتمركزت فيها وهناك ظهرت أول دعوة لانبعاث اليهود كأمة الله المفضلة في فلسطين على يد عالم اللاهوت اليهودي البريطاني توماس برايتمان ١٥٦٢ - ١٦٠٧.

ومنذ ذلك الوقت تحول ما يسمى الكتاب المقدس - العهد القديم - إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة العهد الإلهي بالأرض المقدسة للشعب اليهودي المختار[(٢)].

وإذا كان مارتن لوثر أول من أسس أفكار البروتستانت وفسر العهد القديم والجديد تفسيراً حرفياً فإن بداية القرن السادس شهدت بروز مفكر لاهوتي بروتستانتي آخر هو المدعو جون كلفن في فرنسا وكان على رأس الإنجيليين البروتستانت وقد دافع عن أفكاره وعن من يسمّون بالإصلاحيين في فرنسا. وقد بث أفكاره في العقيدة المسيحية من خلال عدد كبير من الكتب والمجلات.

---

(١) جريدة الأنوار. تاريخ ٨/ ٦/ ١٩٩٠. تعريف بكتاب اسمه الزوان في الكتاب المقدس. كميل خباز.

(٢) الأصولية الإنجيلية. محمد السماك ص٣٩ - ٤٠. مركز دراسات العالم الإسلامي ١٩٩١.

وأهم ما يعتقده البروتستانت أن المسيح سوف يأتي ويحكم ألف سنة على الأرض ويعتمدون على ما ورد في سفر الرؤيا الإصحاح العشرين ويرون أن الألف سنة ستكون أزمنة سلام ويرد عليه الأرثوذكس بأن المسيح سيأتي للدينونة (أي ليوم القيامة) ويتساءل الأرثوذكس ما معنى أن يملك على الأرض ألف سنة يسودها السلام ثم يعقب ذلك خراب ما معنى أن الألف سنة سنوات السلام يعقبها خراب روحي. وما فائدة ملك ألفي يعقبه كل هذا الخراب المادي والروحي. إن المسيح رفض الملك الدنيوي الأرضي وأراد ملكاً روحياً على قلوب الناس لا سلطاناً عالمياً.

ومن الملاحظ أن البروتستانت والكنائس الإنجيلية تسيطر على الولايات المتحدة وأكثر بلاد أوروبا الغربية. ونرى أن كنائسهم تنتشر في كثير من بقاع العالم كي تقوم بدور تنصير الشعوب خاصة في أفريقيا وجنوب آسيا وجنوب شرقها. وخاصة في ماليزيا وأندونيسيا وجنوب الفلبين وتايلاند وغيرهما من المناطق في العالم.

والواقع أن البروتستانتية أصبحت مذهباً جديداً قائماً على فكرة أن الإنسان خطّاء بطبعه وأن رحمة الله ممثلة في عيسى المسيح هي التي تغفر له وتعفو عنه. وقد لقي هذا المذهب هوى في نفوس الناس كبديل لحياة النسك والرهبنة للوصول لتلك المغفرة واتبع هذا المذهب آلاف الناس ثم ظهر جون كلفن بعد لوثر وأصدر كتابه الخطير (مؤسسات الديانة المسيحية) حدد بشكل نهائي الفكر البروتستانتي وإيمانه بالخطيئة الإنسانية التي لا تمحى إلا بفضل من الله وبسرعة انتشرت أفكار كلفن في فرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا واسكتلندا وأخيراً في أمريكا لتتحول جميع هذه الدول إلى البروتستانتية وفقاً لأفكار جون كلفن[1].

---

(١) رحلة الإنسان مع الأديان. د. عبد الرحمن نور الدين ص١١٠ ـ ١١١.

وقد انتشرت مذاهب مسيحية أخرى منها الكنيسة الأسقفية وكانت تابعة للكاثوليكية وانفصلت عنها تماماً في سنة ١٥٣٤ أي في زمن أوج اللوثرية. وهناك جماعة تسمى أخوة البليموث أسسها الواعظ الانكليكاني (دربي) عام ١٨٤٠ وأصحابه يظنون أنهم وحدهم شعب الله المختار. وهناك جماعة تُسمى (المرتعدون) أسسها جاورجيوس فكس عام ١٦٩٠ وليس لهم طقوس محددة ولا قسوس ولا واعظ بل يقولون إنهم عندما يجتمعون للعبادة يصمتون جميعاً حتى يحل عليهم الروح القدس أو على واحد منهم فيقوم ويعلمهم الصلاة وبعض الأحيان يتنبأ وهناك جماعة السبتيين وأسس هذه الفرقة وليم ميلر في مدينة ماسا هوسيت عام ١٨٣١ وتعتقد أن مجيء الرب الثاني قد اقترب وهم يحفظون السبت وليس الأحد ويحتفلون بعيد المظال اليهودي ويحرمون أل الخنزير ويتبعون العهد القديم أكثر من العهد الجديد. ومن هذه الشيع التي ظهرت في القرون الثلاثة الماضية جماعة المثوديست وجماعة الراسكولنك (المنشقون) والمانونيت والاسفانكفيلدية والارمينيوسيين في هولندا.

أما في المشرق العربي فقد ظلت الأرثوذكسية هي السائدة حتى دخلت الكاثوليكية مصر مع قدوم الحملة الفرنسية. وفي منتصف القرن التاسع عشر دخلت كذلك البروتستانتية على يد الدكتور يوحنا هوج.

ويستخلص من دراسة الكاثوليكية والبروتستانتية أن اليهود أدخلوا فيهما الكثير من التعاليم اليهودية وكذلك أدخلوا فيهما مفاهيم وثنية. ومن يدرس مسيرة البروتستانت يرى أنهم نتاج الفكر اليهودي الذي رفض تعاليم المسيحية الأولى وحتى تعاليم الكنيسة الكاثوليكية التي نشأت قبلهم بكثير.

الفصل السابع

من المفاهيم إلى الأبعاد السياسية



أهل الكتاب ـ النصرانية ـ المسيحية

لا شك أننا عندما نطالع القرآن الكريم نرى ثلاثة مصطلحات ترتبط بفئتين اليهودية والنصرانية. هذه المصطلحات هي النصارى. وأهل الكتاب والذين هادوا أي اليهود في بعض التعريفات. ولم نر في القرآن كله مصطلح المسيحية ومن الطبيعي أننا فهمنا ومازلنا نفهم بشكل واضح أن مصطلح أهل الكتاب يتجه إلى اليهود والنصارى باعتبار أن موسى عليه السلام أنزلت عليه التوراة وهو النبي الرئيسي الذي تلقى الرسالة في بني إسرائيل وباعتبار أن عيسى بن مريم عليه السلام أُنزل عليه الإنجيل . .

وحين ندقق في الآيات القرآنية التي ورد فيها مفهوم أهل الكتاب نرى أنها تعني الظرف الراهن الذي أُنزل فيه القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ. فإذا عاتبهم خاطبهم يا أهل الكتاب. وإذا ذكرهم بماضيهم خاطبهم يا أهل الكتاب. وإذا دعاهم إلى اتباع النبي محمد ﷺ خاطبهم يا أهل الكتاب. وإذا نهاهم خاطبهم أيضاً يا أهل الكتاب . .

ونستطيع أن نفرق ما بين التوجه القرآني لليهود والنصارى من خلال سياق الآيات التي تضمنت مفهوم أهل الكتاب. وقد ورد مصطلح أهل الكتاب في أربعة وعشرين موقعاً ضمت اليهود والنصارى.

أما ما يخص النصارى فيمكن حصره فيما يلي:

١ ــ يقول تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٧].

٢ـ ويقول تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران / ١١٣ ـ ١١٤].

٣ـ ويقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٩].

٤ـ ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء/ ١٥٨ ـ ١٥٩].

٥ـ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٦٤].

ويقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٦٥]. ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٦٧].

ويقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء

/ ١٧١].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٨﴾ [المائدة/ ٦٨].

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت/ ٤٦].

أما مفهوم نصارى فقد ورد نصارى في عشرة مواضع ووردت كلمة نصرانياً مرة واحدة. ووردت كلمة أنصار المقصود بها من آمن بالمسيح مرتين ووردت أنصاري مرة واحدة.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١١١﴾ [البقرة/ ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٣٥﴾ [البقرة/ ١٣٥].

ويقول تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٠﴾ [البقرة/ ١٤٠].

ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة/ ١٤].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [البقرة/ ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ [البقرة/ ١١٣].

ويقول تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة/ ١٢٠]. ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ [المائدة/ ١٨].

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة/ ٥١].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ [المائدة/ ٦٩].

وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣ ﴾ [المائدة/ ٨٣].

إذاً فالآيات القرآنية الكريمة تطرح مفهومين، أهل الكتاب، والنصارى. وكما قلنا فإننا لا نعثر على مفهوم المسيحية. وهذا يدل أن المسيحية كمفهوم ليست في أساسها اسماً على مسمى إنما ابتدعت بعد رفع المسيح بمدة طويلة.

أما المصطلح نفسه فإن فيه من الخطأ الكثير، فالمسيحية تنسب إلى شخص اسمه المسيح عيسى ابن مريم ولسنا نعرف عقيدة تنسب إلى شخص إلا إذا كانت عقيدة وثنية ليس لها صلة بالسماء كالمانوية والزرادشتية أو البراهمية أبو البوذية.

وقد حاول بعض الكتاب والمفكرين مساواة الإسلام بالمسيحية فأطلقوا على الأمة الإسلامية الأمة المحمدية. وينطوي هذا التعريف على خطأ فاحش لا يقبله المسلمون بأي شكل من الأشكال لأن الدين دين الإسلام والأمة أمة الإسلام والانتساب للرسول محمد ﷺ لا يأتي من خلال الفصل بين شخص الرسول وبين الدعوة الإسلامية العالمية التي دعا لها بأمر من الله عز وجل. ولو كانت دعوة رسول الله المحمدية أو الأمة المحمدية أو الدين المحمدي. ورسول الله عليه الصلاة والسلام ليس إلا بشراً يوحى له. فالدعوة من الله والدين عند الله الإسلام. ومهمة النبي التبليغ والهداية والدعوة إلى دين الله التوحيدي.

وحين أطلقت آيات القرآن الكريم كلمة نصارى على أتباع عيسى المسيح

عليه السلام جاء المقصود لتوضيح هؤلاء الذين اتبعوه وناصروه.

لقد افترض بعض الباحثين أن اسم نصارى جاء نسبة إلى مدينة الناصرة التي شبّ فيها السيد المسيح وترعرع على الرغم من أن ولادته كانت في بيت لحم.

والواقع أن اسم نصارى يأتي متوافقاً مع آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن أنصار الله وأنصار النبي عيسى عليه السلام. (قال الحواريون نحن أنصار الله) وأعتقد أن القرآن الذي نزل على قلب رسول الله ﷺ بعد حوالي ستة قرون من رفع المسيح عليه السلام وصف أنصار المسيح ودينه بالنصارى.

وقد افترض صاحب كتاب (قس ونبي) (الحريري) أن الديانة النصرانية انسلخت عن المسيحية في وقت ما واستقلت عنها كلياً. والواقع أن العقيدة النصرانية هي الأصل والمسيحية بدعة خارجة عن النصرانية. وإذا عدنا إلى تاريخ الفكر المسيحي وجدنا أن اسم المسيحية أطلق أول مرة على أتباعٍ من النصارى بعد رفع المسيح بـ حوالي ثمانين سنة في أنطاكية ولم يعرف أتباع النصرانية باسم المسيحية قبل هذا التاريخ. وحتى الأناجيل نفسها لم يأت فيها هذا الاسم على الرغم من أنها أُلفت بعد رفع المسيح بعشرات السنين.

أما النصارى فكما وصفهم القرآن الكريم فهم على صنفين: منهم من آمن بالوحدانية وكان على دين الحق ومنهم من كان قد أشرك بقوله إن المسيح هو الله أو ابن الله. فلذلك لم يكن هجوم القرآن الكريم على كافة النصارى بل على الذين انحرفوا عن دين عيسى ولنسر مع آيات القرآن الكريم لنتعرف على الصنفين اللذين تناولهما القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة/ ٨٣]. فالذين سمّوا أنفسهم نصارى ولم يسموا أنفسهم مسيحيين كانوا يدركون معنى هذا الاسم فأطلقوا على أنفسهم نصارى. لأنها تعني أنصار الله واتباع دين المسيح وهو دين الوحدانية. أما أوصافهم فهي أن منهم قسيسين ورهباناً وهم متواضعون لا يستكبرون وإذا سمعوا آيات القرآن فاضت عيونهم بالدمع لأنهم يعرفون أن مصدر الإنجيل الحقيقي والقرآن هو مصدر واحد، من الله سبحانه وتعالى. فهم مؤمنون موحدون وليسوا وثنيين ولا مشركين.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة/ ٦٩].

فهنا تحدد الآية القرآنية المؤمنين الذين يعملون الصالحات من اليهود والنصارى والصابئين. فهؤلاء لهم أجرهم عند ربهم لما عملوا من عمل صالح وليس عليهم خوف ولا هم يحزنون لمصيرهم لأن الله سبحانه رفع المؤمنين درجات في نعيمه الخالد.

وحتى حين تتحدث الآيات القرآنية عن أهل الكتاب قسمهم صنفين وقال ليسوا سواء. أمة من أهل الكتاب قائمة يقرأون آيات الله التي أنزلت على موسى وعيسى في التوراة والإنجيل وهم مؤمنون راكعون ساجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في فعل الخير وهم من الصالحين. فهؤلاء ليسوا مثل من جحد بآيات الله وأشرك بالله ورفض الإيمان باليوم الآخر وفعل المنكر وابتعد عن فعل المعروف والأمر به ويمانعون فعل الخيرات فهذا التقسيم الواضح يبين لنا أن أهل الكتاب الحقيقيين هم هؤلاء الذين لا يختلفون عن المؤمنين المسلمين. فكلهم سواء في دائرة الإيمان والتوحيد.

ثم تقول الآيات القرآنية إن من أهل الكتاب من يؤمن بالله ويؤمن بما أنزل الله على محمد عليه الصلاة والسلام تماماً مثل ما يؤمنون بما أنزل على النبي عيسى وهم يخافون الله ولا يحرفون كلام الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. وأولئك لهم أجرهم عند ربهم وقد طالب الله سبحانه أتباع المسيح عليه السلام بأن يحكموا بما أنزل الله وليس بما فرضه الكهنة واللاهوتيون. ويطالبهم أيضاً بعدم الغلو في الدين وعدم القول بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم. ويطالبهم بالعودة إلى الدين الحق والاعتراف بأن عيسى كلمة الله ورسوله. ثم يدعوهم إلى الإيمان بالإله الواحد الأحد وعدم القول بالتثليث. وإن انتهوا عن ذلك التثليث والإشراك فهو خير لهم.

ويقول لهم: إنكم لستم على شيء إن لم تقيموا حكم الإنجيل وما أنزل عليكم من ربكم وفي سياق آيات أخريات يبين الله لنا أنه أخذ على النصارى ميثاقاً غليظاً بأن لا يشركوا به لكنهم نسوا مما أخذ عليهم فحرفوا الدين التوحيدي وقالوا بالتثليث.

وقد لحقت بهم لوثة العنصرية حين ادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً أو يهودياً. إن ذلك من الأمنيات التي يتخيلونها لأن ليس لديهم برهان على صحة دعواهم ويدعون أن الذي يهتدي يجب أن يكون يهودياً أو نصرانياً ولكن الله سبحانه يبين للناس أن ملة إبراهيم الحنيفي المسلم العالمي هي الملة الموحدة ومن سار على طريقها فهو الذي يختار الصحيح ويترك الزيف والضلال.

ويصف الله سبحانه تناقض النصارى مع اليهود حيث يتهم كل طرف الآخر بأنه على ضلال على الرغم من أن كليهما يتلو الكتاب. ويعرف أن ملته كاذبة وضالة.

ويدعي كلاهما أن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب كانوا على اليهودية والنصرانية والواقع هذا زيف وادعاء باطل لأن التوراة والإنجيل أنزلا بعد عصر إبراهيم وأبنائه بمئات السنين فلم يكونوا يهوداً ولا نصارى بل كانوا حنفاء على دين التوحيد. وباعتبار أن اليهود والنصارى أهل كتاب يطلب القرآن الكريم من المؤمنين جدالهم بالتي هي أحسن حتى يثوبوا إلى رشدهم فإن لم يعودوا إلى عقيدة التوحيد الصافية. فما على المؤمنين إلا أن يقولوا إننا آمنا بالله وحده وما أنزل على موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. وإلهنا وإلهكم واحد هو الله الواحد ونحن له مسلمون. فهذا الخطاب القرآني يربي المسلم الحق كيف يتعامل مع اليهود والنصارى على الرغم من أنهم يمكرون ويخبئون البغضاء والحقد للمسلمين.

ومن خلال السياق القرآني ودراسة التاريخ الذي يسمونه تاريخ المسيحية نرى أن المسيحية كمصطلح، أطلق على بعض من ادعوا أنهم أتباع المسيح ويعني عقيدة مختلفة كلياً عن النصارى الحقيقيين. فما قاله بولس ومن جاء بعده بأن للمسيح طبيعتين لم يعرف لا في الأناجيل المؤلفة ولا في الإنجيل الحقيقي. وقضايا كثيرة تدخل في صلب العقيدة المسيحية ليس لها أساس في النصرانية الحقة. ويبدو واضحاً أن هناك عقيدتين وليس عقيدة واحدة الأولى هي النصرانية والأخرى هي المسيحية. وقد دفع بانتصار المسيحية على النصرانية كون الإمبراطورية الرومانية الغربية كانت من دعاة المسيحية فضغطت على النصرانية وأدخلت فيها كثيراً من التعاليم الوثنية والمعتقدات التي حرفتها تماماً عن أصلها التوحيدي.

إن الذين قالوا إنا نصارى يوصفون بصفات مختلفة كلية عن أوصاف المسيحيين. لأن المسيحية لا تعترف بالقرآن الكريم ولا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بينما النصرانية الحقة تعترف بنبوته لأنه ينهل من نفس النبع الذي ينهل منه عيسى والأنبياء جميعاً.

الصهيونية المسيحية.. الغلاف البروتستانتي للجوهر اليهودي من لوثر وكالفن إلى كرومويل والمحفل البيوريتاني

من المستحيل أن يفصل المرء بين الموقف الأوروبي من قضية فلسطين وبين التحالف العقدي بين اليهودية والبروتستانتية وكذلك بين التحالف الاستراتيجي الغربي الأمريكي وبين التحولات البابوية تجاه اليهود والقضية الفلسطينية فهذا التحالف ليس مجرد مصالح متبادلة وتطلعات استعمارية تجاه المنطقة العربية إنما هو ارتباط عقدي وحّد التوراتية والإنجيلية الماضية أو الغابرة وانطلق نحو تأسيس تنبؤات أسطورية تربط ما هو يهودي بما هو مسيحي غربي.

كيف كانت البدايات؟

من يرجع إلى تاريخ المسيحية الغربية منذ القرن الثاني الميلادي يرى أن أئمة اليهود وضعوا مؤامرة سرية تهدف إلى القضاء على المسيحية بأساليب متعددة ومنها تحريفها الإنجيل. وقد بدأ هذا التحريف بولس اليهودي الذي ما يزال إلى الآن في الأوساط المسيحية رسولاً وقديساً تفعل أفكاره فعلها الحضوري القوي.

وظلت الأمور بين مد وجزر في أوساط المتنصرين الغربيين حتى جاء القرن السادس عشر لتضرب اليهودية ضربتها المدمرة للمسيحية وذلك عن طريق مارتن لوثر والحركة البروتستانتية الرافضة للكاثوليكية والمسيحية التقليدية.

بدأ التغلغل اليهودي في المجتمعات الأوروبية بعد أن حمل يهود الأندلس أضخم ثروة مالية وأكبر ثروة علمية إلى تلك المجتمعات حيث أسسوا من

خلالهما ذلك التغلغل الذي وصل إلى الكنيسة نفسها. وأصبح واضحاً أن الأدبيات اليهودية احتلت الموقع الأفضل في معركة ما يسمى الإصلاح الديني - البروتستانت -.

في عام ١٥٢٣ نشر مارتن لوثر زعيم حركة ما يسمى الإصلاح ورائد المذهب البروتستانتي كتاباً باسم (عيسى ولد يهودياً) قال فيه (إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الله ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها).

لقد أدرك اليهود قبل ذلك أن الاضطهادات المسيحية الغربية الكاثوليكية لليهود لن تنتهي إلا بتدمير كثير من المبادئ المسيحية التي مازالت تؤثر في موقف هذه المسيحية من اليهود. خاصة أن الكاثوليكية البابوية كانت تنظر إلى اليهود على أنهم الخطر الداهم على مصالحهم المالية والإقطاعية. ولن يتم اختراقهم للمسيحية الغربية والسيطرة عليها إلا من خلال خلق تيار مسيحي عريض يؤمن بالتوراة قبل الإنجيل، ويؤمن باليهودية على أنها الأصل وتؤمن بأن اليهود شعب الله المختار.

ولما كانت ألمانيا ودول غرب أوروبا قد دخلت المسيحية متحللة من التعاليم المسيحية الصحيحة وهي في الأساس أقرب إلى الوثنية منها إلى التوحيد الشرقي - فقد كان من السهل استجابتها لأفكار أطلقوا عليها إصلاحية. وكان من السهل جداً أن يدخل الفكر اليهودي التحريفي إلى عقولهم ونفوسهم وتعاليمهم الدينية.

ولهذا كله نرى أن ما قاله مارتن لوثر في التوراة واليهودية وجد صداه بسرعة في أوساط ألمانيا والعالم العربي. وما إن انتشرت أفكاره حتى باتت

الكنيسة الكاثوليكية ضعيفة. وما إن ظهر جون كالفن الذي يعتبر تلميذاً لمارتن لوثر حتى صار الجو السائد ممهداً لقيام ثورة دينية انقلابية في أوروبا كلها.

وقد ركز اليهود المتنفذون وكبار الحاخامات على بث عدد من الأسس في الأوساط المسيحية الغربية من خلال الحركة البروتستانتية حتى تكون تمهيداً لتغيير الموقف الكلي لأوروبا من اليهود وفلسطين والقدس. ويمكن إجمال هذه الأسس تحت ثلاثة أعمدة رئيسية:

الأول: اعتبار اليهود شعب الله المختار وهم يشكلون الأمة المفضلة في الأرض.

الثاني: اعتبار ما جاء في التوراة حول وعد الرب لبني إسرائيل بتملك أرض فلسطين وعداً إلهياً لا يمكن المساس به أو تغييره.

الثالث: قيام كيان يجمع اليهود في أرض فلسطين انتظاراً لقدوم السيد المسيح ليقود الأمة اليهودية ويتملّك عليها ألف سنة.

وفي إطار هذه الأسس برزت المواقف الدينية البروتستانتية وراحت تبعث في عقلية السياسيين الغربيين هذه المقولات حتى تصبح إيماناً راسخاً لديهم وليس مجرد ستار لإخفاء المصالح والنوايا الاستعمارية. وبمعنى من المعاني فإن اليهودية استطاعت تهويد العقل البروتستانتي حتى جعلت كالفن وغيره يدعون إلى تغيير كثير من المبادئ الأساسية في العقيدة المسيحية الغربية. وكذلك إلى تغيير كل المواقف السياسية تجاه الآخرين من أبناء الشرق الإسلامي.

لقد اعتمدت الكنيسة الكاثوليكية مواقف مختلفة تجاه اليهود منذ تبنت روما المسيحية فهذه الكنيسة كانت تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى بالأمة اليهودية قد انتهى وأن الله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على ما يدعونه من صلب

المسيح. وكانت الكنيسة تعتقد أيضاً أن النبوءات الدينية التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الملك الفارسي قورش. وقد كان على رأس هذا الاعتقاد القديس أوغسطين الذي كان يعتبر القدس مدينة العهد الجديد وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين.

وعندما بدأت الحركة البروتستانتية تنشر أفكارها رفضت مقولات الكنيسة الكاثوليكية حول اليهود وحول ارتباط المسيحيين بالقدس وأرض فلسطين. وكان من الطبيعي أن يفعل اليهود كل جهدهم لتغيير مبادئ الكاثوليكية المرتبطة بفلسطين حتى توجّه الأنظار فقط نحو علاقة وحيدة بين اليهود وأرض فلسطين.

ولعل الحروب الصليبية التي بدأت مع مطلع القرن الحادي عشر واستمرت قرابة المائتي عام حولت الكنيسة الكاثوليكية كلياً إلى ربط القدس وفلسطين بالعالم المسيحي الغربي دون اليهودية. فكان على اليهودية بذل جهد كبير حتى ينسفوا هذه المقولات وكان البروتستانت الأداة الفعالة القوية في هذا التغيير.

طرحت البروتستانتية أولوية العهد القديم (التوراة) باعتباره المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود كذلك اعتبرت اللغة العبرية - باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله - واللسان المقدس الذي خاطب به شعبه المختار - هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية.

في ذاك الوقت كان لابد من التأثير القوي بالمراكز السياسية العليا في أوروبا. وكان على رأس الحكم في بريطانيا الملك هنري الثامن وبعد التأثير اليهودي والبروتستانتي القوي في الأوساط البريطانية تبنى هذا الملك أفكار البروتستانت فأعلن انفصاله عن الكنيسة الكاثوليكية في روما وحينها أصبح ثقل الدعوة البروتستانتية في بريطانيا حيث بدأت تظهر وبشكل قوي دعوات

الصهيونية المسيحية على يد كبار المفكرين والسياسيين الإنجليز.

وتظهر أول دعوة لانبعاث اليهود كأمة الله المفضلة في فلسطين على يد عالم اللاهوت اليهودي البريطاني توماس برايتمان ١٥٦٢ ـ ١٦٠٧ ـ فقد نشر كتاباً قال فيه (إن الله يريد عودة اليهود إلى فلسطين ليعبدوه من هناك حيث يفضل الله أن تتم عبادته على أي مكان آخر). وقد لاقى كلام هذا الكهنوتي صداه لدى الكثيرين من الإنجليز سياسيين ومفكرين وكان على رأس هؤلاء المدعو (هنري فنش) الذي قال في كتاب صدر له عام ١٦٢١ (ليس اليهود قلة مبعثرة. بل إنهم أمة. ستعود أمة اليهود إلى وطنها. وستعمر كل زوايا الأرض وسيعيش اليهود بسلام في وطنهم إلى الأبد).

وهنا نستطيع القول: إن اليهودية منذ القرن السادس عشر تجاوزت حدود العقيدة الدينية وأصبحت لدى الغربيين أمة ورمزاً للقومية وتحول معهم التوراة من كتاب ديني إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة احتلال أرض فلسطين المقدسة وتسليمها للشعب المختار ـ اليهود ـ.

في ظل هذا العهد استطاعت اليهودية والبروتستانتية أن تخرّج أتباعاً لأفكارهما من رجال الدين والسياسيين والأدباء وسميت هذه الفترة بالمرحلة البيوريتانية وبلغت أوجها في القرن السابع عشر إذ يعتبر هذا القرن العصر الذهبي لهذه المعتقدات وفي هذه المرحلة ظهرت طبعة الملك جيمس للكتاب المقدس. وصار هذا الكتاب في متناول كافة الناس ولكلٍ الحق في تفسيره كما يشاء. وبذلك ضُربت الكنيسة الكاثوليكية في الصميم حيث كان هذا الكتاب حكراً على الكنيسة ورجال دينها.

وحتى تصبح لأفكار اليهودية البروتستانتية ذات فاعلية كان لابد أن يظهر التركيز على الجانب السياسي حيث فيه تتحقق الأطماع العملية في التوجه

لاستيطان فلسطين في بريطانيا وتحت ظل هذه الأفكار برز التيار الجمهوري الذي يقوده البيوريتانيون والذي كان أحد أهم وأبرز نتائج التغلغل اليهودي في الفكر البروتستانتي. وعلى الرغم من أن الملكية في بريطانيا أصبحت بشكل ما بروتستانتية إلا أن اليهود الذين خططوا لتدمير المسيحية كعقيدة راحوا ينفذون مخططاً سياسياً لتدمير كافة بقايا الأفكار الكاثوليكية والمسيحية المعادية لليهود. فدفعوا باتجاه خلق تيار جمهوري بروتستانتي لتغيير البنية السياسية البريطانية وذلك عن طريق عدد من الشخصيات الهامة في بريطانيا. كان على رأسها أوليفر كرومويل.

ويعتبر كرومويل أول أهم سياسي بريطاني يتبنى مضمون مذكرة قدمها من هولندا عالما اللاهوت البيوريتيان (التطهيريان) الإنجليزيان جوانا وأليزر كارترايت وهذه المذكرة قدمت للحكومة البريطانية طالبا فيها بأن يكون للشعب الإنجليزي ولشعب الأرض المنخفضة شرف حمل أولاد وبنات إسرائيل على متن سفنهم إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم ومنحهم إياها إرثاً أبدياً.

وكان كرومويل على مدى عشر سنوات ١٦٤٩ ـ ١٦٥٨ رئيساً للمحفل البيوريتاني وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر عام ١٦٥٥ في (الهوايت هول) للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا وإلغاء قانون النفي الذي اتخذه الملك إدوارد. وحضر المؤتمر إلى جانبه العالم اليهودي مناسح بن إسرائيل الذي ربط الصهيونية المسيحية بالمصالح البريطانية الاستراتيجية.

لقد ظهر جلياً أن العصر الذي شهد قوة الربط بين اليهودية والبروتستانتية هو عصر التفسخ في البنى الاجتماعية والدينية الأوروبية وكذلك عصر بروز التوجه الاقتصادي الجديد للأوروبيين. فالكنيسة لم تعد ذات سلطة على التوجه الرأسمالي الجديد وانحسر نفوذ الإقطاع لصالح فئات جديدة. وهذا يعني أن

رأس المال اليهودي سيكون له دور الحسم في التأثير الكلي على توجهات القوة البروتستانتية التي تبنت أفكار جون كالفن وكرومويل وفينش وغيرهم ممن تبنوا اليهودية تبنياً سياسياً.

وحين طرح العلماء اليهود وكذلك المفكرون ربْط اليهودية بالمصالح الاستراتيجية البريطانية والغربية تحمس كرومويل لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين منذ ذلك الوقت المبكر. وبدا واضحاً أيضاً أن توظيف الدافع الديني لتحقيق مكاسب سياسية ذات بعد استراتيجي أسَّس القاعدة الثابتة للصهيونية المسيحية أولاً في بريطانيا وأوروبا ثم في الولايات المتحدة الأمريكية.

والقارئ لأحداث القرن الخامس عشر وكذلك السادس عشر وما بعده يدرك أن اليهودية التي انبعثت من جديد على يد كرومويل وأمثاله قد دفعت إلى حروب أهلية في كل من بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وغيرها من البلدان وذلك على خلفية الصراع الكاثوليكي البروتستانتي.

وقد روّج كرومويل وبعض اللاهوتيين البروتستانت أفكاراً دينية غريبة ومستهجنة وهذه الأفكار ترى أن المعاناة التي واجهتها بريطانيا في الحرب الأهلية التي سبقت ظهور الحركة البيوريتانية مردها إلى غضب الله بسبب سوء معاملة اليهود.

وقد استفادت اليهودية من ترويج تلك الأفكار حتى أدخلتها في العقل الأمريكي. وعلى سبيل المثال فإنه يروّج اليوم لمثل هذه الأفكار في الولايات المتحدة الأمريكية بالإدعاء بأن الله ينعم على أمريكا بالثروة بسبب تأييدها لليهود ودعمها للكيان الصهيوني.

ونلاحظ في هذا السياق أن اليهودية استطاعت بشكل مريع أن توظف حتى الأساطير في خدمة مشروعها الرامي إلى دفع الغربيين ليصبحوا منفذين طيّعين

للمشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين.

وقد انتشرت الدعوات البروتستانتية ليس في بريطانيا وحدها بل لحقتها هولندا خاصة بعد الحرب الأهلية والحرب الدينية بين الكاثوليكية الإسبانية والبروتستانتية الألمانية التي انتهت بهزيمة القوات الكاثوليكية عام ١٥٦٥ ـ ١٦٠٦. وهذا يعني انتصار التيار المسيحي البروتستانتي المؤيد والمتحالف مع اليهود دينياً وسياسياً وبعد ذلك استطاعت الأيدي اليهودية بالاشتراك مع البروتستانتية أن تعلن الجمهورية في هولندا على أساس المبادئ البروتستانتية الكالفينية. ورافق ذلك التحول انتشار الأفكار الصهيونية المسيحية وعلى رأسها مساعدة اليهود في استيطان فلسطين. وعم تيار المسيحية الصهيونية كل أوروبا تقريباً حتى إنه صدر في فرنسا كتاب للعالم الفرنسي فيليب جنتل دي لانجلير دعا فيه إلى مقايضة السلطان العثماني مدينة القدس بمدينة روما تسهيلاً لتوطين اليهود في فلسطين وصدرت كتب مماثلة في ألمانيا واسكندنافيا وخاصة في السويد والدانمارك.

وحين نلاحظ هذا الطرح ندرك مدى عداء اليهودية والبروتستانتية للكنيسة الكاثوليكية. فاستبدال القدس بروما يعني القضاء على مركز الفاتيكان ـ أي مركز الكاثوليكية ـ وهذا يعني أيضاً تضحية البروتستانتية بروما مقابل حصولهم على القدس كمركز لليهودية والصهيونية المسيحية البروتستانتية. لقد بلغ العداء البروتستانتي اليهودي للفاتيكان والكاثوليكية حداً أعاد للأذهان المذابح والمجازر التي ارتكبت بين المذاهب المسيحية في القرن الثالث والرابع والتي كان لليهودي المسيحي بولس الأثر البالغ في حدوثها، مما يعني أن اليهودية ومنذ المسيحية الأولى ظلت تعمل جاهدة لتدمير المسيحية من داخلها بخلق أفكار تدميرية وتيارات جديدة تثور في وجه الكنيسة الكاثوليكية التي كانت معادية لليهود.

ولم تنقطع دعوة كروميل وأمثاله في بريطانيا وظلت حية في الذهنية البريطانية حتى تأسست (جمعية لندن) لتعزيز المسيحية بين اليهود في عام ١٨٠٧ وكان اللورد أنطوني إشلي كوبر (إيرل شافتسبري) أحد أبرز أركانها. ففي العام ١٨٣٩ نشر مقالاً يقع في ثلاثين صفحة أكد فيه أن اليهود سيبقون غرباء حتى يعودوا إلى فلسطين وأن الإنسان قادر على تحقيق إرادة الله بتسهيل هذه العودة. وأن اليهود هم الأمل في تجدد المسيحية وعودة المسيح. وفي هذا المقال يرفع أنطوني كوبر ولأول مرة شعار (وطن بلا شعب لشعب بلا أرض) ويلتقي مع كوبر في هذا الطرح عدد كبير من الساسة اللوردات البريطانيين الذين تربوا على أفكار كروميل من بينهم (دوق كنت) و(جلادستون) واللورد (بالمرستون) أبرز سياسي بريطاني يتبنى مشروع كروميل ومشروع (كوبر). وقد ساعد على ذلك التنافس بين فرسنا النابليونية وبريطانيا التي استعمرت الهند تجارياً. فراحت الأطراف البريطانية والفرنسية وغيرهما تتنافس لإرضاء اليهود وتعزيز الدعوة لقدومهم إلى فلسطين والمساعدة على تعزيز الاستراتيجية البريطانية الاستعمارية في الطريق إلى الهند أي تعزيز حماية مصالحها في مصر والسودان ومضيق باب المندب حيث لم تكن قناة السويس قد فتحت، وكانت بريطانيا تسعى لنقل تجارتها عبر البر المصري ثم إلى البحر الأحمر وصولاً إلى الهند.

وفي هذا السياق لابد أن نذكر أن فرنسا كانت تدعي حمايتها للأقليات الكاثوليكية في الشرق وروسيا تدعي حمايتها للأقليات الأرثوذكسية وكان طبيعياً أن يبحث بالمرستون والساسة البريطانيون عن أقلية تدعي بريطانيا حمايتها وقد وجد في اليهود ضالته المنشودة وبذلك تكاملت المصالح البريطانية الاستراتيجية مع الصهيونية المسيحية ووظفت النبوءات الدينية لتكون مدخلاً إلى تحقيق هذا التكامل. السياسي الديني. حيث كانت البروتستانتية أو الإنجيلية البريطانية قد سيطرت على السياسة والحكومة البريطانيتين وتحالفت دينياً واقتصادياً ومصلحياً

مع اليهود.

ومنذ ذلك التاريخ بدأت بريطانيا عملياً بتطبيق تحالفها اليهودي الإنجيلي البروتستانتي. ففي عام ١٨٣٨ أنشأ بالمرستون أول قنصلية لبريطانيا في القدس وعين قنصلها وليم يونغ وهو صهيوني مسيحي. وفي ذلك الوقت تلقى بالمرستون مذكرة من الصهيوني المسيحي هنري إنس وكان وزيراً للبحرية البريطانية يدعو فيها دول أوروبا الشمالية وأمريكا للاقتداء بقورش وتنفيذ إرادة الله بعودة اليهود إلى فلسطين. وقد روجت الصحافة البريطانية لهذه المذكرة حتى بات واضحاً أن مشروع بالمرستون شق طريقه من أجل مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين.

وبدأ حملة غربية بروتستانتية مسعودة لتهجير اليهود إلى فلسطين. فقد قام القس هشلر وهو بريطاني ملحق بسفارة بلاده في فينا بتنظيم عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين وقد عقد مؤتمراً مع بعض المسيحيين الإنجيليين في فينا من أجل هذا الموضوع. وقد وظف هذا القس جهده لمعاونة هرتزل لعقد مؤتمر بال عام ١٨٩٧ الذي كان أول مؤتمر يُعلن فيه عن تأسيس الصهيونية اليهودية.

وراحت السياسة البريطانية تطبق على أرض الواقع المشروع الاستعماري اليهودي لأرض فلسطين. وفي هذا الإطار التقى تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا ١٨٣٦ ـ ١٩١٤ بهرتزل في لندن وهو اللقاء الذي يعيد للأذهان لقاء كرومويل مع مناسح بن إسرائيل كتعبير عن تلاقي مصالح الصهيونية المسيحية مع الصهيونية اليهودية في تطلعاتها نحو أهداف مشتركة. وأرسى هذا اللقاء أهم علاقات بلفور مع الصهيونية اليهودية والتي كانت التمهيد الأساسي لوعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وحتى يتبين لنا مدى الاندماج الفكري الكلي بين الصهيونية المسيحية

واليهودية يتصدر لنا قول بلفور في مذكرته التي قدمها لحكومته البريطانية حول موضوع الاستيطان اليهودي في فلسطين:

يقول بلفور: (ليس في نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين مع أن اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها. إن القوى الأربع ملتزمة بالصهيونية. وسواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل. جيدة أم سيئة. فإنها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية وآمال المستقبل وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف عربي الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة). ومنذ عام ١٩١٧ بدأ الانتداب البريطاني ينفذ سياسة الاستيطان اليهودي في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ وحدثت النكبة وأعلن عن قيام الكيان الصهيوني في فلسطين.

ومما لا شك فيه أن الاختراق اليهودي للبروتستانت تُوّج في أمريكا حيث استطاع اليهود بالتحالف مع الكنائس البروتستانتية الإنجيلية تحويل أمريكا إلى يهودية العقيدة والفكر والسياسة وقد أفرز هذا التهويد عدداً كبيراً من اللاهوتيين والمفكرين والساسة الأمريكان الذين راحوا يتناولون التوراة على أنه المقدس الأوحد في العالم والعقائد. وعليه انطلقوا بأفكارهم وسياساتهم ينفذون أبشع تحالف استراتيجي بين اليهود والبروتستانت أو بين اليهود والمسيحية الغربية بشكل عام.

والواقع أن أمريكا تضم الآن أكثر من ٧٦ مليون بروتستانتي ينتمون إلى أكثر من مائتي طائفة وحركة وأكثر فئاتها عنصرية هي الطائفة التدبيرية التي تكرس مليارات الدولارات وآلاف الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة لخدمة أغراض الصهيونية اليهودية. ولعل من أشهر روادها بات روبرستون الذي يقدم برنامجاً تلفزيونياً يشاهده أكثر من ستة عشر مليون شخص، وجيمي سواجرت

الذي يدير ثاني أكبر محطة تلفزيونية في أمريكا في خدمة الأفكار الصهيونية وجيم بيكر ويملك ثالث أكبر محطة ويصل بثها إلى ستة ملايين منزل. وأورال روبرتس وجيري فولويل وكينيث كوبلاند الذي يرى أن (إسرائيل) الحديثة وصهيون الإنجيلية هما شيء واحد ويقول إن الله أقام إسرائيل... إننا نشاهد الله يتحرك من أجل (إسرائيل).

ولعل أهم ما طرحته الإنجيلية الصهيونية الأمريكية تدمير المسجد الأقصى وإقامة ما يسمى هيكل سليمان على أنقاضه. ووصل التحالف العقدي والسياسي بين اليهودية والبروتستانتية حداً لا يمكن لأحد في العالم أن يؤثر فيه.

وعودة على بدء فإننا نرى أن الاختراق اليهودي للمسيحية وصل ذروته في خلق عقيدة جديدة لا تمت بصلة إلى النصرانية أو إلى المسيحية الكاثوليكية لقد خلق اليهود عقيدة يهودية متطرفة في أوساط البروتستانتية. لا هي باليهودية الأصلية ولا هي بالمسيحية. إنما هي عقيدة تقوم على تفسير التوراة تفسيراً حرفياً أسطورياً وثنياً. ومن خلاله تُدخل الأهداف السياسية الاستراتيجية في أعلى مستويات السياسة الأمريكية الغربية. التي لم تكن يوماً سوى أداة فعالة لتدمير الإسلام والمسلمين على مدى القرن العشرين كله.

زيارة البابا لفلسطين.. هل هي الخطوة الأخيرة في تكريس المؤامرة اليهودية؟

فلسطين منذ الأزل وحتى قيام الساعة تظل أرض التصادم العقيدي بين قوى التوحيد وقوى البغي والشر. هكذا نفهم أي تحرك عقيدي أو سياسي عالمي. وهكذا نفهم منطق القدسية التي أحاطها الله بهذه الأرض المباركة.

فلسطين دون الإسلام تفقد نصف أهميتها، ولكن المسيحية دون فلسطين تفتقد حتى لعقيدتها وفلسطين دون اليهودية لا تعني لليهود سوى مرتكز استراتيجي استعماري. أما أن يرسم اليهود فلسطين كمرتكز عقيدي واستراتيجي فهذا يعني الكثير الكثير.

ومن هنا يأتي تقييم زيارة البابا إلى فلسطين، ويأتي بالتالي موقف المسيحية من اليهود عبر ألفي عام. وكذلك من هنا يفترض أن ندرس المسألة في سياق التنافر أو التجاذب بين القوى الكبرى حول فلسطين إن كانت القوى دينية أو سياسية استعمارية واقتصادية ماذا تعني زيارة البابا لفلسطين بعد مضي أكثر من نصف قرن على قيام الكيان الصهيوني اليهودي وتشريد أبناء فلسطين في شتى بقاع الأرض؟

ماذا يعني أن يرافق البابا في الناصرة أو غيرها رئيس الكيان الصهيوني ورئيس الوزراء وكثير من المسؤولين السياسيين اليهود.

ثم ما الذي يختفي وراء قصة حوار الأديان التي طرحها البابا وهو يؤدي صلاته في كنيسة القيامة؟

ثم ماذا تعني زيارة البابا لحائط البراق. وهو لا يعترف إلا بما يسمى حائط المبكى ثم ماذا يعني أن يضع ورقة يعترف فيها بأخطاء المسيحية تجاه اليهود ويطلب الغفران من الرب على الرغم مما صنعه اليهود أنفسهم بالأمم والشعوب من مسيحيين ومسلمين؟ هل تكفي زيارة البابا للمسجد الأقصى كي نقول إنه اعترف بحق الفلسطينيين المسلمين بالسيادة على هذا المسجد؟ أليست زيارته لحائط البراق اعترافاً بما يسمى حائط المبكى والوجود اليهودي المتسيد في فلسطين. وما الذي يفصل الأقصى عن حائط البراق أليس هما جزءاً واحداً ذا كيان جغرافي وبنائي واحد؟ ألم تكن الزيارة موجهة لحائط المبكى وليس لحائط البراق، فأهل الحائط الأحقُّ به هم الشعب اليهودي المقدس وليس المسلمون وبالتالي فالأقصى هو العرضي الطارئ، والهيكل الذي يشكل الحائط المُزار من قبل البابا جزءاً منه هو الأساس والأصيل!! أهي دعوة لنسف المسجد الأقصى مسجد المسلمين الطارئ وإرجاع الأمر إلى أصله إلى الهيكل الذي زار البابا أحد جدرانه وقدم لليهود اعتذاره!

ما الذي تغير في اليهود حتى يبرئهم البابا من عدائهم للمسيح أليست تبرئتهم دعوة لكافة مسيحيي العالم العربي وغيره للقبول باليهود دون أي اتهام لهم بقتل الأنبياء والإفساد في الأرض وإشاعة المجازر في أبناء الأمم والشعوب وخاصة أبناء فلسطين والأمة العربية والإسلامية؟ وأسئلة كثيرة وغيرها لابد من طرحها في هذا الإطار.

لماذا استنكف معظم حاخامات اليهود عن استقبال البابا أو حتى الالتقاء به على هامش زيارته؟

اليهود اليوم واليهود في الأمس. كم كانت مؤامرتهم كبيرة حين أشاعوا أنهم قتلوا المسيح وكم كانت مؤامرتهم كبيرة حين راحوا ومنذ ألفي عام يعملون

على تغيير مسار الرؤية المسيحية حتى وصلوا بالنهاية إلى إقناع الكنيسة الكاثوليكية أنهم شعب الله المختار وأن على الكنيسة الكاثوليكية أن تعترف أن العقيدة المسيحية من دون العهد القديم (التوراة) تفقد نصف عقيدتها وتفقد مبرر انتمائها للمسيح الذي هو حسب الرؤية المسيحية يهودي من بني هؤلاء اليهود. ما يعزز إحساسهم دون وجه حق بالتفوق العنصري تجاه باقي الأمم.

لذلك كله فإن الدارس لأبعاد زيارة البابا يجد نفسه سائراً في شبكة معقدة من الطرقات والتعرجات التي قد تفضي بالنهاية إلى القول إن الغرب غرب والشرق شرق، لا يمكن أن يصبح الغرب شرقاً والشرق غرباً طالما أن المحك الأصيل والصحيح هو موقع فلسطين من الإسلام وموقع الإسلام من القدس وفلسطين.

إذاً كيف نقيم الأبعاد تلك في ضوء رؤيتنا الخاصة تجاه المسألة بكل جوانبها؟ أما من الناحية العقيدية فعلينا أن نفهم قبل غيرنا وبشكل دقيق ومعمق أن المسيحية الغربية وعلى رأسها البروتستانتية والكاثوليكية لا يمكن أن تفصل إنجيلها عما يسمى العهد القديم (التوراة). فهي حين تتحدث عن نبوءات أنبياء العهد القديم وخاصة نبوءات إشعيا تربطها وبشكل بدهي بميلاد المسيح وأعماله ونبوءاته وحتى إلهيته كما يراها أصحاب العقيدة المسيحية. فكل ما جاء به سفر إشعيا يخدم بشكل مفصلي الرؤية المسيحية للمسيح وكل ما يرتبط به من عقيدة. وحين ننظر فيما يُسمى بأعمال الرسل الملحق بالأناجيل الأربعة نرى الاتكاء الكلي على تفسير ما جاء في أسفار التوراة منذ أسفار موسى الخمسة وحتى أسفار أنبياء السبي البابلي وهنا يكمن الرعب وتكمن أبعاد الرؤية المسيحية تجاه اليهود. فالكاثوليكية وعلى رأسها البابوات والمجامع تفسر العهد القديم تفسيراً تأويلياً بحيث يخضع النص التوراتي لتفسيرات مسيحانية تخدم التفسير المسيحي للمسيح وأمه العذراء وكذلك أعماله وأقواله بينما البروتستانتية تفسر العهد القديم

تفسيراً حرفياً وعلى رأس هذا التفسير قولهم إن «إسرائيل» تعني «إسرائيل» القائمة على أرض فلسطين وليست «إسرائيل» السماوية كما يقول الكاثوليك في تأويلاتهم وتفسيراتهم الرمزية.

فالمنظار الكاثوليكي والمنظار البروتستانتي يلتقيان في المحصلة والنتيجة. «إسرائيل» يجب أن تكون، في الأرض أما في السماء أم في أي كون كانت!!.

ولكن.. مع كل هذا الوجود المعترف به عقيدياً ورسمياً من قبل المسيحية ألا يخطر في الذهن سؤال يقول: كيف نوفق بين ارتباط المسيحية بالعهد القديم وبين ما درجت عليه من قولها إن اليهود مسؤولون أمام لرب والعالم عن دم المسيح؟ إننا نرى المسألة مرتبطة بطبيعة المسيحية الغربية. ونحن نعتقد أن المسيحية الشرقية هي التي اكتوت بنار الحقد اليهودي الدموي. فالمسيحية الغربية لم تتعرض للاضطهاد اليهودي تحديداً بل العكس تماماً أي أن المسيحية الغربية هي التي اضطهدت اليهود بغد أن تنصّر الإمبراطور قسطنطين وأمه هيلانه في القرن الثالث الميلادي. فالذين شاهدوا عن كثب عداء الفريسيين اليهود للسيد المسيح هو مسيحيو الشرق وهم أنفسهم الذين أعدموا في الإسكندرية وأنطاكية وغيرهما بعد أن انتشروا يبلغون المسيحية للشعوب. وعلى هذا فإن المشكلة ـ مشكلة الصراع العقيدي ـ هي حتماً تقع بين مسيحيي الشرق واليهود. وليس بين مسيحيي الغرب واليهود. وأعتقد أن ما دوّن في الأناجيل من أحداث حول عداء اليهود للمسيح يشهد أن أي مسيحي يهادن اليهود وينسى خطاياهم ومؤامراتهم على السيد المسيح يبيع المسيح بلا ثمن ويخون مبادئه ويرتد عن طريقه، طريق الآلام والمعاناة التي عاشها وهو يقاوم الكتبة والفريسيين والوثنيين الرومان.

وحسب قول الأناجيل فإن يهوذا الاسخريوطي تلميذ المسيح يسمى الخائن لأنه باع المسيح لليهود والوثنيين بثلاثين قطعة من الفضة. فماذا تقول عندما نرى بعد ألفي عام من يبيع المسيح لليهود ومبادئه بلا ثمن؟؟

المسيح قال في الأناجيل إن الهيكل سيصبح خراباً وقال لامرأة لن تري حجراً على حجر في هذا المكان (الهيكل) ألم يقل المسيح ذلك نتيجة معرفته بأن إفساد اليهود وفسادهم سيغضب الرب وينتقم منهم. فكيف بنا اليوم نرى الفساد اليهودي في أعلى درجاته ونرى البابا أمام حائط البراق الذي يدعونه حائط المبكى ويضع ورقة اعتراف بالخطايا عليه. أليس ذلك دعوة لتشييد ما يسمى الهيكل المزعوم ليكون الحائط أحد جدرانه الأساسية. هل رجع اليهود إلى جادة الصواب العقيدي حتى يرى البابا فيهم رؤية جديدة غير رؤية السيد المسيح؟ أم أن المسيحية الغربية بسبب طبيعة فهمها تقيّم الأمور من بعيد فلا تعير اهتماماً بالموقف اليهودي العدائي والسلوك العدواني تجاه المسيح ودعوته؟

لقد تلقت روما وكذلك اليونان المسيحية عن بولس وبعض من يسمون الرسل وتبنت هذه البلدان المسيحيةبشكل واسع في القرن الثالث الميلادي وبدل أن يتوجه المسيحيون الجدد نحو تأصيل المسيحية الصحيحة راحوا يفلسفون العقيدة المسيحية حسب تعاليم بولس الذي كان أول من قال بأن للمسيح طبيعتين ناسوتية وإلهية وانشغلوا في أفكار عقيدية لا تمت بصلة إلى فهم طبيعة الصراع بين المسيح عليه السلام وبين اليهود.

ولعل أخطر ما فعلته الكنيسة الغربية هو جعل روما مركز الإشعاع المسيحي حسب ما يقولون. لقد كانت القدس منبت المسيحية ففيها بدأت دعوة المسيح وفيها أقيمت أول كنيسة بعد رفع المسيح. وبدل أن تبقى القدس مركز توجه المسيحيين من كافة أنحاء العالم انتقلت قدسية المسيحية جغرافياً إلى روما

وبدل أن يكون المرجع الروحي المسيحي في القدس أصبح في روما. وابتدعت صيغة البابا من قبل الكنيسة الغربية.

وإذا رجعنا إلى دراسة كافة شخصيات البابوات التي توارثوا الفاتيكان فإننا لن نعثر على أي واحد منهم من أصل عربي أو شرقي. وهذا بالطبع ما يجعلنا نقول إن الكنيسة الغربية تمثل نفسها أي أنها تمثل المنظور الغربي ـ منفصلاً ـ في العقيدة المسيحية.

ولهذا كله نرى موقف الكنيسة الأرثوذكسية المرقصية يختلف جذرياً عن موقف الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية الغربية. وحتى أثناء زيارة الباب لفلسطين صرخت أصوات أرثوذكسية تنكر عليه تسامحه مع جرائم اليهود ضد النصرانية. بل إن هذه الكنيسة اعتبرت تحولات الكاثوليكية الغربية تجاه اليهود خيانة لدم المسيح وخيانة للمسيحية.

إن ما فعله البابا من زيارة لما يسمى حائط المبكى واعترافه بالكيان اليهودي يتعارض كلياً مع ما اتفق عليه بطريرك القدس والخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يسمى بالعهدة العمرية والتي تنص حسب طلب البطريرك على ألا يساكن اليهود النصارى في بيت المقدس. وهذا العهدة معروفة حتى لدى الفاتيكان والأوساط المسيحية جميعها. إن ما قام به البابا يلتف عن هذا الاشتراط الذي شرطه نصارى القدس بل ويبدي ازدراءه للاتفاق المذكور.

ولا شك أن تحولات الكاثوليكية على يد البابا بولس الثاني قد أحدثت شرخاً كبيراً في موقف المسيحية الشرقية تجاه الصراع مع اليهود والكيان الصهيوني. فهناك كتلة ضخمة من المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت في الوطن العربي. وهذه الكتلة تتبع عقيدياً للكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان التي يرأسها البابا. ومن الممكن ان تقوم هذه الكتلة الكاثوليكية الشرقية أو العربية

تحديداً أن تعيد النظر في تبعيتها للفاتيكان. وعندها لابد أن تعيد النظر في تحولات البابا وكنيسته تجاه اليهود. ولا شك أن ذلك سيفضي إلى إعادة صياغة جديدة للمسيحية الشرقية تضع في اعتبارها الأول عدم مصالحة اليهود وعدم الاعتراف بالكيان الصهيوني مهما كان الثمن ومهما كانت التحولات.

ماذا تعني زيارة البابا لفلسطين في الإطار السياسي؟

إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل القوى الغربية في صراعها مع الشعوب قاطبة فإن الفاتيكان تمثل القوى المسيحية الكاثوليكية الغربية العالمية في تعاملها مع شعوب الأرض أيضاً.

فعندما تنحاز أمريكا للكيان الصهيوني والقوى المعادية للإسلام فإن ذلك يعني أن القوى الغربية جميعها تنحاز بشكل تلقائي لذلك الكيان. وأوروبا بكل ما فيها من مظاهر الشكوى ومحاولة التخلص من القيادة الأمريكية لها لا تزال تخضع لتوجهات أمريكا ومواقفها تجاه أكبر مشكلة عرفها القرن العشرون وهي قضية فلسطين.

وعندما يقوم البابا بزيارته لفلسطين فإنه يعين أن عالم المسيحية الكاثوليكية العالمية يعترف بالكيان اليهودي الصهيوني كدولة قائمة لها وجودها وسلطتها وأرضها دون أي اعتبار لأي شيء آخر ويعترف لليهود بالسيادة على القدس رمز الأرض المباركة وفي موقع القلب منها الفاتيكان دولة بكل المقاييس لها رئيسها وهو البابا ولها مقعدها في الأمم المتحدة ولها أيضاً سفراؤها المعتمدون في كافة أرجاء الدنيا. وعندما يقوم رئيس هذه الدولة بزيارة إلى أي بلد في العالم يعامل معاملة الرؤساء والملوك أياً كان حجمهم وأياً كانت بلادهم.

زيارة البابا لفلسطين أحيطت بكلام لا يتجاوز البعد الديني إلا قليلاً.

فوسائل الإعلام جميعها قالت بأن الزيارة دينية وتدخل في نطاق ما أسموه الحج البابوي إلى الأماكن المقدسة.

صحيح أن الفاتيكان دولة لها طابعها الديني ولكنها تمثل حسب ما تفترضه الكاثوليكية مليار مسيحي منتشرين في كافة أرجاء الكرة الأرضية. فأي موقف يصدر من البابا هو بمثابة تمثيل لكافة مواقف الملايين من الكاثوليك.

فهل تتوقف زيارة البابا لحائط البراق (ما يسمى عند اليهود بحائط المبكى) عند بعدها الديني. هل يفهم اليهود أن وضع ورقة استغفار على جدار الحائط تدخل في الإطار الديني فحسب؟ وهل اعتراف البابا بجرائم المسيحية الغربية ضد اليهود لا يتجاوز المسألة الدينية؟

ماذا يعني استقبال البابا من قبل عزرا وايزمان وباراك وأركان السلطة في الكيان الصهيوني؟ إن كان الأمر ينحصر في دائرة البعد الديني فلماذا لم يقم حاخامات اليهود وحدهم باستقبال البابا دون السياسيين؟ علماً أن لليهود حاخامهم الأكبر وهو ذو سلطة دينية نافذة في الكيان الصهيوني؟

وايزمان وباراك يستقبلان البابا كرئيس دولة ويريدان منه موقفاً سياسياً تجاه الكيان الصهيوني وهم ليسوا بحاجة إلى موقف ديني طالما أنهم لا يعيرون اهتماماً للبعد الديني المسيحي الغربي لأنهم يعرفون تماماً أن أوروبا وأمريكا تخضع لسطوتهم السياسية والمالية.

عرفات أيضاً يستقبل البابا ويقبل يده ويردد أمامه مقولات التوراة التي تقر وتعترف بأن لليهود حقاً في فلسطين. وعرفات ليس بحاجة لموقف فاتيكاني ديني بل بحاجة لموقف سياسي يدعم استجداءه واستعطاءه لليهود حتى يمنّوا عليه بالفتات المسموم.

إذاً فزيارة البابا ذات الطابع الديني كما يقولون تحمل في جوهرها البعد

السياسي الواضح والذي يدل عليه لقاؤه وخطاباته وتنقلُه في الناصرة وحائط البراق وبيت لحم والقدس.

ولكن هذا البعد في ميزان الجدوى والمصالح والأبعاد الاستراتيجية يُكرس في صالح الكيان الصهيوني وليس في صالح الفلسطينيين أو صالح المسلمين.

بالمحصلة فإن الفاتيكان تبقى دولة، دولة أوروبية غربية. في أبعادها النفسية والفكرية وحتى البشرية لا يمكن تبرئتها منا ارتكبته أوروبا الغربية في حق العرب والمسلمين وقضيتهم الأولى قضية فلسطين.

وحين نسمع البابا وهو يعتذر عن كافة المسيحيين لما اقترفوه من جرائم في حق اليهود وغيرهم عبر ألفي عام يتناسى تماماً ما اقترفه اليهود بحق المسلمين والمسيحيين وبحق المسيح بالذات من جرائم عبر أكثر من ثلاثة آلاف عام.

فكما اعتذرت ألمانيا لليهود وكذلك بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وحتى روسيا بعد انهيار السوفيات تأتي الفاتيكان لتعتذر لليهود متجاهلة التاريخ والدور اليهودي الشرير فيه وإذا تحولنا إلى حقيقة الأبعاد السياسية لزيارة البابا وموقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود والكيان الصهيوني خلال توليه عرش البابوية ندرك أن هذه الكنيسة تمثل موقفاً أوروبياً واضحاً من قضية فلسطين وقضايا المسلمين وموقفاً منحازاً لليهود والكيان الصهيوني ويكفي من الفاتيكان أن يقول البابا إن اليهود بريئون من دم المسيح ليشكل منعطفاً خطراً في تحريف التاريخ اليهودي الدموي وجعله تاريخاً نظيفاً من كل الجرائم البشعة التي ارتكبها اليهود عبر التاريخ. ويكفي من البابا أن يقول إن المسيح يهودي ومن أبناء اليهود ليشكل انحرافاً في المسار النفسي المسيحي وقلباً لمفاهيم ظلت راسخة في الضمير المسيحي مدة ألفي عام.

وتأتي تحركات البابا ضمن التحرك الأمريكي الأوروبي الذي يرفع شعار العولمة والانفتاح وما يسمى حوار الحضارات والأديان. ولا يستطيع المحلل أن يفصل دعواته المشابهة عن تلك الدعوات الأمريكية الأوروبية والمقصود من ورائها إذابة هوية الشرق الإسلامي ضمن رؤية غربية واضحة.

وحين نسمع بعض السذج الذين قالوا بأن زيارة البابا للمسجد الأقصى هو اعتراف صريح بسيادة الفلسطينيين عليه. يثير قولهم العقل والمشاعر والمضحك والمبكي. فكأنهم ينتظرون رئيس دولة الفاتيكان ليعترف بسيادة الفلسطينيين عليه. ومتى كان المسلمون بحاجة إلى شهادة الغرب كي يكونوا أسياداً على مسجدهم الأقصى. ومتى كانوا بحاجة إلى اعتراف الكنيسة الكاثوليكية أو الحاخامية اليهودية العليا بسيادتهم على أقدس بقعة إسلامية بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف؟

إن الاعتراف الضمني وغير الصريح بسيادة الفلسطينيين على المسجد الأقصى لا يعني الاعتراف بالأرض المباركة ـ فلسطين ـ ملكاً للمسلمين العرب. فيكفي أن نذكّر أن زيارة البابا للناصرة ومرافقة المسؤولين الصهاينة له فيها يعني الاعتراف العلني بالكيان الصهيوني وبدولة الكيان. فلا وجود لفلسطين ولا وجود لشعب فلسطيني له حق العودة على أرض فلسطين وإقامة دولته الكاملة عليها. إن ما فعله البابا من الناحية السياسية إقرار واعتراف بالكيان اليهودي. وزيارته لحائط البراق (ما يسميه اليهود حائط المبكى) إقرار بحق اليهود المزعوم إقامة ما يسمى الهيكل. على جزء من المسجد الأقصى.

إن دولة الفاتيكان كأي دولة لها سيادة ومعترف بها عالمياً لابد أن تُحكم بمعاهدات ومواثيق دولية. وهي مسؤولة أمام العالم بتنفيذها لهذا المواثيق. وهذه الدولة ارتبطت في زمن البابا يوحنا بمواثيق ومعاهدات مع الكيان

الصهيوني وكأنه كان لا ينقصنا ـ نحن الفلسطينيين ـ على وجه التحديد سوى اعتراف الفاتيكان بدولة الكيان الصهيوني حتى تكتمل دائرة تضييع فلسطين وإضاعة حق الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم والعيش فيها بحرية بعيداً عن التسلط الصهيوني .

وحين نسمع بعض السذج وهم يقولون إن البابا اعتراف بنا كفلسطينيين أسياداً على أرض الضفة وغزة فإن المضحك المبكي يقول إذا كان البابا اعترف بسلطة الحكم الذاتي الفلسطيني فهذا لا يخرج عن نطاق اعتراف اليهود أنفسهم بهذه السلطة ، وهذه السلطة أقرت بأن «إسرائيل» دولة لها سيادتها على الأرض . وكل ذلك أي ما يقوله اليهود وما يقوله العالم الغربي وما يقوله البابا وما تقوله السلطة الفلسطينية لا يخرج عن دائرة واحدة محددة . هي دائرة الاعتراف بالكيان الصهيوني وإسقاط حق الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم وإزالة كل أشكال الوجود-الاستعماري اليهودي على أرض فلسطين .

إن المنطق بالمقياس الغربي والصهيوني يقول طالما أن البابا الذي هو رأس الكنيسة الكاثوليكية في العالم اعترف بالكيان الصهيوني كدولة وبحائط البراق (حائط المبكى) كجزء من هيكل اليهود المزعوم فإن الفلسطينيين مرغمون على قبول الوجود اليهودي في دولة ذات سيادة وإن العرب مجبرون عالمياً على الاعتراف بهذا الكيان كأمر واقع .

على أية حال فإن لنا نحن ــ المسلمين ـ الذين نرتبط بفلسطين وبالقدس ارتباطاً قرآنياً ربانياً وجهة نظر أخرى لنا الحق في طرحها فيما بيننا أولاً وفي بلاد الأرض قاطبة ثانياً إن اليهودية التي عُرفت عبر التاريخ بمعاداتها لعقيدة التوحيد وعنصريتها وقتل أتباعها للأنبياء وارتكاب جرائم بحق الإنسانية لا تعد ولا تحصى استطاعت أن تبتدع البروتستانتية لتكوّن ما يسمى الصهيونية المسيحية في

أوروبا وأمريكا. بعدما نجحت في إحداث انقلاب سياسي وعقائدي في الجزر البريطانية عن طريق الثورة التي قام بها كرومل كما استطاعت أن تتسلل إلى الثورة الفرنسية لتضرب الكاثوليكية في العمق وكان حشر البابا ورقة اعتذاره لليهود في شقوق ما يطلقون عليه حائط المبكى آخر مظاهر استسلام البابوية لليهودية، ثم اتخذت من الثورة الشيوعية في روسيا قاعدة الكنيسة الأرثوذكسية عام ١٩١٧ أداة هائلة لضرب الكنيسة المذكورة باعتبارها آخر القلاع المعادية لها في الغرب. وهكذا استبطنت اليهودية الكنيسة الغربية وانداحت لتلتف حول أوروبا والعالم أجمع بتأثيرها وأخذ العالم يسمع بمعارك مخيفة كهر مجدون وغيرها من صور الرعب والدمار ويرى كيف تعد العدة في الغرب بتأثير من اليهودية لخوضها.

ونحن ـ المسلمين ـ يعنينا من كل ذلك أن الأمة العربية والإسلامية هي المستهدفة اليوم من قبل كافة التوجهات الغربية واليهودية. ويعنينا جداً أن نقول: إن فلسطين الأرض المباركة أولاً ثم القدس والمسجد الأقصى رمزها وفي موقع القلب منها هي إرث رباني إسلامي قرآني. ليس من حق أحد أن يزعم أنه يخصه. وليس من حق أحد أن يمنع الجهاد من أجله حتى يعود إلى دائرته الإسلامية. وليس اعتراف الغرب بكل ألوانه بالكيان الصهيوني ينزع الحق الإلهي الإسلامي من أرض فلسطين أو من قلوب وعقول أبناء المسلمين.

وإذا رجعنا إلى دراسة كافة شخصيات الباباوات التي توارثوا الفاتيكان فإننا لن نعثر على أي واحد منهم من أصل عربي أو شرقي.

الفهرس التفصيلي للمحتوى

الكريم. المعبد مفهومه وعلاقة مريم به. مريم كما ورد ذكرها في القرآن الكريم والأناجيل. حمل مريم بعيسى عليه السلام. اصطفاء الله لها. ماذا يقول إنجيل برنابا. ولادة مريم لعيسى. معجزة المسيح والميلاد العذراوي. رأي لمحيي الدين عربي. نسب المسيح. اختلاف الأحزاب المسيحية حول طبيعة المسيح. متى ولد المسيح عليه السلام. اختلاف الآراء. التقويم الروماني.

الفصل الثالث: السيد المسيح بعد مولده

ماذا تقول الأناجيل. ماذا يقول القرآن الكريم. تشابه ما قالته الأناجيل مع عقائد الوثنية حول ما أحيط بولادة المسيح. تكلُم المسيح في المهد. مفاهيم وإشكالات. الروح القدس كلمة الله. نسب المسيح ينفي الألوهية. من هو يوسف النجار. رأي لأحمد ديدات. حياة المسيح من الطفولة إلى الدعوة. معنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. جاء المسيح ليتمم الدعوة. تلفيق اليهود وقولهم البهتان على مريم والمسيح. انقسام اليهود إلى ثلاث فئات. الصراع بين النبي عيسى واليهود. المعبد أصبح مغارة لصوص. معجزات المسيح عليه السلام. شفاؤه للمرضى. إحياؤه للموتى. المعجزات حسب الأناجيل وحسب القرآن الكريم. ليست المعجزة دليل على ألوهية المسيح. لماذا لم يؤله المسيحيون موسى على الرغم من معجزاته. رأي لابن عربي. الحواريون والمسيح. من هم الحواريون. ماذا قالت الأناجيل عنهم وماذا قال القرآن الكريم. مريم العذراء لماذا وكيف. النبي عيسى وصراعه العقيدي مع اليهود. ماذا حلل لهم وماذا حرم. نهاية الصراع بين المسيح والوثنيين. صلب المسيح حسب الأناجيل بعد تعذيبه وإهانته والقبض عليه. رفع المسيح وعدم صلبه. هل مات المسيح أم أنه حي يرزق. هل يعود المسيح مرة أخرى. رأي العقيدة المسيحية بعودة المسيح. رأي الإسلام بعودته. ماذا يقول برنابا. رأي لابن القيم الجوزية. من رأى المسيح يُصلب. الصلب وألوهية المسيح. ما التشابه بين

المسيحية والعقائد الوثنية. ما الذي حدث بعد رفع المسيح. إنزال المسيح عن الصلب ودفنه حسب رأي الأناجيل. المؤامرة اليهودية على العقيدة النصرانية. القيامة المسيحية في العقيدة النصرانية. الإيمان بعودة المسيح إلى الأرض.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ صحيح البخاري. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الأزهر. القاهرة ـ الطبعة (١) ـ ١٩٧٩.

٣ ـ ابن كثير. البداية والنهاية. دار الكتب العلمية ـ المجلد الأول ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٩٤ ـ بيروت.

٤ ـ مصطفى مراد الدباغ. بلادنا فلسطين. الجزء ١ ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٦.

٥ ـ العهد القديم. التوراة ـ منشورات دار الكتاب المقدس ـ دمشق ـ بيروت. دون تاريخ أو طبعة.

٦ ـ العهد الجديد. دار المشرق ـ بيروت ـ ط ١٢ ـ ١٩٨٦.

٧ ـ د. القس حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. المجلد الأول ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٨١ ـ ط١.

٨ ـ يوسابيوس القيصري. تاريخ الكنيسة. مكتبة المحبة الطبعة الثالثة ـ القاهرة ـ ١٩٨٨.

٩ ـ قاموس الكتاب المقدس. منشورات مكتبة المشعل ـ بيروت ـ الطبعة ٦ ـ ١٩٨١.

١٠ ـ الإنجيل حسب القديس متى. تادرس يعقوب ملطي ـ ١٩٩٥ ـ دون دار.

١١ ـ محمد طه الدرة. إعراب القرآن وبيانه. المجلد الثاني ـ ١٩٩٥ ـ دار الحكمة ـ دمشق.

١٢ ـ الشيخ محيي الدين عربي. فصوص الحكم. دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٠.

١٣ ـ محمد طه التنير. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. دون تاريخ ـ دون طبعة أو دار نشر.

١٤ ـ البابا شنودة. اللاهوت المقارن. القاهرة ـ الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس ـ ط٥ ـ ١٩٩٦.

١٥ ـ ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل. مجلد ٢ ـ دار الجيل ـ بيروت ـ دون تاريخ.

١٦ ـ أحمد ديدات. هل الكتاب المقدس كلام الله. دار المنار ـ طبعة أولى ـ ١٩٨٩.

١٧ ـ ابن القيم الجوزية. هداية الحيارى ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت دون تاريخ.

١٨ ـ عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء. دار الخير ـ دمشق ـ بيروت ـ طبعة أولى ـ سنة ١٩٩٠.

١٩ ـ محمد السعدي. حول موثوقية الأناجيل. مجلة رسالة الجهاد طرابلس ـ ليبيا ـ ١٩٨٥ ـ طبعة أولى.

٢٠ ـ اسبيرو جبور. المرأة في نظر الكنيسة. ١٩٩٤ ـ مطبعة الصباح ـ دمشق.

٢١ ـ إنجيل برنابا. ترجمة خليل سعادة. مطبعة المنار ـ دون تاريخ.

٢٢ ـ د. عبد الرحمن نور الدين. رحلة الإنسان مع الأديان. ١٩٩٢ ـ دون مطبعة أو طبعة.

٢٣ ـ القس منيس عبد النور. هل تجسّد الله. مكتبة دار نداء الرجاء ـ حمص ـ دون تاريخ ـ دون طبعة.

٢٤ ـ عمر لطفي النجار. العقل والإلحاد. مكتبة المبتدأ والخبر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٩٩٧.
٢٥ ـ رومانو كوارديني. قيامة المسيح. دار المشرق ـ بيروت ـ ١٩٨٨ ـ ترجمة جرجس المارديني.
٢٦ ـ حبيب سعد. سيرة بولس الرسول. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية مع دار الثقافة ـ القاهرة ـ دون تاريخ.
٢٧ ـ محمد علي برو العاملي. الكتاب المقدس في الميزان. ١٩٩٣ ـ الدار الإسلامية ـ بيروت.
٢٨ ـ زكي شنودة. تاريخ الأقباط. ج١ ـ القاهرة ـ دون تاريخ ـ دون طبعة.
٢٩ ـ الموسوعة البريطانية. ج٦ ـ طبعة ١٩٨٣ ـ وكذلك المجلد السادس.
٣٠ ـ موريس بوكاي. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٩٠ ـ طرابلس ـ ليبيا.
٣١ ـ جيمس نبتلي. اكتشاف الكتاب المقدس. الطبعة الأولى ـ ١٩٩٥ ـ دار سيناء للنشر ـ القاهرة.
٣٢ ـ د. علي عبد الواحد وافي. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام. نهضة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٩٦ ـ الطبعة الأولى.
٣٣ ـ عبد الواحد داود. محمد في الكتاب المقدس. الطبعة الأولى ـ ١٩٨٥ ـ قطر.
٣٤ ـ القس الدكتور حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. المجلد الرابع ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٨١.
٣٥ ـ نشأة الطوائف المسيحية. إعداد ن ف ع ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٩٧ ـ القاهرة ـ مطرانية الفيوم.
٣٦ ـ القس الدكتور حنا الخضري. مارتن لوثر. القاهرة ـ دار الثقافة ـ دون تاريخ.
٣٧ ـ محمد السماك. الأصولية الإنجيلية. مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطا ـ ط١ ـ ١٩٩٠.
٣٨ ـ المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل. نقلاً عن كتاب السيف الصقيل.
٣٩ ـ الشيخ محمد أبو زهرة. محاضرات في النصرانية نقلاً عن كتاب حول موثوقية الأناجيل.
٤٠ ـ شريف محمد هاشم. الإسلام والمسيحية في الميزان. بيروت ـ دار الوفاء ـ ط١ ـ ١٩٨٨.
٤١ ـ محمد فؤاد الهاشمي. الأديان في كفة الميزان.
٤٢ ـ حياة الحيوان للدميري.
٤٣ ـ ول ديورانت. قصة الحضارة. مجلد ١١.
٤٤ ـ دوان. خرافات التوراة والإنجيل نقلاً عن كتاب حول موثوقية الأناجيل. إعداد محمد السعدي.
٤٥ ـ جريدة الأنوار اللبنانية. ٨/٦/ ١٩٩٠.

هذا الكتاب

على طريق مواصلة البحث في مقارنة الأديان، يأتي كتاب: العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، ليضع الخطوة التالية، بعد كتاب: القرآن والتوراة أين يتفقان، وأين يفترقان؟

وإذا كان التوراة كتاباً فيه من التاريخ ما فيه، وكذلك التشريع، مما يسهل أكثر طريقة المقارنة، فإن الأناجيل على الرغم من اختلاف رواياتها في كثير من الأمور، إلا أنها افتقدت للتشريع الذي وجدناه في التوراة.

ولذلك كان هذا الكتاب بحثاً في تطور العقيدة النصرانية منذ ولادة السيد المسيح عليه السلام، وحتى وقتنا الحاضر. وحتى لا تترك الأمور في سياق البحث التاريخي، كان موضوع مقارنة الأديان سبيلنا، وكان القرآن الكريم كتاب الله الذي به تستقيم الأمور والموضوعات ويستقيم به التاريخ وكذلك الشخصيات.

وغايتنا المرجوّة من وراء هذا الكتاب، توضيح الفرق بين نصرانية الشرق ومسيحية الغرب، ومن ثم العودة إلى منهج الحق الذي نادى به المسيح عليه السلام.





